

توردة طراصة المصيدة  
الخنيلة النووية الاسرائيلية

# اليسار

رأية المستضعفين في الأرض

□ العدد التاسع والأربعون / مارس ١٩٩٤م / رمضان ١٤١٤هـ / الثمن ١٥٠ قرشا مصريا □

إشجعني يا بابا كل سنه رمضان ييجي ونصوم  
والعيد ما يجيش؟!!



التحالفات السياسية  
بين الجيوش واليسار

اسرائيل تطلب  
اغلاق محاسب  
المنظمة في الخارج

المخابرات المركزية  
تسلح فرانسيسين هذا  
العصر

نعم .. الحكومة  
تفكر الفلاح

حزب كاسب ديفيد والاستسلام المهين

حقيقة الأزمة في المنظمة المصرية لحقوق الانسان



# مصر للطيران



بمناسبة موسم الشتاء والإجازات  
تعلن عن رحلات مباشرة من الإسكندرية  
إلى أهم مدن الخليج العربي

**الإسكندرية - دبي - الإسكندرية**

كل يوم أربعاء

**الإسكندرية - أبوظبي - الدوحة - الإسكندرية**

كل يوم ثلاثاء  
وقريبا رحلة جديدة

**القاهرة - العين - القاهرة**

## مصر للطيران

أهلاً بك معنا

## زهرة منقشة

في اليوم الذي صدر فيه العدد الماضي كان في انتظارنا مفاجئة. اتصلت الزبيبة وصفاً - سعيدة - المستولة على الأجهزة الفنية والمقر بأعضاء مجلس المستشارين وعبئة التحرير ودعتهم لاحتفال عائلي صغير بانتهاء العام الرابع من عمر اليسار ، وفي الاحتفال قدمت مفاجئتها الثانية ، فقد قامت بجمع تبرعات من عدد من أعضاء مجلس المستشارين واصدقاء اليسار ، قدمتها الى رئيس التحرير ، ليستعين بها في سد بعض العجز الحالي الذي تعيشه كل شهر.

كانت المفاجأة بمثابة زهرة منقشة أكدت للجميع ضرورة استمرار «اليسار» مهما كانت المصاعب والتضحيات.

فإلى وصفاً و كل العاملين في اليسار تهدي أسرة التحرير هذا العدد ، الذي نبدأ به عامنا الخامس.

\*\*\*

ويختلف هذا العدد قليلاً عن الأعداد السابقة ، فالمادة العربية والعالمية احلحت مساحات اكبر من المعتاد ، فبالإضافة الى رسائل موسسكو وأشتون وبرلين وإيطاليا والقدس وعمان .. هناك موضوعات مترجمان لها أهمية خاصة بالنسبة لنا ، الأول تقرير اسرائيلي خطير يكشف اسرار القنبلة الاسرائيلية النووية ، والثاني تقرير امريكي حول ظاهرة الجماعات الارهابية المنتشرة في عالمنا العربي والمعروفة باسم «الافغان العرب» ، ودر المخابرات المركزية الامريكية في تدريبهم وتسليحهم خلال الحرب الافغانية.

ورغم ان المساحة التي خصصت للاحداث المصرية اقل من المعتاد لهذا السبب ، ولاعتبار صفحاين لزمسليين عزيزين عن تسليم موضوعهما ، ولعدم وجود أحداث سياسية او اقتصادية هامة خلال هذا الشهر - فالركود اصاب كل شيء في مصر - فهناك متابعة لقضايا بالغة الأهمية .. خاصة قضية الاندفاع المحموم للتطبيع مع اسرائيل ..

كلمة أخيرة .. بعد ايام ينتهي شهر الصيام ، وتحفل بعيد الفطر المبارك ، فكل عام وأنتم والوطن والامة في خير..

## في هذا العدد

### موقلتا

حزب وكاتب ديفيد .. والاستسلام المهين ..... حسين عبد الرازق ٤

### قضايا ساخنة

الملف الكامل للأزمة في المنظمة المصرية لحقوق الانسان ..... مدحت الزاهد ٦  
القنبلة النووية الاسرائيلية ..... اسرائيل شاحاك ١٢  
حينما سلحت المخابرات الامريكية فرانكشتين هذا العصر ..... لورا أمين ١٧

### مصر

قانون العمل الموحد في «جنيف» أولاً وأخيراً ..... حسن بدوي ٢٣  
خم العمال الحق ..... عبد الغفار شكر ٢٥  
نعم الحكومة تنهر الفلاح ..... هريان نصيف ٢٦  
الإبعاد الاجتماعية لسياسة التحرير الاقتصادي ..... عبد المولى اسماعيل ٢٨  
التحالفات السياسية بين اليمين واليسار ..... يسرى مصطفى ٣٠  
غابت الاشتراكية فاشتد الارهاب ..... خليل حسن خليل ٣٢  
كارينكاثير

الفساد ..... عمرو سليم ٣٤

### العرب

الانتخابات البلدية في موريتانيا ..... صلاح صابر ٣٦  
«رسالة القدس» مطلب اسرائيلي جديد بعد اتفاق القاهرة ..... جنا عميرة ٣٨  
رسالة عمان وحيثان الدراء والغلاء وجرانم «العرب الافغان» ..... علي الزنتيس ٤٠  
السودان .. الانتفاضة الديمقراطية كعادة للدراسة ..... عبد العزيز حسين الصاوي ٤٢

### العالم

رسالة إيطاليا: الموسم الصعب .. والانتخابات بالتليفزيون ..... فريدة النقاش ٤٥  
رسالة موسكو: الصراع بين مؤسسات السلطة في روسيا ..... أحمد الحميسي ٤٨  
رسالة برلين: الانتخابات في ظل الأزمة ..... نبيل محرقب ٥٤  
رسالة واشنطن: ثورة «فرانكا المكسيك» ..... سمير كرم ٥٧

### لكر

من الدولة المسكر .. الى الدولة النووية ..... محمد عصفور ٦٣

### علم

الذكاء .. ثمرة ثالثة يشهدها العالم ..... ليلي الشريفي ٦٦

### كتب

صندوق النقد الدولي وبلدان الجنوب ..... لويس جريس ٧١  
انظروني جراحى ... كراسات السجن ..... فريدة النقاش ٧٣

### فن

سيناتوين شيان .. وأفلام كهلة ..... أحمد يوسف ٧٧

### أبرار قايمة

اسلام لا كيانة : خليل عبد الكريم (٢٢) ارشيف اليسار: د. رفعت السعيد (٦٨)  
يحيى x شمال (٨٠) مشاغبات : صلاح عيسى (٨٢).

## حزب "كامب ديفيد". والاستسلام المصين

### حسين عبد الرازق

وقام حزب «كامب ديفيد» بتسويق هذا الانتفاخ والاستسلام لإسرائيل، تحت شعار «تحصيل «السلام البارد» القائم منذ «اتفاقيات كامب ديفيد»، ومعاهدة الصلح بين السادات وبجيم (١٩٧٩)». إلى «سلام ساخن» في ضوء التطورات الدولية والعربية، و«اتفاق المبادئ الإسرائيلية الفلسطينية (اتفاق غزة- أريحا أولاً)».

ولم يبق الأمر عند هذه الحدود. فبناءً على «توجيهات» الرئيس مبارك توالفت قطرات مضمومة لإقامة هذا «السلام الساخن».

«تمكنت في القاهرة في الأسابيع الأخيرة من فبراير محادثات بين وقيدين من خبراء النفط في مصر وإسرائيل، ليبحث موضوع مد إسرائيل بالغاز الطبيعي، والاستعانة بشركات الحفر المصرية في أعمال النفط لإسرائيل. وتناولت المحادثات المحطات العملية لتزويد أنبوب الغاز من بورسعيد لإسرائيل، وقبول المشروع الذي تصل كلفته إلى نحو ٣٠٠ مليون دولار، من خلال شركة جديدة تأسسها وزارة البترول، تساهم فيها شركة الغازات البترولية، وشركة «أجيپ» الإيطالية.

«وأعلن وزير التعمير الجديد «محمد إبراهيم سليمان» أمام لجنة الإسكان والتعمير بمجلس الشعب، استراتيجية الحكومة لتحصين سيناء عن طريق الاستثمارات الإسرائيلية.

«وشهدت دار الانقاء المصرية لدوة حول علم النشأ دعت إليها جمعية علم النفس المصرية التي يرأسها د. جمال ماضي أبرز العلماء» وشارك فيها وفد إسرائيلي من ١٥

فجأة هزل حكام مصر- والحكام العرب- لإقامة علاقات اقتصادية ورأسات مشروعات مشتركة مع إسرائيل تحت اسم «التطبيع» والسلام، والتعهد للحد من قرار مجلس الجامعة العربية باستمرار العمل بالمقاطعة «بجميع مستوياتها».

في التساهة تحرك أهبال كامب ديفيد، على كل المستويات دون خجل أو محاولة لتجميل مايقولون بنا وبأمتنا العربية. في أكتوبر الماضي (١٩٩٣) صدر قرار «سيادي» بالغا القبح الأمانة التي كانت مفروضة على سفر المصريين لإسرائيل، بإلغى ذلك ضرورة الحصول على إذن سفر مسبق، وذلك اعتباراً من أول نوفمبر.

ثم تم توقيع اتفاق بين حكومات مصر وإسرائيل وتركيا لإنشاء منظمة للتساحة بين البلدان الثلاث.

وأعلن موشيه شاحال وزير الطاقة الإسرائيلي عقب زيارته لمصر واجتماعه بكل من رئيس الجمهورية ووزير البترول، موافقة الحكومة المصرية من حيث المبدأ على تزويد إسرائيل بنحو ٢٥٠ مليون قدم مكعب يومياً من الغاز الطبيعي، ولدة ٢٥ عاماً تبدأ من عام ١٩٩٨.

وفي لقاء الرئيس حسني مبارك بالكتاب والمشتاقين بمعرض الكتاب، أعلن مراقبته على بيع الغاز الطبيعي لإسرائيل عبر أنابيب قرب قرى شمال سيناء، وعلى مشروع إنشاء معمل لتكرير البترول تبلغ استثماراته ٨٥٠ مليون دولار، وتساهم فيه إسرائيل، ويتم تزويده ببتترول عربي (الخليج والسعودية).

وفي مجلس الشعب دافع د. يوسف وإلى عن الدور الإسرائيلي في الزراعة المصرية.

رئيس التحرير:  
حسين عبد الرازق  
المشرف الفني:  
محمود الهندي  
المستشارون:  
إبراهيم بدواي  
د. رفعت السعيد  
صلاح عيسى  
د. عبد العظيم أنيس  
عبد الغفار شكر  
عبد الفتى أبو العينين  
محمود أمين العالم  
شارك في التأسيس:  
د. فؤاد مرسي

اليسار: منبر ديمقراطي يصدر عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في اليوم الأول من كل شهر.

AL YASSAR 126 AL SUDAN st.  
IMBABA GIZA A.R.E

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة  
مصر:

١٨ جنيه للأفراد ٤٥ جنيه للهيئات.  
الوطن العربي: ٥٠ دولاراً أمريكياً  
أو ما يعادلها.  
العالم: ١٠٠ دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بشيك مصرفي أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: ١٢٦ شارع السودان - إمبابية - جيزة  
رقم البريد ١٢٤١١  
ت: ٣٤٦٥٤١٦ فاكس: ٣٤٤٢٠١٣  
FAX: 3442013 TEL 3465416

عضوا.

\* وأعلن «رفائيل أدوي» رئيس الكنيست الاسرائيلي في الدار البيضاء، عن انشاء شركة مختلطة واسرائيلية-مصرية «مرفية» تتولى إقامة خط جوي بين المغرب واسرائيل عبر مصر لتسهيل نقل اليهود الاسرائيليين من أصل مغربي، والذين يرغبون في زيارة بلادهم المغرب، بوساطة مصادر غربية بين مشروع قناة النيل إلى إسرائيل.

ويؤيد مصادر غربية بين مشروع قناة النيل، ومشروع شنق قناة من البحر الاحمر إلى البحر الميت يبلغ طولها نحو ٢٨٠ كيلو مترا وتهدف إلى رفع مستوى المياه في البحر الميت وتزويد الطاقة الكهربائية من خلال استغلال انتقال المياه بين البحرين، ومشروع ثالث لشنق قناة من البحر الميت إلى البحر الأبيض المتوسط. وقالت هذه المصادر: أن الحكومة الاسرائيلية أبدت استعدادها لتحويل دراسة الجدوى لمشروع قناة والبحر الاحمر- البحر الميت» بعد موافقة الاردن ومصر واسرائيل والسلطة الفلسطينية، وبناء ميناء ضخم بين ميناء العقبة وميناء إيلات في منطقة مسار القناة الجديدة. وطبقا لدراسة اسرائيلية فإن تكلفة شنق القنوات الثلاث المقترحة ستتراوح بين ٧٥ مليون دولار و١٠٠ مليار دولار لكل واحد على حدة. كما يشمل المشروع انشاء محطات لتحلية المياه تقدر تكلفتها بنحو مليار دولار وتتنتج نحو مليار متر مكعب من المياه العذبة سنويا.

وكما تقول هذه المصادر: «فالمشروع واحد من مجموعة المشاريع الرامية إلى تأمين الاندماج والتداخل الاقتصادي في الشرق الأوسط التي كشفت عنها البنك الدولي» ويساهم البنك الدولي بالتعاون مع الولايات المتحدة والمانيا في تمويل أبحاث دراسات الجدوى.

ورأى هذا الاندماج المصري المحسوم للتطبيع، أو على الاصح للدخول في خيبة الارتباط والاندماج والتداخل مع اسرائيل والشرق الشرق الأوسط. إنفاق عشرين عامًا. فأعلنت قطر على لسان وزير خارجيتها وحيد بن جاسم بن جبرال ثاني: أن حكومته تجري محادثات أولية مع إسرائيل حول مشروع ضخم لتصدير الغاز إلى اسرائيل، وإلى أوروبا عبر إسرائيل. ويقدر

تكلفة المشروع بنحو ٢ مليار دولار.

واستقبلت الدار البيضاء، وقد اسرائيلي برئاسة النائب «رفائيل أدوي» رئيس الكنيست الاسرائيلي للمشاركة في مؤتمر والتجمع العالمي لليهود المنحدرين من أصل مغربي... وهي خطوة جديدة في العلاقات الاقتصادية والتجارية والسياسية المتنامية بين المغرب واسرائيل، خاصة في مجالات الزراعة والنفط والمياه. وقد قام رجال أعمال مغاربة ومستوطنون حكوميون بزيارات عديدة لاسرائيل في الفترة الاخيرة.

وقد زارت وقود أردنية وتونس اسرائيل للبحث في امكانيات التعاون المستقبلي وتوقيع الدوائر السياسية أن يبحث مجلس الجامعة العربية هذا الشهر طلبا أمريكيا برفع المقاطعة العربية لاسرائيل من المستوي الثالث، والتي تنصب على الشركات الدولية المتعاملة مع إسرائيل. وكان وزير التجارة الأمريكي قد تقدم بهذا الطلب خلال زيارته للقاهرة في ٢١ يناير الماضي. يحدد زيارته للسعودية والاردن واسرائيل، وأعلن «ديوريت براون» أن «دولا عربية ستعلن قريبا انتهاء المقاطعة لاسرائيل».

وقد أثار أدراج أمين عام الجامعة العربية لهذا الاقتراح في جدول أعمال مجلس الجامعة (الدورة ١٠١ مارس ١٩٩٤) ردود فعل متباينة، خاصة وأن مجلس الجامعة اتخذ قرارا في ٢٢ نوفمبر الماضي بالابقاء على المقاطعة العربية لاسرائيل بجميع مستوياتها.

وتتضمن الصورة المتساوية بما أعلنه شيمون بيريز خلال المؤتمر الصحفي الذي عقده وعرفنا في «القوس» بيسيرا. من عقد مؤتمر في «عمان» بالاردن للبحث في المستقبل الاقتصادي للشرق الأوسط. وتشير الأنباء الاسرائيلية إلى أن هذا المؤتمر تعد له والمجموعة الاقتصادية الدولية ومجلس العلاقات الخارجية «الأمريكي» ويطلب فيه دورا خاصا لكل من «هتيس روس» و«غيتشارد سروي» ويتوقع أن يشارك فيه ما يقارب ٤٠٠٠ مستثمر وصاحب ورئيس مجلس إدارة يمثلون «دخية» الاقتصاد العالمي، وقد يحضره عدد من رؤساء الدول من بينهم «كليتسون» و«مستوران» و«ميجور» و«كوكو» و«هوسكاروا» باعتباره مؤتمرا عاليا للتنمية في الشرق الأوسط.

أن هذه الفحركات، والتي تتم تحت إسم التطبيع، أو السوق الشرق

أوسطية، أو تنمية الشرق الأوسط. أو السلام.. تهدف جميعها إلى ضمان مستقبل اسرائيل، في ظل السلام «الأمريكي- الاسرائيلي» الذي يفرس على المنطقة، وهو بالقطع غير السلام الشامل والعاله الذي تحدث عنه.

إن ما يجري الآن يهدف بوضوح إلى اقامة صيغة للتعاون الاقليمي على مستويات سياسية وثقافية واقتصادية، لا يحق لحسب الاعتراض العربي والفلسطيني الشامل يشروعية دولة اسرائيل- التي قامت على اغتصاب جزء من الارض الفلسطينية عام ١٩٤٨- داخل حدود أمتة ومعترف بها.. ولكنه يهدف لها مقومات الحماية الرغدة من المارد العربية، ويقرض قيام نظام شرق أوسطي استعماري جديد يحفظ المصالح الاستثمارية للولايات المتحدة واطلاقها. ويحفظ لاسرائيل بدورها كركيزة لهذه المصالح، ويحل محل النظام الاقليمي العربي ومؤسسات العمل العربي المشترك، وينهى فكرة القومية العربية وشعارات الوحدة، وحرية التعبير الوطني العربية.

فالاقتصاد الاسرائيلي مهدد بالانهيار في ظل السلام، سالم يتم انقضاء من خلال هذا الدور الهندسي الذي يخطط له من خلال التطبيع والسوق الشرق أوسطية.

من هنا فالقائمة الحقيقية التي تطرحها اسرائيل ليس الارض مقابل السلام، والمال الجزء مقابل الكل.. الاراضي المحتلة مقابل استغلال كل الاراضي والفروات العربية من خلال التطبيع والسوق الشرق أوسطية.

لهل يكف حزب كاسر ديميد من تصوير استسلام للصهاينة والامريكان باعتباره واقعة وشجاعة ووضوحا وازعاجا دوبا السلام الوعرة!!

وهل تحسن القوى الوطنية المصرية والعربية الأشياء بأسمائها، وترفض هذا الاستسلام المدين، وتعرض بشجاعة لهذه الكارثة التي توشك أن تسحق بنا وبأمتنا وتنصب اسرائيل دولة امبريالية قائمة في المنطقة العربية، تحت اسم التطبيع والسوق الشرق أوسطية؟

هذا هو السؤال، الذي لابد أن يجيب عنه اليسار المصري والعربي وكل القوى الوطنية.. ومن خلال الأفعال لا الأقوال.

## الملف الكامل

### للازمة في المنظمة المصرية لحقوق الانسان

## لماذا فشل اجتماع يناير ١٩٩٤ ؟

### مدحت الزاهد

ونحن في هذا الاجتماع الخاص بنظرة معنية بحقوق الإنسان نسمع منذ ساعات اتهامات تزوير استمارات العضوية وطعنون في صحة النصاب، دون أن يعياً أحد حتى يتكلم ما أثيراً.

وقد بدت قدرة عادل في الوصول إلى الميكروفون في هذا اليوم بمثابة انتصار، فقد عز الميكروفون على معارضي بعض سياسات مجلس أمناء المنظمة، فلم يتمكنوا منه إلا ليضع دقائق بعد بضع ساعات من طلب الكلمة، بينما لم يتمكن علي شعراوي وهاني شكر الله عضوا المجلس اللذان قدما استقالتهما احتجاجاً على بعض سياساته من الوصول إلى الميكروفون أصلاً في حين لم يحضر الجمعية عضوان آخران استقالا من المجلس هما د. نادر قمراني ود. أحمد عبد الله.

قبل عادل عبد كان حسين عبد الرازق مقدر لجنة تلقى الطعن، -التي تشكلت بطلب من أعضاء الجمعية العمومية ووافق عليه المكتب التنفيذي- قد تمكن بعد ساعات من طلب الكلمة من الحديث فأكد أنه فسوجي. مع محمد هاني رئيس اللجنة والأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان بحضور أكثر من ١٣٠ عضواً في هذا الاجتماع بالمخالفة للقواعد التي وضعتها اللجنة، تطبيقاً للامعة المنظمة نفسها.

وقد ذهب هذا الجزء من حديث حسين عبد الرازق مع الريح، وإن كان لحديثه بقية سوف يأتي الكلام عنها.

كان الاجتماع قد بدأ بكلمة لمحمد إبراهيم كامل رئيس المنظمة المصرية

سوف تظل وقائع ماجرى بدار نقابة الصحفيين يوم الجمعة الحزينة ٢٨ يناير ١٩٩٤ والذي كان محمداً لعقد الجمعية العمومية للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان محفورة في ذاكرة من تابعوا الأحداث المؤسفة لهذا الاجتماع، والتي انتهت إلى انسحاب ثلث أعضاء الجمعية العمومية.

قبلها كان عادل عبد عضو مجلس الأمناء، والنائب السابق المستقل مجلس الشعب، قد نجح بعد ساعات من طلب الكلمة من الوصول إلى المنصة ليعبر بمرارة عن أمد

محمد لائق... أحبة الوحدة والرفاق



كيف نفذ دعاة حيدة المنظمة واستقلالياتها وضبط عضويتها عكس خطتهم، ثم تحولوا أسرى الحطة المضادة.

## استقالات عصبية

وبعض مظاهر هذه الأزمة يمكن التعرف عليها من الأسباب الواردة في استقالة خمسة من أعضاء مجلس الأمناء على فترات، منذ أن انتخبت الجمعية العمومية التي انعقدت في ٣١ سابر ١٩٩١، ١٥ عضواً للمجلس الجديد. والأعضاء الذين تقدموا باستقالات مسببة محتاجة هم: د. نادر فرجاني في ٢٤ أبريل ١٩٩٢، وحلى شعراوي ود. أحمد عبد الله وعبد الله خليل في ١٣ سابر ١٩٩٣ - وقد سحب عبد الله خليل لهما بعد استقالته. وهاني شكرا الله في ١٠ سابر ١٩٩٤.

ورغم أن نص استقالة د. نادر فرجاني لم يكن من الأوراق التي أتيج لي الإطلاق عليها إلا أن خطابه إلى محمد فائق رئيس لجنة التنظيمات التي تشكلت بالترحاض من أعضاء في الجمعية العمومية، بشأن ما أثاره تقرير المكتب التنفيذي من دوره في جنة العضوية يكشف بعض هذه الأسباب:

«إن طلبات العضوية وسجلاتها لم تكن أبداً في حيازتي، وبالطبع لم أقرب منها بعد استقالتي في أبريل ١٩٩٢، ولما كانت الطلبات والسجلات دائماً في حيازة الأمين العام وأمين الصندوق، وتقع عليهما بالتالي مسئولية أي تلاعب فيها، في أي وقت من الأوقات.

إن أحد أسباب استقالتي من المنظمة بتاريخ ١٩٩٢/٤/٢٤ كما شرحت لي رسالتي لأعضاء الجمعية العمومية السابقة، هو إدمان الأمين العام وأمين الصندوق للتزوير في سعة الاجتماعات، وفي محاضراتها، وفي وثائق المنظمة عابسة، ولدى وثائق مكتوبة تثبت هذا النمط من السلوك قبل استقالتي، ولكنهما بآنيان في تخبطهما الأخير إلا أن يقدمنا دليلاً جديداً على تلاعبهما بأهم سجلات المنظمة تلك الخاصة بالعضوية.»

ونلاحظ هنا أن استقالة د. نادر فرجاني قد اتصلت أيضاً وفقاً لما كان مستنداً بالمرقف من التصويل الأجنبي، ويشير تقرير مجلس الأمناء إلى امتناعه عن التصويت عند مناقشة الأمر.

كما نلاحظ أن تقرير مجلس الأمناء لم

الأجزاء على بعض مظاهر الأزمة التي أحاطت بالمنظمة ثم أصبحت تسك بتعاليبها بعد اجتماع ٢٨ يناير ١٩٩٤.

ويشمل ملف الأزمة قضايا أساليب القيادة واتخاذ القرار، وتصوير بناء المنظمة في علاقته بالقرى السياسية والحزبية في المجتمع، والتصويل الأجنبي والصلة بمنظمات حقوق الإنسان الدولية، وقضايا تطور المنظمة بين ثلاثة تصورات المنظمة المختلفة (المتعمدة على فسرقي من المحسرين) والمنظمة الائتلاف أو الجبهة (المتعمدة على برنامج حد أدنى للحريات بين قوى المعارضة) والمنظمة المضوية (القائمة على بناء تيار شعبي وديمقراطي لحقوق الإنسان). ثم أخيراً الخلاف حول التزوير الذي حدث في التصاب القانوني للجمعية العمومية.

ويشمل هذا الاستعراض يبدو ضرورياً لكشف الممارسة بين الدور الهائل الذي كانت تقوم به المنظمة في الدفاع عن حقوق الإنسان، وهو الدور الظاهر للعيان، وبين عوامل الضعف التي كانت تنمو داخلها، مهددة هذا الدور نفسه بالتراجع كما حدث بعد اجتماع ٢٨ يناير ١٩٩٤، وأيضاً لكي يرى القارئ

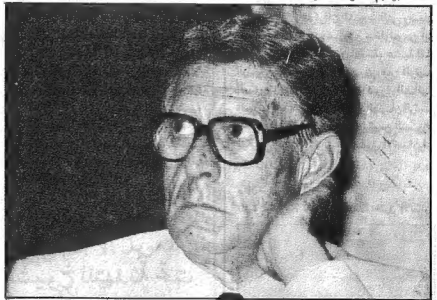
استقبلها المحضو بحفاوة بالغة تقديراً للدور الجليل ومكانته واعتبارها آخر دورة له في مرقع الرئيس. ثم كلمة لمحمد فائق الأمين العام للمنظمة العربية حيا فيها دور المنظمة المصرية وأشار فيها إلى دور حركة حقوق الإنسان في حماية الحريات وأهمية الوحدة والرفاق في حل مشكلات المنظمة.

بعد هذا تصاعدت مظاهر التوتر مع كلمة بهي الدين حسن، أمين عام المنظمة، ليعد أن عدد المحازات المنظمة في الدفاع عن حقوق الإنسان- التي لم تكن محل خلاف في هذا الاجتماع- وصل محاضري مجلس الأمناء بأنهم أصحاب «الأسال المحبطة» وقارن بين سلوكهم وسلوك الحكومة، وقال إن سلوك الأخيرة كان «أنبل» و«أشرف» من سلوكهم، فترددت في القاعة هتافات ضد ومطالبا للمنصة بالتزام آداب الحوار.

## قضايا الخلاف

ولعل من المناسب الآن قبل متابعة أعمال الجمعية العمومية العودة إلى الخلاف لتسليط

محمد إبراهيم كامل.. تقدير لدوره ومكانته



## دعاة استقلال وحدة والمنظمة وضبط العضوية نفذوا خطة معاكسة

مشروع اللائحة (التي تملسن أننا مختلفون بشأنه حيث يرى بعضها أنه يخلق المنظمة ويعزل نشاطها عن قوى هامة في المجتمع ويجعلها أقرب إلى فرع للمنظمات الدولية لحقوق الإنسان، ولذا ستحكم جميعاً بهما الشأن للجمعية العمومية، فلها الحق أن تقرر للمنظمة الشخصية التي تراها).

## التحويل الأجنبي

وبلغ السيد الأمين العام إلى مسائل لاجتباة للاستفاد بالقرار وتهشيش مجلس الأمناء. ولعل أقرب شكل لذلك هو أن آخر ما اتفق عليه مجلس الأمناء بشأن التحويل الأجنبي هو أن يعرض كل حالة على حدة على مجلس الأمناء للموافقة عليها مع التحذير من عدد من المؤسسات الأجنبية تحديداً، ومع ذلك فقد علمنا أن طلب المال وإحضاره مسجلاً باسم الأمين العام وأمين الصندوق كأشخاص في المكتب التنفيذي، دون أي سابق مناقشة حول المصدر أو التوقيت

## كليتين-الأسد

ونعزو الآن لما أثاره حسين عبد الرزاق حول التحويل، فذكر أن الشروط التي وضعها المجلس جيدة، لكنه عبر عن مخاوفه من أين يكون البهان الصادر عن المنظمة، شبة لقا الرئيس الأمريكي كليتين مع الرئيس السوري حافظ الأسد باكرورة التأثير السلبى للمعمرات، إذ دعا البهان الرئيس الأمريكى للضغط على الرئيس السوري لإفراج عن المدافعين عن حقوق الإنسان في سوريا...

عادل عبد

تتمة الجهاد... حتى في منظمة حقوق الانسان



والاستجابة مما لا يدعوه إلى تكرار محاولات التشطيش أو التفاعل مع قاعدة عضوية المنظمة.

\* تكليف عدد من أعضاء مجلس الأمناء (هم الثلاثة المستقبليين) بالاعداد لجمعية عمومية استثنائية في سبتمبر. (وقد رأت اللجنة أن تعد تقريراً عن المناقشات الرافقة لللائحة... تعرض في عملية ديمقراطية واسعة على أعضاء المنظمة -حياتى اجتماع الجمعية العمومية الاستثنائية مشمراً، خاصة وأنه كان ثمة خلافات واسعة في اجتماع مجلس الأمناء، حول كثير من المبادئ المطروحة تأكيداً في اللائحة، وذلك في محاولة لحصار ورغبة الأمين العام وعدد من أسدكائه في المكتب التنفيذي في توضيح هامش الممارسة الديمقراطية داخل المنظمة. وقد قورجنا ونحن بصد هذا الإعداد بالسيد الأمين العام يعد من جانبه هو لاجتماع الجمعية العمومية الاستثنائية متجاهلاً للجنة الثلاثية التي شكلها مجلس الأمناء - وجهدهم في عمل ديمقراطى يتفق ومكانة الأعضاء - وسمة المنظمة الديمقراطية.

## تعينة التكتلات

وتحذر الاستقالة في موضع آخر من تعينة بعض التكتلات هنا وهناك لمصالح فردية تتعلق بالتصويت في الجمعية التالية، وهو ما يتطلب تشكيل لجنة لمراجعة قواعد العضوية التي انتضت بعد الجمعية العمومية الأخيرة ولذا لللائحة. ثم تشير الاستقالة إلى خلافات أخرى داخل المجلس حول مشروع اللائحة والشخصية الجديدة للمنظمة التي يؤكد

بذكر الأسباب التي أوردتها، وتأول بل أصار إلى أن هذه الاستقالة قد تمت في أعقاب نقد وجهه له المجلس إثر انقراده بإعلان بلاغ صحتى عن مهمة بعتة شكلتها المنظمة لتابعة أوضاع المصريين في كل من العراق والكويت، وبلغ التقرير إلى انحصار ٥، ولفاد للجاناب الكريتى.

## واستقالة جماعية

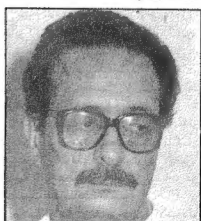
في خطاب الاستقالة الموزع في ١٣ مايو ١٩٩٢ وجهه ثلاثة من أعضاء مجلس الأمناء، هم على شعراوى وه. أحمد عبيد الله وعبد الله خليل (وقد سحب الأخير قسماً بعد استقالته) إلى محمد إبراهيم كامل رئيس المنظمة يؤكدون أن واضطراب العمل ناشىء من السلوك الفردى المستمر من قبل أمين عام المنظمة وما يفرضه بإسلوب أو بأخر لتصير الكثير من التصرفات عبر المكتب التنفيذي ويحدث لاتصل معظم أمور المنظمة الهامة لمعالجة حقيقية وديمقراطية في مجلس الأمناء... ٥.

ثم يذكرين بعد ذلك ٥ أسباب تدفع للاستقالة.

## ديمقراطية القرار

\* انشغال الأمين العام وجهاز الأمناء والمكتب التنفيذي بالاتصالات الدولية فقط، دون أي نشاط يشترك فيه أعضاء المنظمة سراًء بالمخاطب أو بالنشرة أو بالنشاط العام... الخ. \* اتهام الأمين العام الدائم لأعضاء المنظمة ولجانها ولاعضاء مجلس الأمناء بعدم النشاط

على شعراوى  
استقالة جماعية



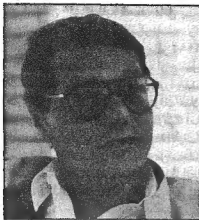
## فشلت محاولات

## الشيوخ للتهدة تحت

## ضغوط أنصار

## الانتخابات الآن





صلاح حسي  
مقاتم محرف

قد عدلت نموذج استمارات العضوية، وطبعته غاذج جديدة، وجد عليها طلب العضوية في تاريخ سابق على أعداد هذه المناذج، وقبول عضويات مزكاة تزكية واحدة في مخالفة صريحة لقرار الجمعية العمومية باشتراطات تزكية عضوين صاملين إما تشكل مؤشرا قاطعا على عدم مراعاة لجنة العضوية في مجلس الأمناء، ووحدة العضوية في الأمانة العامة للحد الأدنى من مقتضيات أداء واجبه، وتضع كل إجراءاتها وما ترتب عليها من إجراءات للجمعية العمومية مرضيا للشك بصورة تحتم تحقيقا ولحفا محابدا ومدققا.

#### تصعيد

وقد رد المكتب التنفيذي بسرعة فائقة على ملاحظات العضو المستقبل بشأن صحة العضوية، فذكر أنها مخالفات إدارية شائعة، تنسحب على مشاتل الأعضاء، قبل هذا التاريخ، وتم تجريد عضوية مئات من أعضاء المنظمة من بينهم صلاح أبو سيف وآخرين كما ذكرت نشرة حقوق الإنسان، الصادرة من المنظمة (العدد ١١٤) أن لجنة العضوية قد قبلت عضويتهم في المنظمة، وكذلك آخرين يحتفظون بخطابات من لجنة العضوية تقرر عضويتهم، بما أثار شكوكا من أن تكون بعض استمارات العضوية القديمة قد تعرضت للتلف بمسح ملاحظات هاني شكرالله-إتهامات أن ذلك مجرد خطأ إداري شائع ومعتد، بل إن الممارقات قد بلغت ذروتها عندما تم تجريد عضوية هاني شكرالله نفسه وعدد من أعضاء مجلس الأمناء، لعدم استيفاء الشروط، مع أن هذا الاستبعاد كما

#### للمنظمة.

وفي موضع آخر يشير إلى أنه منذ انتفاخ الأزمة التي أدت إلى الاستقالة الجماعية فقد بذل جهودا في دعوة أعضاء المكتب التنفيذي للتعامل بصورة محترمة مع الخلافات والامتناع عما شرعوا فيه من حملة تشهير شخصي بالمستقلين، ودعوة الزملاء أنفسهم للتراجع عن استقالاتهم، واقترح تنظيم ورشة عمل لمناقشات المشكلات والحلول أو بلورة تصور استراتيجي لاتجاهات تطور المنظمة. ورغم بعض التقدم المحدود استمرت أساليب التشهير بالمعارضين عبر التشكيك في صدق نواياهم ودوافعهم، وتكريس آليات الاستبعاد والتحكم، وتحويل الأمانة العامة لأداة طيسمة في أيدي الأمين العام ومروثوقه.. الخ.

ثم يلاحظ هاني شكر الله أن هذه الأساليب قد بلغت منتهاها مع اقتراب موعد عقد الجمعية العمومية ومن ذلك إصرار المكتب التنفيذي على تحديد فترة لتسديد الاشتراكات (تنتهي في ٤ ديسمبر) ومنع الفرد حق تلقي الاشتراكات والأحفاظ بها (وقد أصبحت ١٣ بعد أن كانت ٢)، ثم يشير هاني إلى إحدى الممارقات بذكر نتائج عملية فحص أولية قام بها لاستمارات العضوية التي

«وجود ٢٧٠ استمارة مخالفة تتضمن التصديق المكشوف للتاريخ من ٩٣ إلى ٩٢، تسديد طلبات العضوية بتاريخ سابقة على شهر ٧ عام ٩١ على استمارات لم تظهر إلى حيز الوجود إلا بعد هذا التاريخ (كانت المنظمة

#### قضايا الخلاف:

#### آفاق تطور المنظمة..

#### التمويل الأجنبي..

#### أساليب القيادة..

#### في حل الخلافات

#### النصاب القانوني

#### للجمعية العمومية



نبيل الهليل  
مخبر من الانتقام

وحيا حسين عهد الراحل المنظمة العربية التي رفضت التوقيع على هذا البيان، وقال أنه مع إدراكه للطبيعة الاستبدادية للنظام السوري لم يفهم مخزي التزكيت أو توجيه الخطاب للرئيس الأمريكي خصوصا وأن قضية هؤلاء المستقلين قديمة، ولم تتم عشية اللقاء، كما أنه ليس من المألوف أن تغاطب المنظمة المصرية جهات دولية في أوضاع خارج نطاق عملها، كما كان يوسعها أن تنظم من قبل حملة ضغط مصرية وعربية وحتى مع النقصات العالمية للإقتران عن المستقلين في سوريا.

#### تدوير في أوراق العضوية

وفي ١٠ يناير ٩٤ قدم هاني شكر الله إلى محمد إبراهيم كامل استقالته التي ذكر فيها «الاستقالة الآن، ولم يبق من عمر المجلس الحالي سوى أسبوعين، إنما تعبر عن توصلي لقناعة عميقة بأن الجمعية القائمة على هذا المجلس قد وصلت بالمنظمة إلى حالة من التدهور والتحلل التنظيمي تهدد مستقبلها المباشر بأذبح المخاطر وتضع استمرارها كمدافع عن حقوق الإنسان في بلدنا موضع تساؤل.. وقد تم هذا عن طريق تقليديين: الأول هو استبعاد وإبعاد العضوية الفاعلة، ومقابلة أي مسمى للفرقة المنظمة وإطلاق مبادرات أعضائها، والثاني هو إغراق المنظمة بعضوية ورقية غير فاعلة ومحدودة الوعي والالتزام بمبادئ حقوق الإنسان، ولكن تستلزم على الولايات الشخصية، تستند أسسا للاتجاهات سوا في الفرد أو في الجمعية العمومية

العضوية العاملة من أجل المشاركة في الجمعية العمومية.، والمحدث في هذا المجال طويل، وإن كان أبرز مساهمات عليه تلك الاستشارات المدن عليها تاريخ طلب العضوية في موعد سابق على طبع الاستشارات! فراغات السياسة

ويكفي هذا عن الخلافات الخاصة بالعضوية بعد الخلافات الخاصة بالتحويل الأجنبي، وأساليب القيادة، لنصل إلى آخر الخلافات الخاص بالفراغات التي أثرت حول محاولة اغتصاب تعرض لها المنظمة، من قبل السياسيين والأحزاب والتي كانت كما لاحظ كاتب هذه السطور في حديثه أمام اجتماع ٢٨ يناير أساس التعينة في جمعية ٣١ مايو ١٩٩١ ضد الفرد، وأساس التعينة في هذه الجمعية أيضا ضد معارضي المجلس من ماركسيين وديمقراطيين ومستقلين وعناصر ناصرية، وأساس محاولة اقتتال نزاع ناصري-ماركسي للتصوية على الملاحظات المبدئية الموجهة لبعض جوانب سياسة المجلس بما فيه من مختلف التيارات، فقد صور الأمر وكأن هناك عملية اغتصاب من قبل الأحزاب، فطرح شعار تقييد العضوية لحماية المبدأ، ولكنها، ولأن معظم عضوية المنظمة حزبية، كانت تلجأ لاستعفاء كتلة علي كتلة لحماية كهنة المبدأ.

وكان حسين عبد الرزاق قد سجل أمام الاجتماع أن الأحزاب قد قدمت الدعم للحفاظ على حيوية واستقلال المنظمة، وأنه يحكم مسئولياته في الأمان-سابقا-واليسار الآن قد عمل على نشر كل ما يصل من مواقف وبيانات المنظمة بما تستحقه من تقدير واحترام.

كسما دلل كاتب هذه السطور على الفزاعات ضد السياسة والحزبية بنص التعديل الذي كان مقترحا على اللائحة والتي يحظر على أعضاء الهيئات القيادية في الأحزاب التصريح لجلس الأمان-طارحا السؤال عن الموقف من د. محمد عصفور عضو الهيئة العليا للوردة، والتي يتناحل من أجل الحريات وحقوق الإنسان، قبل ولادة أغلبية هذا الجيل، من قيادي المنظمة فبمسار لو رشح نفسه للعضوية. والحقيقة أن المنظمة المصرية لحقوق الإنسان هي بنت نضال القوى الديمقراطية في مصر، وليس ملكا لمجموعة من كهنة المبدأ.

#### وثائق

ونلاحظ أن أول نقطة وردت في تقرير

#### متاور

ولمقا للمعارضة فإن الذين اقترحوا هذا النص، هم أنفسهم وبسبب ضرورات التعينة، هم الذين ضربوا به عرض الحائط، فلم يستدل على قرارات تنظيم الانتقال من العضوية المنتسبة إلى العضوية العاملة، ولا حتى من رقم وثيق للعضوية اكثفا، «وحرالي»، وفي حقيقة الأمر فإن اللجنة التي تشكلت بطلب من أعضاء الجمعية العمومية، قد تعاملت مع كسوف العضوية بمرونة شديدة فلم تطلب ما يثبت القول كعضوية منتسبة أو شروط وأسباب الانتقال للعضوية العاملة، واكتفت بتواريخ قرارات لجنة العضوية بقبول العضوية، مع حساب مدة ١٨ شهر لاكتساب حق الحضور في الجمعية ولما للاتاحة التي تنص على عدم الانتقال إلى العضوية العاملة قبل عام لم تستشر ٦ شهور لاكتساب

حسين عبد الرزاق

٧ لدورة كينتنر للضغط على الابد



#### استقالات مسببة

#### لثالث أعضاء المجلس

#### تلقى الضوء

#### على قضايا الخلاف

لاحظ هائي في خطاب له لعدد فائق بطن في شرعية الذين اتخذوا القرار نفسه، وكل المجلس المنتخب من جمعية ٣١ مايو ١٩٩١ وذكر تقرير مجلس الأمان أن عضوية المنظمة قد تضاعفت في هذه الدورة وبلغت حوالي ٢٣٠٠ عضو. وقد توقف صلاح حمسي في اجتماع الجمعية العمومية أمام كلمة «وحرالي» وقال إن لفظة الأرقام ومصادقية التقارير الصادرة عن مجلس الأمان لا تصرف كلمة «وحرالي» هذه، التي يقرأها لأول مرة في تقرير يشير إلى رقم العضوية!

#### مشائهم محترف

ولعل هذا أحد أسباب صلاح حمسي التي دعت إلى مصارحة حضور اجتماع ٢٨ يناير ١٩٩٤ بأنه قد تحول بمسده إلى «مشائهم محترف» خصوصا بعد أن سمع تهديدات عالية الصوت بضرب الأقلية التي ينسب إليها بالأخذة وخصوصا أيضا أن أول كرسى كان قد طار في الجو فور طلبه للكلمة. ولم تشفع له حتى نقطة النظام في أخذ الكلمة، وهو لم يفهم ولم يفهم- حتى الآن- أن التحالفات ضد أصحاب العقائد والفكر، ومشهد مفتولي العضلات من لجنة النظام- معظمهم ليس عضوا بالمنظمة- مجرد نتاج نوبة حواس لحرق الإنسان..

#### مخالفة لائحة

نعد الآن إلى جمعية ٣١ مايو ١٩٩١ فقد اقترح عليها مجلس الأمان نفسه بعض التغيير من أجل تحديد العضوية العاملة، وعدم إغراق المنظمة بالعضوية الوريقية، أو بانضمام عضويات لا تؤمن بحقوق الإنسان وتنتال العضوية تلقائيا بمجرد تحرير الاستمارة، فاشتدلت التعديلات تركبة عضوين للرشح الجديد، مع تحديد حق العضو في ترشيح فقط في العام، وحددت شروط الانتقال من العضوية المنتسبة إلى العاملة في النص التالي: «يقبل طالب العضوية باللائحة- حال قبول طلبه- عضوا منتسبا لمدة عام، ويكتسب العضوية العاملة بعد ذلك، بقرار من لجنة العضوية والتنظيم بشرط مساهمته في نشاط المنظمة والتزامه بمبادئ حقوق الإنسان»، ويحق للعضو المنتسب الذي ترفض لجنة العضوية والتنظيم منحه العضوية العاملة بالنظم من قرار اللجنة إلى مجلس ائنا بالمنظمة.

مجلس الأنما حول معالجة نواقص عمل المنظمة قد أشارت إلى :

١- التمسك باستقلالية المنظمة عن كافة الأحزاب والتيارات السياسية ووضع الضوابط التي تحدد من دور السياسيين في هياكلها القيادية.

٢- تعزيز الطابع المهني للمنظمة القائم على طاقم من المحترفين المتفرغين وتوفير فرص التدريب لهم لرفع كفاءاتهم. ثم يشير التقرير في الفقرة التالية إلى نزوع بعض أعضاء المجلس للانحساب.. وضغوط الصبيح عند البعض الآخر. وفي النقطة التالية إلى تزايد العضوية التي تغلب الاعتبارات السياسية والفخرية على اعتبارات صيادي حقوق الإنسان بما يهدد بتحويل النقطة لاساحة صراعات لاصلة لقضية حقوق الإنسان بها..

وسا ورد في هذه الوثائق قد تحوّل إلى شعارات يرددها بعض الحزبيين ضد الأحزاب والسياسة والديموقراطية في اجتماع مخصص لحقوق الإنسان.

كما تضمنت هذه المعاني نفسها في كلمة الأمين العام في افتتاح الاجتماع.

### ضد السياسية

كما أن تعليق بهي الدين حسن (من أجل مأسسة حركة حقوق الإنسان) علي الورقة التي قدمها هاني شكر الله لورشة النقاش والندوات والمحادثات الاستراتيجية أمام المنظمة في اللحظة (الرابعة) يمكن نفس هذه النزعة المعادية للسياسة والسياسيين فهي يستشهد بهذا النص من ورقة هاني (السمى إلى بلورة سياسة حقوق الإنسان كتيار قاعلي ومؤثر في المجتمع) ليلبدل به علي رغبة هاني في (تسييس حقوق الإنسان) ثم يستشهد بنص هاني يشير فيه وإلى عدم الاكتفاء بالكشف عن الانتهاكات والمطالبة برصدها بل يجب، ولكن أن تلمح المنظمة دورا بارزا في خلق المناخ الوحيد المؤهل بالفعل لأن يحول دون الانتهاكات ويحمي حقوق الإنسان) ليجر بسره فيه علي رغبة هاني في استبعاد المنظمة (لتغيير النظام السياسي).

ويبدو من ورقة بهي ما تقوم به المنظمة من نشاط لاصلة بالسياسة مع أنه وقتا

لالاحقة المنظمة والهيئات الصادرة عنها يمكن احالتها لأقرب محكمة تفتيش.

### أسلحة محرمة

والواقع أن ورشة العمل كانت تبدو الفرصة الأخيرة لقطع الطريق على الأزمة التي كانت تزدو لاستقلالات متخامة، ولكن أجواء التبعية التي صاحبت ولحقت الورشة أفقدت هذه المحاولة، بل أكثر من ذلك فقد تم استحضار أشباح التنظيمات السرية للتشكيك في نوايا من ينقدون المجلس رغم أن هذا الاتهام نفسه كان قد لاحق في فترات قريبة المرحوم له الآن، ورغم انقسام المهتمين بين مختلف الآراء.. ناهيك عن اعتماد الصلة بين هذا الأمر وبين النقاش الجاري الذي كان من الواجب إتاحة فرصة ديمقراطية لتطوره بغير استخدام أسلحة لا ينبغي أن ترفع في منظمة لحقوق الإنسان. وكان يمكن للنقاش، الذي بدأ بالورشة، أن يصل إلى نتائج أعلى من كل الأوراق المقدمة إليه، فربم لقد هاني لتصور والمنظمة المغلقة والمنظمة والانتقال والوجهة) فإن واقع ماضي في ٢٨ يناير ومآثره حول مقررة المنظمة وتعمل العضوية، كان أكثر أهمية من تخفيف القيود عليها. ويؤكد أن توسيع العضوية بغير ضوابط، ينظر هو الآخر على مخاطر، بصرف النظر عما أدى إليه الطابع اللامبدي في عارسة الحلال، وأحد الجوانب التي تكشف الطابع اللامبدي في الحلال، أن نقاد هاني بشأن توسيع العضوية قد وسعوا بهيرة تتجاوز ما كان يرغب فيها وفي حقيقة الأمر فإن أي من هذه الأوراق لم تكن نصا مقفلا، بل كان يمكن أن تكون فرصة لحوار، لو تولاه المناخ الصحي، ولكن هذا الحوار أصبح. وبدأ الاستعداد لعقد الجمعية العمومية في مناخ ملغوم.

### محاولات الشيوخ

وقد حاول شيوخ وشباب المنظمة وقد أدركوا مدى استحسان حلقات الأزمة فتزج في الانقياس وإتاحة الفرصة لتتلقية الأجراء والمجادلا

فتقدم خالد صوي الدين ومحمدة فوفيق وأحمد نبيل الهلالي وصلاح عيسى وروضان الكاشف وحلمي شعراوي وبهي فلال وولي الجبال وغيرهم باقتراحات لتأجيل الجمعية لفترة محدودة وتشكيل لجنة حكما لمادة المجلس في تجاوز الأزمة، وتم رفض الاقتراح، وتقدم بعدها عدد من الكتاب والفنانين والباحثين

باقتراحات مماثلة دون جدوى وقد كان التأجيل ضروريا كما أشار صلاح عيسى أمام الاجتماع، لأن نشاط المنظمة ينبغي أن يقوم على مبدأ التوافق، ولا تحمكه روح الأغلبية والاعتدية، خصوصا عندما تزايد الشكوك حول استطاع هذه الأغلبية.

وفي صباح الاجتماع بذلك فريد هيد الكرم وبعض القيادات الناصرية جهودا كبيرة لاجتراء الأزمة التي حاولت بعض الأطراف افعالها والاضمام لدعوة التأجيل. ونحن الآن قد اقترعنا من ساعة الصفر حيث بدأت الجمعية في الساعة الثانية واستمرت حتى العاشرة دون أن تتمكن من معرفة القضايا التي يدور حولها الحلال، غير إشارات عابرة وردت في أحاديث المعارضين الذين ركزوا على أهمية التوافق. وقدموا طسونا إلى صحة الانقياد، غطت عليها أصوات والانتخابات. والانتخابات، غطت عليها عابزين مناقشة «إنسانية مثل سياسية ولاحزبية»

### كلمة الختام

وقرب الختام حاول نبيل الهلالي الحائز على جائزة المنظمة لحقوق الإنسان كشخصية عام ١٩٩١، نقادة ما يمكن نقادة، فحذر من الانقسام، وأشار إلى أن هذا الانقسام هو السبيل أمام المعاداة لحقوق الإنسان للسيطرة على المنظمة والاستيلاء عليها. وحذر من تكرار تجربة نقابة المحامين في منظمة حقوق الإنسان، ودعا إلى تكاتف القوى لانتقاء المنظمة من الهزيمة التي تكاد تتهدد إليها ودعا إلى تأجيل الجمعية وتشكيل لجنة حكما معارضة للمجلس، وقال أنه لا يهيد ولكن هذا المجلس الرديء سوف يندفع للانحساب.. وكانت مبعصرا كبيرة قد شرعت قبلها في الانسحاب من الاجتماع، ثم انسحبت مجتمعات أخرى بعد رفض اقتراح الهلالي بل إن ما بقي في الاجتماع رفض اقتراحا لبهي الدين حسن للتجديد للمجلس الحالي دورة كاملة لمدة عامين، كما رفض اقتراحا لمحمد العظيم المصري بالتأجيل.

ثم بدأت عملية الاقتراع، وتم تصويت صناد بالترتيب (١) وثبت وصد ٢٥ بطاقة انتخابية زائدة، بخلاف المظنون عليها بالتزوير.. وأعلنت النتيجة رغم تعديلها أكثر من مرة دون إثبات اعتراض المرشحين الذين حضروا الفز.

وبدت هذه النهاية للأسوأ منسجمة مع وقائع الجمعة الحزينة ٢٨ يناير ١٩٩٤.

## اليسار تنشر أخطر تقرير صحفي من إسرائيل حول الخيار النووي في الشرق الأوسط

# القنبلة النووية الاسرائيلية

التوبة الوحيدة في المنطقة، تهربا  
كانها لتطوير القنبلة، بل وامكانية  
استخدامها في المستقبل.

وفي ١٧ أبريل ١٩٩٢، أعرب نائب  
رئيس الأركان الاسرائيلي، الجنرال أمنون  
شاهاك - لهيكين - عن اعتقاده بأن على  
اسرائيل أن تقع ويجد قوى نووية في المنطقة،  
وقال «أعتقد أن على دولة اسرائيل  
أن تجهز كل طاقاتها، وتجهز كل  
جهودها، لمنع التمر النووي لأمة دولة  
عريضة أيا كانت» وعندما سئل الجنرال  
«حتى لو تطلب الأمر استعمال القوة» رد  
بحسم «في رأيي، كل الوسائل التي  
تخدم هذا الهدف مشروعة  
الاستخدام». ويكمل الوضوح، لم يستبعد  
نائب رئيس الأركان فكرة أول هجوم نووي  
إسرائيلي.

أما الآن، فالهدف الأكثر احتمالا لهجوم  
عسكري إسرائيلي، سواء كان بالأسلحة  
التقليدية أو النووية، لم يعد عربيا، بل  
إيرانيا. وقد كانت هناك فكرة واسعة الانتشار،  
قدم البعض عليها أدلة قوية، بأن اسرائيل  
تشكل حلقا معاديا لإيران، تدعمه الولايات  
المتحدة مباشرة أو عن طريق حلفاء، ويسعى  
لإثارة الاضطرابات، والقضاء على القوة  
النووية الإيرانية. ولا يمكن تفسير السياسة  
الاسرائيلية الجديدة، المضادة لإيران، إلا في  
ضوء ميقات كامل من اهدافها للسيطرة على  
المنطقة.

### الاستراتيجية الجديدة

أما أهداف ومدى الاستراتيجية الجديدة  
الاسرائيلية الجديدة، فقد شرعها الجنرال  
شلموع جازيت، الضابط السابق بالمخابرات  
العسكرية. والمعروف أن المخابرات العسكرية  
الاسرائيلية تتميز أهم المقاتلين في ساحة  
المخابرات الاسرائيلية، والتي تضم والموساد،  
ومجال عملها في المناطق المحتلة وخارج  
اسرائيل، وشاباك، وهي جهاز الأمن العام  
المخصص بالعمل داخل الأرض المحتلة، وهناك  
أيضا الحرس الامني في جنوب لبنان،  
والمخابرات العسكرية، التي تعد فرعا من  
قروع الجيش، ويقوم قائد المخابرات العسكرية  
بإبلاغ رئيس الوزراء عن نشاط هذه  
الجسمعات، فيسما يتعلق بالقضايا  
الاستراتيجية.

وبعد تقاعده، أصبح جازيت، عضوا في  
مركز ياناف للدراسات الاستراتيجية، في  
جامعة تل أبيب. وبدأ ينشر العديد من

نظم إسرائيل شاكانك  
استاذ الكيمياء  
بجامعة العبرية بالقدس

لسترات عديدة، انكرت إسرائيل  
أنها صنعت القنبلة النووية، رغم  
تزايد الأدلة الدامغة على ذلك. أما  
الآن، فقد أصبحت الغرسة النووية  
الاسرائيلية بعد الاعتراف ببرورها،  
أهم الحقائق التي تلقى بطلانها على  
المشهد السياسي بمنطقة الشرق  
الأوسط.

وبما كان المصير في اسرائيل  
مشغلين مناقشة دور هذه الأسلحة،  
كانت الولايات المتحدة تتجنب حتى  
التمويه، إلى «القوة الحامسة نوويا»  
على مستوى العالم، ولماذا كان  
والبحر الضرائب الامريكويون  
يساهمون في المشروع النووي  
الاسرائيلي، كانت الصحف تطلق  
التحذيرات من «التهدية» النووي  
لدول أخرى في المنطقة. وفي  
اسرائيل، كان هذا التهديد، والالتزام  
الوطني بأن تظل الدولة هي القوة

نائب رئيس الأركان  
اسرائيل ستلجا لكل الوسائل لمنع  
ظهور قوة نووية عربية

ضابط المخابرات جازيت:  
دور إسرائيل هو حماية الأنظمة  
العربية، ومنع امتداد الحماس الأصولي  
الديني

نائب الكنيست ستيج:  
اسرائيل قد توجه ضربة نووية  
لإيران بعد النجاح في إنهاء الصراع مع  
العرب

المفسر الاستراتيجي  
فهلدمان:  
مساعداً اسرائيل لايران ساهمت  
في برنامجها النووي.

الطموح النووي لمصر وليبيا يمثل  
تهديداً وطنياً و  
شلموع أهاروتسون:

اسرائيل عاجزة عن شن حرب  
تقليدية ضد إيران

مدير الأذاعة الفارسية:  
الفرصة سانحة للإطاحة بالنظام  
الايرواني على يد قوى داخلية قريبا  
رئيس تحرير «معاريف»:  
الدعوة إلى تطبيق حظر شامل على  
إيران

خبير الشؤون النووية  
يروش:  
التحسين النووي أهم أدوات الدفاع  
الاسرائيلي

يصبح على الغرب أن يمارس هذا الدور بنفسه، بينما لا يتيسر هذا لأي من القوى العظمى، لتتبره عديدة محطية وعالمية، أما إسرائيل، على العكس من ذلك، فإن الحاجة للتدخل تعد مسألة حياة أو موت».

### الثقلية الإيرانية

والى مدى بعيد، أدانت إسرائيل استخدام الأسلحة النووية، غير أن هذا الرض المعلن- كما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة- يعد تكتيكاً أكثر مما هو أخلاقى أو مطلق- وأن تستبعد إسرائيل لحوض الحرب دفاعاً عن مصالحها الواضحة، فهذا أمر لا يطرئ اليه الشك، وأن تمتلك ترسانة ضخمة من الأسلحة النووية وأنظمة الصواريخ المتطورة، فهذا ترسيخ لقرتها، غير أن الظروف التي ستعطي قراراً باستخدام الثقلية، تعد أمراً أقل وضوحاً. ويرى بعض الجسراء الاسرائيليين، أن غير القدرات النووية لبلاد الشرق الأوسط بصورة عامة، وإيران بصفة خاصة، يعد تهديداً كافياً، يبرر أي عمل وقائي.

ورغم الرقابة الاسرائيلية الصارمة على اخبار المشروع النووي، إلا أن مركز يافا للدراسات الاستراتيجية قد خصص ندوة لناقشته، وكان أحد المتحدثين هو الفراهيم سنيح (عضو الكنتيتس عن حزب العمل) الذي عمل في عدة مواقع بالجيش ذات علاقة بالمخابرات، وهو من أفضل الخبراء ذوي الدراية بالقضايا الاستراتيجية. قال في الندوة:

«وسأول عمتنا أن ننتج إيران من استكمال قنصلتها النووية. يمكن أن يتم هذا، حيث أن إيران تمتلك مصالح كل الدول المعتدلة في الشرق الأوسط. علينا أن نهذه مالي وسعنا لمنع إيران من امتلاك القوة النووية. فإسرائيل لن تحصل قنصلتها نووية في أبدي إيران، وإذا كانت الدول الغربية، لا تقدر بواجبها، فإن إسرائيل ستجد نفسها مضطرة للعمل وحدها، وسوف تتجه مهمتها، بكل الوسائل التي تراها ملائمة لهذا الغرض».

وليس من المستحيل أن تسعى إسرائيل للإطاحة بالنظام الحاكم في إيران حالياً، أو أن تحقق انتصاراً عسكرياً باستخدام الأسلحة التقليدية، ولا أن تقع إيران بالتحلي عن خطتها النووية. ومن خلال هذا السياق

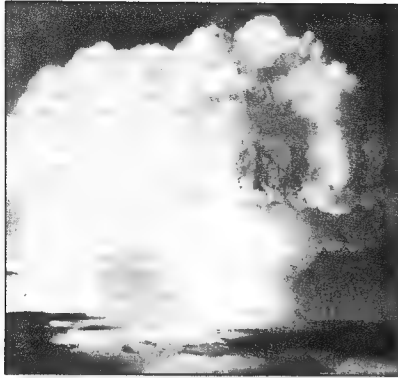
اضطرت لاستخدام «كل» قوتها العسكرية من أجل منعها أو استئصالها».

وهكذا يرى جازيت أن إسرائيل بحاجة لجميع أو معظم الأنظمة الحاكمة في الشرق الأوسط، لأنها تسدي خدمة حيوية للدول الصناعية المتقدمة، التي تسعى جميعها الى ضمان الاستقرار في الشرق الأوسط.

ورلى أعقاب صليوط الاتحاد السوفيتي كقوة سياسية ذات مصالح خاصة في المنطقة، خسرت بعض دول الشرق الأوسط وأعباء كان يدعمها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، ونشأ عن هذا فراغ، احتل إلى صمد الاستقرار بالمنطقة. وفي ظل هذه الظروف، فإن الدور الاسرائيلي كمصدر قوة استراتيجي لضمان الحد الأدنى من الاستقرار في الشرق الأوسط بأسره، بعيداً عن الانحسار أو الاختفاء، تصامم ليصبح له الأهمية الأولى. فليدون إسرائيل،

المقاتلات حول المخابرات وقضايا الاستراتيجية، تبرزت بعد النظر ويصادرها رفيعة المستوى. وأن مهمة إسرائيل الاساسية لم تتغير مطلقاً، وسعيت ذات أهمية بالغة، وسوق دولتنا الجغرافي في قلب الشرق الأوسط العربي المسلم يحدد مصير إسرائيل، لتصبح الحارس اليقظ على الاستقرار في الدول المحيطة. ودورها على عكسها أن تحمي الأنظمة القائمة، وأن تتلقى أو تتولى في التطرف، وأن تقع اعتماد الحساس الأصولي الديني. ولإسرائيل «خطوطها الحمراء»، التي تملك قوة ردع قادرة، بفضل أحداث القلق فيها وراء الحدود، وهذه الخطوط الحمراء ليست مرسومة بوضوح، ولا معددة بدقة، والفرص منها هو بمسند الظروف الاستراتيجية أو التغيرات الأخرى التي تحدث فيها وراء حدود إسرائيل، والتي قد تشكل تهديداً لن تصامم معه إسرائيل، حتى لو





اليمينيين تشمل إيران والعراق وليبيا والجزائر. ومن بين هذه المجموعات، تعتبر إيران- التي ظلت تحصل على السلاح من إسرائيل حتى حرب الخليج- الأكثر خطراً.

ويعترف شلومر أهارونسون خبير السياسة النووية الاسرائيلي بأنه

«ليس بإمكان إسرائيل- طبقاً لقولته أئنه- حول الضربة الوقائية الأولى- أن تحشد جيشها بكامله وتنتشر قواتها لغرض حرب أرضية في إيران. كذلك ، ليس بإمكان القوات الجوية (الاسرائيلية) تدمير طهران من طريق الغارات التقليدية وحدها. وبعد كل شيء، لقد صمدت هذه المدينة القوية باللايين من سكانها أمام الغارات العراقية الجوية على مدى ثمان سنوات من الحرب، دون دغابات جبهة قفية.

كما أن علينا أن نتذكر أن إسرائيل لم يكن لديها رد حقيقي على الضربة المبررة لصواريخ «سكود» العراقية أثناء حرب الخليج»

وليس «أهارونسون» هو الوحيد الذي يؤكد على الخطر الإيراني. ف «يعقوب كاسير» ، كبير المراسلين السياسيين لصحيفة «على هامشمار» يلج على صعوبة القضاء على القدرة النووية الإيرانية. وهو في مقال له

يتخربع ببلادهم في مواجهة نووية مع إسرائيل. وانتقد فيلدمان لصر النظر الاسرائيلي، فيما يتخلق بمساعدات سرية قدمتها إسرائيل للبرنامج النووي الإيراني في عهد الشاه ، ساهمت في المستوى الخطير للقرعة الإيرانية حالياً. ولولا نجاح الثورة الدينية بقيادة الامام الخميني، لشهدت إيران مستوى أكثر تقدماً. ويؤكد فيلدمان بأن باكستان تمتلك حالياً أسلحة نووية، كما أن مصر وليبيا طموحات غير خافية، رغم إنكارهما رسمياً لذلك، وهو ما يهدد «تهديداً طفيفاً» لأمن إسرائيل. أما سوريا فشأنها أقل خطراً، فيما تم تدمير القرعة العراقية تماماً، في نفس الوقت، لانتشكّل الأردن والسعودية أي خطر محتمل. وفيما عدا إيران ، لا يرى فيلدمان تهديداً حقيقياً الا في حالة الجزائر.

### تطوير الاستراتيجية

لقد أعيد فحص الاستراتيجية القديمة للجيش في ١٩٨٧، على ضوء توصيات لجنة برئاسة وزير العدل آنذاك «دان مريغور» من الليكود». وفي البداية أعاققت الانتفاضة تنفيذ الجيش لها، لكنها سرعان ما دخلت حيز التنفيذ بعد حرب الخليج في ١٩٩١. وهذه الاستراتيجية الجديدة المطورة ، كما يراها «أهارونسون» ، تعلى من شأن الموقع الجغرافي في التهديد. وثقاسة الاعضاء

العسكري، يمكن أن نرى تصريح سنيح كتهديد متعن، يخرجه ضربة نووية لإيران.

في نفس الوقت، ليست لدى زعماء اسرائيل الثقة بأن أجهزة المخابرات قادرة على اعطاء تقديرات دقيقة، عن تطور البرنامج النووي، أو أن تصرف حتى وقت وإمكانية استهلاك القنبلة ونظم الصواريخ. وفي ظل اختلافات سابقة للمخابرات، أضاف سنيح:

«ولو حدث- رغم كل الحذر- أن تواجهنا مع إيران ، التي تملك بالفعل منشآت نووية، وتلحقنا في قنصات القصف الصاروخي، لمن الأفضل عدم الدخول في المواجهة، إذا كنا نبحثنا في انتهاء الأسماء الباهظة للصراع الاسرائيلي- العربي، بتوقيع معاهدات السلام مع دول الجوار، خاصة سوريا، من الأفضل ألا تواجه إيران إذا كنا -بحلول هذا الوقت- قد نجحنا في بناء تحالفات مع دول المشرق العربي، المعنية بمكافحة الأصولية الإسلامية سيكون مفيداً لنا لو أن كل الدول المعتدلة في المنطقة نجحت لمقاومة كل قوى التطرف».

### الانتقام الاسرائيلي

كان أحد المحاضرين بالندوة أيضاً، الجنرال أشعير بن نون، الذي خدم بالقوات الجوية الاسرائيلية حتى نهاية ١٩٩٢. وكان فيما قبل وأثناء حرب الخليج، أحد أهم المندابين بصردرة التدخل الاسرائيلي في الحرب. ويتفق بن نون مع سنيح أن منع إيران من تطوير قدراتها النووية قد يكون غير ممكن. حتى لو اندلعت الحرب بين إسرائيل وإيران، في حال استهلاك الأخيرة للقدرة النووية، فإن الانتقام الاسرائيلي، الذي يصعبه ذا فائدة للنظام العربي، سيكون رادعاً ضد الضربة الإيرانية الأولى. وإذا لم يكن الردع كافياً، فإن الولايات المتحدة ستشن هجوماً نووياً على إيران. غير أن هناك سبباً آخر ينع إيران من استخدام القنبلة النووية ضد إسرائيل، كما يقول بن نون، وهو الخوف من تدمير البقاع المقدسة في القدس ، التي تعد الحصن الأكر لاسرائيل. وهو ما اعتبره بعض المحاضرين سبباً غير كاف لإحجام إيران.

أما شاي فيلدمان، المحبر بمركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب، فيرى أن زعماء إيران لن يتصرفوا بتهور، ولن يهاجموا

يعتبران «حبيب معاملة إيران بنفس طريقة العراق، يحاور دانييل ليشام» «واحد من كبار الضباط المتقاعدين بالخبرات الحربية (الاستراتيجية)، وهو حاليا عضو بـ مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تينيسي. ويلاحظ «ليشام» الذي يسهم في صنع الاستراتيجية الاستراتيجية، أن غارات الحلفاء لم تسهم بحدوثها كثيرا في تدمير قدرة العراق العسكرية، وخاصة قدراتها النووية. بل أن النصر الذي حققه هو الذي سح لمراقبي الأمم المتحدة بالتوجه إلى العراق وإنهاء المهمة. ويختتم «ليشام» تحليله بالقول:

إن دولة إسرائيل وحدها لاستطيع أن تفعل الكثير في التصدي لإيرانيين. نحن يمكننا الهجوم على إيران جوا، لكن لا ينبغي أن نتوقع قضاء هاراتنا على قدراتهم النووية. يمكننا ، في أحسن الأحوال، أن ندمر بعض منشآتهم النووية. لكننا لا نستطيع تدمير كل تلك المنشآت- بل ولا حتى مراكزها الهامة- خاصة وأن تطوهم في هذا المجال يتقدم في ثلاثة عظمى مختلفة وطريقة شهر مرتبطة، مع توزيع المنشآت على مناطق معبعدة. نحن الطبيعي ألا نكن على علم بمواقع كل منشآتهم، معلما كان الحال بالنسبة للعراق.

ولاشك أن «هارونسون» يأخذ هذه العوامل في الاعتبار، عندما يتوصل إلى أنه وفي مواجهة أعداء مصيدين، فإن على إسرائيل الاعتماد على الوسائل التقليدية للجيش الإسرائيلي، بقدر اعتماده على وسائل أخرى من وسائل الأمن القومي. بالتشديد على الرفع النووي، والصواريخ بعيدة المدى، وتشطيط الصان مع الولايات المتحدة والدول المجاورة ، مثل مصر وتركيا. و«هارونسون» وأصحابه لا يقصرون إمكانية استخدام الأسلحة النووية الإسرائيلية ضد إيران وحدها، بل يتعمدون سوريا وحلفاءها كأهداف محتملة. وكيفية التعامل مع هؤلاء والأعداء القريبين هو جزء من الجدل الدائر حول إمكانية استمرار إسرائيل في الاعتماد على الأسلحة التقليدية الضخمة أو التأكيد على الأسلحة الرشيدة، أو نشر القنابل المشعة أو النووية.

التحالف المعادي لإيران  
أيا كانت الاختبارات العسكرية التي

ستتوصل إليها إسرائيل في نهاية المطاف، فمن الواضح أنها بالتفسيق مع الولايات المتحدة ومصر، بدرجات متفاوتة تستكشف الوسائل الكثيلة بزعمة الاستقرار في إيران وتحويد خطر برنامجها النووي، فالصحافة المصرية تشير إلى «التوصل إلى خطة إسرائيلية مصرية للإطاحة بالنظام الإيراني، بدعم أمريكي. وطبقا لما أعلنه «منشأة أمير»، مدير الإذاعة الإسرائيلية الموجهة بالعراقية، بدعم إيران، فإن مثل هذه التقارير تحمل قدرا من الصحة». لكنه يحذر من أية خطط أمريكية للإطاحة بالنظام الإيراني بالقوة. وهو يرى أن ذلك:

غير عملي على الإطلاق. حتى لو حظيت خطط الولايات المتحدة بتأييد عدة دول شرق أوسطية من لديها أساليبها المتخوف من خطر طهران، مثل مصر. والعربية السعودية، فالفرصة سائحة للإطاحة بهذا النظام على يد قوى داخلية، في المستقبل القريب. وإيران مؤهلة لهذا.

ويواصل «أمير» حديثه بقوله أن ومن الواضح أن الأميركيين لم يتوصلوا إلى خطط جديدة بعد، وأن أفضل السبل بزعمة استقرار النظام، غير المستقر بالفعل، هي الاستمرار في زيادة تفاسم الأوضاع الاقتصادية للجماهير الإيرانية من خلال فرض العقوبات وغيرها من التنازلات التجارية. وفي هذا الصدد، تعد صادرات البترول ٩٠٪ من الاقتصاد الإيراني أكثر النقاط عرضة للتدخل. ويرى «أمير» أن هناك تكتيكا آخر، يتضاعف تأثيره إذا ساتلازم معه إثارة المعارضة الداخلية، ألا وهو السماح تركيا أو باكستان بالمبيعات العسكرية عبر حدودهما ضد جارتيهما.

ورصد حاجة إسرائيل إلى إقامة التحالفات واستغلالها، يشير «يوسي مليمان» ، محرر «هارتس» لتشتين المخابرات، والحير في شتون المخابرات الإسرائيلية، إلى أهمية التعاون الإسرائيلي التركي وفي مراجعة التخريب الإيراني، في البلاد الواقعة شمالي إيران. فهو يقول:

إن أوروبا الغربية تشارك الولايات المتحدة تقديم الأسرار لتحقيق الأهداف التركية في آسيا الوسطى. وحسب «مسؤولي» به صهيون الإسرائيليون كبار، فإن إسرائيل تساعد تركيا، بطريقها، لتحقيق هذه الأهداف.. ويرى صناع

القرار في إسرائيل أن للولايات المتحدة وإسرائيل وتركيا مصلحة مشتركة في إقامة حلف إقليمي مستعجل بين الأنظمة العلمانية والمعتدلة والمائلة للغرب في الشرق الأوسط، وحسبما تصفها إحدى الوثائق التي صدرت حديثا فإن لإسرائيل مصلحة في تقوية تركيا من خلال حلف مشترك هو التصدي للأصولية الإسلامية.

وتتطرق نفس هذه الأهداف السياسية على «أورييجان» ، التي تصنع إسرائيل فيها بعلاقات طيبة، ونفوذ ملحوظ.

تأثر سياسة

يلعب الشهيد النووي دورا هاما في إقامة التحالفات الموجهة للشرق الأوسط. على أن الأهمية السياسية للرب النووي تفوق أهميته العسكرية، على عكس ما يبدو. لـ «يوسيد براك» ، رئيس الأركان الحالي، تنى إقامة تحالف معاد لإيران في ٨٤-١٩٨٥، عندما كان رئيسا للمخابرات العسكرية خلال المراحل الأخيرة من الحرب اللبنانية، وقبل العلم بمشروع إيران النووي، وهذا التأكيد المبكر على ضرورة إضعاف الدول السبق أوسطية القوى تسببا يشير إلى أن هدف إسرائيل لم يكن منع ذلك، فالهدف من استراتيجية التحالفات ، كما يرى «ستيج» ومن قبله «هارونسون» ، هو تحريك إسرائيل من الهيمنة على المنطقة، واستخدام «عملية السلام» كأداة في الاستراتيجية الحربية الكبرى لإسرائيل. وهكذا يغلقي «براك» مع حصان الحكومة على نفس الأورضية. أي التعاون الوثيق مع الولايات المتحدة من أجل دفع عملية السلام. و«هارونسون» على يقين من أن التعاون الأمريكي الإسرائيلي يشمل الدعم الأمريكي لـ «خيار إسرائيل بتهديد أعدائها المهيمنين «بمسائل نووية»، وهو قد يكون محسقا في هذا إذا ما كان يعنى «بالأمريكيين» «البيتساجيون» والمخابرات المركزية، ومؤيدي إسرائيل المتشددين، ولكن، وكما يعلن هو بنفسه، فإن هناك «وحي معاديا للتسلح النووي، في الولايات المتحدة، لاستهجان به».

ويرى «هارونسون» أن هناك علاقة تكافلية بين الولايات المتحدة وإسرائيل. وهو يوضح أن إيران والجزائر وليبيا في سعيها لامتلاك أسلحة نووية إنما يدفعها: موقفها المعادي للغرب، الذي

يجعلنا نعرف استخدام تلك الأسلحة كذلك ضد الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية. ووجود قوة مواتية للغرب تلكه قدرتها النووية الخاصة بهم إلى حد كبير في تهديد الخطر الإيراني أو أي تهديد آخر للغرب.. وعلى ضوء هذا، فإن إسرائيل في سوق يمكن صنع أن تفتح الولايات المتحدة في روع أعدائنا اليميين. وهم أعداء كذلك للولايات المتحدة من طريق أسلحتنا النووية الخاصة والصواريخ اليمية المدي، أمر ينبغي أن يعقل لنا.

وتوسع «دانييل ليشام» ضابط المخابرات القواعد وعضو مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب، في استخدامات المصلحة للتهديد في لشهناك خطر وإمكانية أن يؤدي الإرهاب الإيراني إلى خلق «مرفق شبه مرفق العراق قبل أزمة الخليج» و«ليشام» وهو يستذكر المرفق الدولي المختلف نسبيا من «الارهاب» الإيراني، يامل أن تستخدم إسرائيل آلة علاقاتها الخاصة كي «تين للعالم أجمع» الحاجة الملحة للعالم لتزويد إيران في حرب.

«ويستحق أن نستعمل تهديد (إيران) في الإرهاب الإسلامي، الذي تنتشر في العالم ككل. وإسرائيل لديها معلومات مؤكدة حول اعتراف إيران الصادرة إلى عمليات الاعطاف. وعلينا أن نستفيد من هذا في إضمار العالم كله أن إيران، بتورطها في إرهاب، تقدر أية دولة أخرى في نظريتها. وعلى سبيل المثال، فأننا لا نهم لماذا تعرض ليبيا لهذه المظالمه لحظ بيع الأسلحة لها لجهه تورطها المتواضع في الأعمال الإرهابية، بينما تظل إيران، برفق سبيلها الحافل في توجيه الإرهاب ضد العالم كله، دين إجراءات مثلية.

#### حماية النفط

ويرى «أهارونزون» إن بإمكان الولايات المتحدة مساعدة إسرائيل في تهديم وعزل إيران عن طريق محاصرة التراطى الإيرانية و«يرجع أسبابها وغواصاتها النووية قريبا من إيران». وعلى نفس الاتجاه يقترح «عقرب ايريز»، رئيس تحرير «معاريف»، على إسرائيل إقناع الولايات المتحدة فرض حظر على صادرات السلاح والمنتجات الصناعية الأخرى إلى إيران، وذلك من أية دولة، بما في

ذلك كوريا الشمالية.

ويرى «أيريز» في هذا الخطر الذي يعتقد بأنه لن يتم «دون صعوبات» ضرورة حماية امادات والنفط الغربية. فعلى مدى عقود مضت، استخدمت الولايات المتحدة هذا السيناريو ضد السوفييت، حيث شنت حملة تنتم فيها الاتحاد السوفيتي بإقاعة امادات العالم من النفط بإغلاق مضيق هرمز. وعلى نفس المنوال، يؤكد على أن فرض الخطر الاسريكي على إيران منهم لأن التهديد الإيراني لامتدادات النفط «حقيقى بإلهاقاس إذا مساقرون بالتهديد الذي شكله غزو الكويت». ويرى «ستينج» أن إيران إذا ما حصلت على التقنية فإن جميع دول الخليج العربية، ومن ثم مصادر الامدادات النفطية للغرب، سوف تصبح مهددة بصورة اكفر مهابرة عن ذلك الوقت. ولن تصبح المسألة مجرد غزو لدولة (العراق) لدولة واحدة (الكويت) والسيطرة على حقول بترولها، وإنما تهديد مباشر للأجواء الممتدة لشبه الجزيرة العربية وحية الملاحة في الخليج».

ويستهدف هذا السيناريو حث الولايات المتحدة ودول الشرق الأوسط إلى الائتلاف في تحالف ضد إيران تحت الهيمنة الاسرائيلية. ويدعم هذا التحالف، ووضوح ظروف اقتصادية على إيران، أو تورطها في أعمال عسكرية، فإن على إسرائيل أن تعمل بقدرة، وقد تلجأ إلى استخدام السلاح النووي.

حيث أن جميع الخبراء الاسرائيليين

اعتادوا مناقشة قضية تهديد إيران، عندما

يكون الحديث موجها الى مستمعين من

الداخل، فمن الخطأ الجسم اعتبار هذا مجرد

نوع من البلاغة أو التضليل. وعلى الرغم من

احتمال مهالته الخبراء في خطر التهديد النووي

الإيراني، فإن تأكيدهم على وجود هذا الخطر

إنما يحمل دلالة سياسية هامة.

#### هزيمة الشرق الأوسط

يتزايد اقتراب إسرائيل من إمكانية ممارسة الخيارات النووية، حتى وإن كانت المناقشات العلنية غالبا ما تذكر في مجرى الحديث عن الدفاعة وقد كتب «أودير بروش» المفسر الشهير في الشئين النووية، بقر: «إن الخيار النووي، كراع للهجوم، أداة هامة في دافعا. وقد اعتمدت عليه الديمقراطيات الثلاث الكبرى لعدة عقود». وهو يرى أن التقنية الاسرائيلية خيار استراتيجى ضرورى. وضيف : وبشكل عام، فإن التخطيط للأمن على المدى الطويل لا ينبغي أن يتجاهل العوامل السياسية. فإسرائيل، على سبيل

المثال، يجب أن تأخذ في حساباتها أن أسرة المالكة السعودية لن تبسلى في الحكم إلى الأبد، أو احتمال تفسير نظام الحكم في مصر. وبسبب هذا الاحتمالات السياسية بالثبات، يؤكد «بروش» على ضرورة أن تظل يد إسرائيل مثقلة في استخدام سلاحها النووي أو التلويح به.

كذلك، فإن تحليل «بروش» يحمل في طياته مضامين أخرى. فمقارنة أهداف إسرائيل الاستراتيجية بأهداف الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تكشف، بعد ذاتها، طرح إسرائيل. فإذا ما قاندر لإسرائيل أن تصبح قوة إقليمية عظمى، فإن عليها أن تفرض هيبتها على الشرق الأوسط كله.

على أن هناك فارقا كبيرا بين إسرائيل والديمقراطيات الثلاث الكبيرة، فإسرائيل بدلا من أن تدفع ثمن قوتها النووية، تتلقى التمويل من الولايات المتحدة. من هنا فإن من الضرورى أن تتأكد لجنة العمل السياسى، الاسريكية- الاسرائيلية (AIPAC)، وهي الشريحة المنظمة من الطائفة اليهودية في امريكا، وحلفاؤها، من استمرار الكونغرس في الموافقة على تسديد الفواتير، التي تقرب إلى 13 بليون دولار، وهنا، لابد أن يفسر رأى العام الاسريكي بخندق الأهداف الاستراتيجية الحقيقية لإسرائيل.

أما العائق الآخر أمام طرح إسرائيل فهو القيد المتضمنة في المساعدة الامريكية. فعندما تتعارض مصالح الولايات المتحدة مع المصالح الاسرائيلية، كما يحدث من حين لآخر، فإن تميل السياسة والدعاية الاسرائيلية بتراجع كذلك.

لكن التحالف بين الولايات المتحدة وإسرائيل، في الوقت الراهن، يتسم بالقره، فمع انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتى، أصبح هناك فراغ، وإسرائيل تقدم بجرأة عبر هذه الشفرة، لتحكم هيبتها على الشرق الأوسط. وإذا ما صبح تقدير الخبراء، فسيلى لن تخيل من استخدام أية وسيلة لتحقيق غاياتها، بما في ذلك الوسائل النووية. وعلى عكس ترهات «جوازات» حول النوايا الحسنة، فإن الهمد من هذا الاستثمار ليس مصلحة الغرب، أو دول الشرق الأوسط التي قد يسودها عدم الاستقرار، أو أية مصلحة أخرى سوى مصلحة إسرائيل نفسها.

ترجمة من مجلة  
covert action



وكان الطريق الى ذلك هو أفغانستان التي غزاها الجيش الأحمر، وحيث كانت الجماعات الإسلامية المسلحة تسارع من كل الأنحاء لكي «تطهر روحها» من خلال تلك الحملة الدينية ضد الشيوعيين، أعداء الله. وهكذا، ويخويل وتسليح وارشاد أمريكي تم طرد العدو خارج الأرض الإسلامية. قبل أن تتجه الضربة التالية إلى الراعي المنفرد..

إن هذه القصة تعد فصلاً متميزاً جداً من التاريخ المعاصر، نسخة حديثة من «قرانكشايين»، أوهي قصة مبتدلة لما كنا نظنه انتصاراً للحرب المظلمة وتكشف لنا بمرآة ما كان يحمله من تأثيرات مأساوية مختلفة.

يقول أحد الأمريكيين: «في الحقيقة، لقد خلقنا وحشاً «مفترساً»، خاصة وقد كان على علم بتفاصيل تلك السياسة، ويضيف «علينا اليوم أن ندفع ثمن ذلك».

«وقد قدر البعض هذا الضرب به ٥٥ مليون دولار، أي ما يعادل المبلغ الذي قروته المخابرات المركزية الأمريكية في ميزانية عام ١٩٩٣، لإعادة شراء العديد من عشرات السوق السوداء بعد أن أعطاها للمجاهدين الأفغان أثناء صراعهم ضد الجيش الأحمر. وفي الواقع أن هذا الصراع هو سلاح جبار، فهو لا يحتاج إلا إلى جندتين لاستخدامه (١٠ يزن ١٥ كيلو جرام) في حين أنه يمكنه أن يدمر طائرة أو هليكوبتر على بعد خمسة كيلو مترات ما ظهر أثره بوضوح في تقرير نهاية الصراع الأفغاني- السوفييتي».

#### علاقات ملينة بالدولارات

كانت دولارات أمريكا تلك هي شرارة الإنطلاق لمحقق المجاهدين الأفغان أول انتصاراتهم على السوفييت، بل أنه في تلك المرحلة القاطعة قد تم إرسال أول صاروخ أطلق الأمريكيون إلى المخابرات المركزية في أفغانستان إلى حيث يصنع فوج طاق له. واليوم هناك أكثر من ٢٠٠ من هذه الصواريخ متناثرة وسط الطبيعة ومعرضة للبيع بما أنه لم يتم استخدامها أثناء الحرب. لذلك فقد أرسلت المخابرات المركزية الأمريكية عملاء لها في أنحاء الشرق الأوسط والأدنى ليستردوا هذه الأسلحة خوفاً من أن تستخدمها الجماعات الإسلامية لضرب طائرات خطوط الطيران الغربية. وترد تقارير بأن العملاء الأمريكيين على استعداد لأن يدفعوا ستة

# حيثما سلحت المخابرات المركزية الأمريكية فراكتشتين هذا العصر



على الرغم من القيود التي كانت تعوق أيديهم وتسلسلها من خلف ظهورهم، دخل المتهومون الأربعة قاعة المحكمة حاملين سجادة صلاة صغيرة حتى يستطيعوا القيام بواجباتهم الدينية نحو سيدهم الأبعد: الله، حينما يأمر قاضي المحكمة الفيدرالية بما نهان بإستراحة أثناء النظر في القضية.

في انتظار هذه اللحظة، سوف يستمعون - وهم مسلحون بإعدام تام للشعور يعود إلى غطرستهم الراضخة- إلى مختلف خبراء مكتب المخابرات الفيدرالية وهم يسردون بالتفصيل، ما اكتشفوه وسط انقراض مركز التجارة العالمي

WORLD TRADE CENTER نيويورك ١٩٩٣

في الساعات التي أعقبت انفجار يوم ٢٩ فبراير عام ١٩٩٣ الرهيب، سوف يساعد إرهابيو الجماعات الإسلامية الأربعة، وهم في حالة من اللامبالاة، هؤلاء الخبراء وهم يقدمون إلى هيئة المحلفين قطعا من المعدن متكلسة وملوثة تم التقاطها من أرض معركة جهادهم أوحدهم للقدس. أما قبل بضعة أيام من هذه اللحظة، وحينما يكن العديد من أعضاء هيئة المحلفين عند رؤيتهم لصور مرسى حي وول ستريت السقة، فلم تحرك أي من مشاعر هؤلاء الإرهابيين، وهكذا يبدو أن ما من شيء يهم في سبيل مهمتهم المظلمة، مهمة أولئك المتهمين الأوائل المذنبين للمحاكمة لئلا يروى في حاد الاعتداء بنيويورك. هنا وقد نادى أحد مرشديهم المقترحين منذ زمن قليل- وشهد

فانوشي- بأن والحرب ضد أمريكا تعد اليوم من الأولويات اللازمة للإسلام».

وإذا ما نظرنا إلى تاريخ الرجال الذين أعلنوا تلك الحرب لوجدنا الأمر في غاية الطرافة، لفضل القليل من الأصوام كان هؤلاء يهتدون لأمريكا بكل شيء تقريباً...

بدأت تلك العلاقة وقت الحرب الباردة، حينما أراد الأمريكيون أن يشأروا من السوفييت بأن يهدموا «إمبراطورية الشر» التي كانوا يكرتونها ويسمروا إستقرارها، وذلك على أثر ما سلسل على تفكيرهم من الدور الذي لعبه السوفييت في هزيمتهم في إفتتاح

التيئة التي قامت بها في الماضي ، بجانب أن آلاف المواطنين بها كان قد تم تسريحهم من الجيش في حين أن آخرين قد عزلوا عن العمل ومع ذلك ظلوا يتدفقون في عمليات دون الرجوع إلى رئيسهم في العمل. في ظل سرية شديدة- إذن- بدأ أحد هؤلاء (وهو مسترول قديم في أحد أقسام المخابرات) بالتخطيط لعملية متواضعة لكنها غير عادية ولم تكن قد كشفت حتى تلك الأثناء . وقد كان الهدف منها إشغال جلوة العصابة القرمية التي هي- بالطبع- ضد- شيرعية، والتي تحتفلها

عليه، في حين أن الجماعات الإسلامية تملك معلومات دقيقة عنهم». وقد كان روي ROY من مستشاري السلطات الفرنسية وقت الحرب في أفغانستان.

وتعود بداية تلك القصة الطويلة إلى عام ١٩٧٩ في مكاتب قسطنطين من موفلي المخابرات المركزية الأمريكية المعطلين عن العمل. في تلك الأثناء كان جيمي كارتر يتبع بالبيت الأبيض وكانت المخابرات المركزية في قمة ركودها ، لم يكن الكونغرس يكف عن مضايقتها بدعوى دفع ثمن مختلف العمليات

أنشأها الثمن الأصلي للأسلحة في حين يرفع من في أيديهم الصواريخ ، معها باستمرار، ولكن وقتها ولجئنا الحبراء- لا يفسر هذا الإجراء الاجتياح قرار الأمريكيين بإرسال بعض أفضل عملائهم إلى تلك المنطقة بحساب ملونة بالدولارات، وفي هذا السياق يتساءل أولهجه روي OLIVIER ROY، أحد المتخصصين في أمور المنطقة، إذا ما كان الأمريكيون يسمون إلى شراء صمت أصدقائهم القدامى في أفغانستان، خاصة والأمريكيون لديهم الكثير مما ينفي التستر



الأفغان  
العرب

الجمهوريات المسلحة بالاتحاد السوفيتي. هكذا كانت هذه مجرد عملية متواضعة خاصة وقد تجاوزت أمريكا زمن الحرب السرية، إلا أن الامكانات المتوفرة كانت ضئيلة. ولكن، وبـ

#### زيجنيو بريجنسكي ZBIGNIEW BRZEZINSKI

رئيس المجلس القومي للأمن، تم إقامة شبكات دعائية إسلامية قومية عن طريق مجموعة سرية صغيرة ضد المخابرات المركزية في طاجيكستان وأوزبكستان وتركمنستان. كانت هذه المجموعة توزع سرا وباعداد هائلة نسخا من القرآن ومن الأعمال الأدبية - المحظورة من قبل موسكو - التي تعمد أبطال الحرب القديمة على الروس، بل أن الأمر وصل إلى إمداد هذه الجمهوريات ببعض الأسلحة. وهنا، بدأت أصوات بعض مشغولي العمليات الأخرى الأمريكيين ترتفع احتجاجا على دعم المسلمين بشكل خاص.

وقبل أحد التخصصين السياسيين في المنطقة: وكانت هناك حركات قوية أخرى كان يمكن تشجيعها في الاتحاد السوفيتي إلا أن المسلمين قد اعتبروا القاديين على أحداث أكبر قدر من الحساسة.

في هذه المرحلة كانت العملية قد أعدت للتفويض بالكامل وكان كل شيء في موقعه الصحيح، إلا أن كل ماتم حتى هذه اللحظة لم يكن سوى فاتحة متواضعة.

ومع غزو أفغانستان في السابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٧٩ أثار بريجنسكي، كالعادة، الرأي العام قائلا: «يجب أن تسفك دماء السوفيت. ودا على فعلتهم. ويا أن يسي كارتير شاركه الرأي لقد تم تكليف ستانفورد سبيلد ترنر STANFORD TURNER، الميرال ورئيس المخابرات المركزية الأمريكية، بالتخطيط لحل ما. وفي ١٥ يناير ١٩٨٠ استقبل هذا الأخير بدوره في بيلز هاوز روتلاند ريجان وجورج بوش وخليفته، فيما بعد ويليام كينسي، ليلفهم وهم على أعقاب قيادة أمريكا بالعمليات السرية الجديدة الجاري تنفيذها. فقد تم إقامة دوائر دعم للمتحمسين للأفغان بالتعاون مع باكستان، وبدأت الإدارة الجديدة في تعاضدهم.

ومن خلال بؤرة أقيمت في فرانكفورت، بدأت المخابرات المركزية في الإتصال بالمجاهدين الأفغان في أنحاء أوروبا،



شلي، وهو صديق لعيد الله عزام الفلسطيني، مؤسس الرابطة الإسلامية في بشاور (المركز الرئيسي في باكستان للجهاد الأفغاني).

ويقال أن بولوي مركز الكفاح ببروكلين من الأمريكيين قد سحروا هؤلاء المتطوعين من أجل أفغانستان «من التعذيب على إطلاق النار في HIGH ROCK SHOOTING RANGE في نيسرجس-اتاك NAUGATUCK بولاية كونكتيكت.

وهكذا، بدأ مركز الكفاح ببروكلين - بدوره - في إقامة مراكز أخرى مصغرة ومماثلة له.

في الدور، في إنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، حتى وصل عددها إلى ١٧ مركزا ومع ذلك، لسوف يتحول مصطفى شلي (هذا المص، الأمريكي أصلا) فيما بعد إلى «راعي» الشيخ عبد الرحمن «المهم المقترض لحادث الاعتداء» على مركز التجارة العالمي منذ دخوله أمريكا، كما ستتحول تلك المراكز بدورها إلى خلايا لتجنيد جنود الجهاد ضد أمريكا.

لنعد الآن، إلى عام ١٩٨٤، حينما يقوم ويليام كينسي بأول رحله له إلى أرض المعركة، فقبل هذه اللحظة كان الالتزام الأمريكي نحو هذه المعركة (التزاما متواضعا) وأن كان حقيقيا، ومع هذا التاريخ وردت تقارير من المخابرات تفيد بأن الهجوم السوفيتي أخذ في الازدياد وأن موسكو قد قررت محو المقاومة، ردا على ذلك، ودون أن تتصلد أمريكا كثيرا حول الوسائل المطبونة أو عن أولئك الذين سوف يحصلون عليها، لجأت إلى المخابرات الباكستانية التي لها اليد العليا في ترويج الدعم الأمريكي عند الفرار، خاصة وأمريكا لم تكن تريد أن تظهر لها أية صلة أسمية بتلك العمليات. إلا أن باكستان - التي كانت تم نفسها بمرحلة من التطرف، قد اعتادت من تقديم سيج مصغرات تشكل المقاومة بين أفغانستان، اعتادت أكثر الأشخاص الأصوليين إثارة وتطرفا، حتى يصبح عميلها، وهو قلب الدين

لتجنيد أكثرهم نشاطا وتسريهم داخل معسكرات الشحن الدولي التي تتاجر مع باكستان وتعضد المجاهدين الأفغان بطريقة غير مباشرة.

وبدا المال والسلاح يتدفقان بهدف إشعال السوفيت، ومع ذلك كانت هناك إستراتيجية إضافية للوصول إلى هذا الهدف. فقد اقترح ألكسندري ماروتش D G SALL DE MARENCES، رئيس

الفرنسية على روتلاند ريجان حيلة مدعشة تتلخص في إفراق أفغانستان بالمقاتلين المحظرة التي سوف تصل بالطنح إلى الجند السوفيت لقتال من صحتهم ومن روحهم القتالية، وحتى يتم ذلك عرضت المخابرات الفرنسية التعاون بتقديم خدماتها، إلا أن العملية لم تتم في النهاية. ولم يبدأ حواس ويليام كينسي لمسألة قضية الثوار الأفغان بل أخذ في الازدياد، وأخذهم مساعدتهم باللجوء إلى وسائل خيالية شديدة المحظرة إذا ما أخذنا في الاعتبار النسر المتاحل لتقوى الكفاح الإسلامي. لقد أخلت الركاكالات الأمريكية المتتوعة في تشجيع كافة الاتجاهات الأصولية المتعلقة بالإسلام، من المغرب إلى اندونيسيا، حتى تشارك في الجهاد بأفغانستان. ووصل الأمر إلى إقامة مركز مجهود في نيويورك، وفي بروكلين بالتحديد، على يد رجل مصري، عام ١٩٨٢، يدعى مصطفى

**حكمتيار - GULBUDIN HEKMATYAR**، الذي تم تجنيدته أثناء دراسته في كابل عام ١٩٧٦.

### أفضل قائد عسكري

ومع أن قلب الدين حكمتيار قد رفض لقا، رونالد ريجان في واشنطن عام ١٩٨٥ بسبب عدائه الواضح للفرقيين، بجانب أنه قد عمل قبل ذلك في تهريب الأسلحة والمخدرات لخدمة طموحه الهائل، إلا أنه أصبح الرجل المفضل عند باكستان، ومن ثم المفضل أيضا عند وليم كيسي. ولا يجب أن نغفل نهضة الواضح للقضاء على المجموعات الستة الأخرى من المقاومة الأفغانية، الذي قد يعمل إلى نفس قدر رغبته في الإجهاد على السوفييت، ويظل حكمتيار حتى الآن من أهم القمبات التي تلق حبال استعادة السلام في كابل.

وسمى فينسان كانستراو - VIN CENT CANNISTRARO أحد قدامى موظفي المخابرات المركزية الأمريكية الذين تخصصوا في السياسة الأمريكية بالنقطة، أن وليم كيسي قد طرده يوما من مكتبه لأنه سمع لنفسه بأن يسأل عن مدى حكمة الإختيارات التي قامت بها أمريكا الآخرين غيره يعتقدون بشدة في كل ماقلوه باكستان لهم. وقد كانت باكستان يوما تؤكد أن حكمتيار هو أفضل قائد عسكري ومن ثم، القادرو على توجيحه أعنف الضربات إلى السوفيت، وهو مايقاه أمريكا دائما.

وذهب وليم كيسي في تضخيم تصوره للمصلحة التي بدأت عام ١٩٧٩، إلى الاقتراح على المجاهدين ضد الحرب إلى الأراضي السوفيتية، ولكن هذه المرة لم يعد يمكن الاكتفاء بتوزيع آلاف النسخ من القرآن ومن الكتب التي تتحدث عن طلائع الاعتداء السوفيتي على أوزبكستان أو غيرها. ففي عام ١٩٨٥، قام المجاهدون بقيادة واشنطن بهجمات حثيثة على المنشآت العسكرية والمخازن والمصانع في أراضي الاتحاد السوفيتي. إلا أن رونالد ريجان قد وضع نهاية سريعة للعمليات المشابهة أخذ في الاعتبار أن هذا التصعيد العسكري قد يشكل خطورة على السلام العالمي، أما بتيمة العمليات السياسية فقد بقيت دون تغيير.

وهكذا ظل حكمتيار الرجل المفضل لدى

واشنطن ولدى أعداء موسكو. فقد كان يخلق وحده مايزي ٦٠٪ من المصرة الأمريكية طوال فترة الحرب، والتي قدرت بحوالي ثمانية مليارات دولار. بل أن الأمر وصل بالمخابرات المركزية الأمريكية إلى تسهيل تهريب كميات هائلة من المهرسرين، قاتلات التي كانت تقدمها لتستخدم في نقل الأسلحة من باكستان إلى أفغانستان لم تكن تعرف قارعة أبدا. وكانت النتيجة أن باكستان، التي لم يكن بها من يعاطرون المهرسرين في عام ١٩٧٩، قد أصبح بها أكثر من مليوني متعاطي قرب نهاية الحرب. ويقال أن القادة العسكريين الباكستانيين يتحكمون اليوم في جزء لا يستهان به من تجارة المهرسرين في الولايات المتحدة الأمريكية.

وصرح أحد مسترلى العمليات من المخابرات الغربية بأن «العالم كله مسئول عن انتشار المهرسرين وليس المخابرات المركزية الأمريكية فقط، فحتى أولئك المكلفين بمكافحة المخدرات قد أغضرو أعينهم عما يحدث، والدليل على ذلك أنه لم يتم كشف أي شبكة من الشبكات الباكستانية-الأفغانية أثناء فترة الحرب بأكملها. وقد أدت هذه الفترة بالتحديد إلى إزدهار تجارة المهرسرين.

أما الآثار الأكثر فسادا لتلك السياسة الأمريكية فيمكن في ولاية غول

**هل كانت الجماعات الإسلامية لتشكّل مثل هذا التهديد إن لم تكن أمريكا قد دلتها منذ وقت طويل؟**

★ ★

**أثناء الثمانينات، استخدمتهم واشنطن لمواجهة الاتحاد السوفيتي... وقد كانت سياسة عمية ولدت وحشا مقترسا أعلن بدوره «المجاهد» ضد حماته القدامي.**

**الجماعات الإسلامية على يديها، لسي التي شجعته واستمرت تراقبه وهو ينمو ويقوى. ويؤكد يوسف بودانكي، مدير إحدى مراكز الأبحاث التابعة للكونغرس الأمريكي والمتخصصة في دراسة ظاهرة الإرهاب والحرب غير التقليدية، يؤكد أنه «في بداية الثمانينات لم يكن هناك سوى ٣٠٠٠ أو ٣٥٠٠ محارب في أفغانستان، أما في منتصف الثمانينات فقد وصل عددهم إلى ٨٦٠٠٠ محاربون كلهم تحت قيادة حكمتيار».**

ولد تهديد الجماعات الإسلامية- إذن- وقا وترعرع في ظل رعاية أمريكا الفعالة، ولعل هذه الرعاية لم يكن هدفها الوحيد «إبادة» موسكو بل كانت أيضا تشكل سياسة أمريكية تقوم على متبجح الأصولية الصنية المحافظة والمالية الغرب (كما كان يبدو وقتها على الأقل) لإبطال قوة الجماعات الشيعية المتطرفة الموالية لطهران.

لذلك رأت أمريكا الإقتصاد على المجاهدين الأفغان السنيين ومن يساندونهم، كما قامت بعض الأساطير السعودية بتعظيمهم ومساندتهم.

إلا أن الإدارة الأمريكية قد تبنت للخطأ الفاسح الذي كانت ترتكبه، وفي الوقت المناسب، على يد أناس أشغال فينسان كانستراو، ولجنة سرعيا ما اقنع بسوء اختيار الجيمسوري النائب عن ولاية فلوريدا، بيل ماكولام BILL MCCOLLUM والذي كان من أشد معززي دعم القسوار الأفغان، ولكنه سرعيا ما اقنع بسوء اختيار كيسي وشركائه.

وفي الواقع أن حكمتيار كان قد أقام إتفاقا مع طهران منذ يونيو عام ١٩٨٧، يتلخص في أن يسرب عملاء إيرانيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهكذا يمكنهم أن ينفذوا إيران فيما بعد، معتمدا في ذلك على استثمار علاقاته بالمخابرات الأمريكية، في مقابل دعم إيران لحركته، ويصير ماكولام قائلا «لا يمكن إنكار علاقة حكمتيار بإيران تلك العلاقة التي كانت تقوى وأضرها يوما بعد يوم، إلا أن البيت الأبيض والمهينة الرئيسية لم أبعد من وسواس القضاء على الاتحاد السوفيتي.

### أمريكا تستعطف

في خضم الأحداث، وجدت أمريكا نفسها

متورطة في علاقة مع جنود الله الذين ما أن انتهوا من تسوية حساباتهم مع ملحدى موسكو حتى لم تتبق لهم سوى أمنية واحدة، هي تزيق علاقاتهم بالغرب.

ويعد هاتونجي الفرنسي مثالا واضحا على ذلك، فبعد أن عمل وسيطا فعالا لمدة طويلة بين أمريكا والقذافي الأفغانية المعادية للشيوعية حيثما بدأت في تزيق بعضها البعض، وبعد أن ألقى أحد معاوني جورج بوش مرافعة لصالحه في الكونغرس، بعد ذلك كله، ووفقا لما يرويه بوهاننكي، أصبح غسانوشي (بجانب السرداني الغرابي والصيخ عبد الرحمن المصري) أحد المستوربين الرئيسيين عن شبكات الإرهاب التابعة للجماعات الإسلامية في الغرب.

وفي الواقع أن قصة عبد الرحمن نفسها تبدو غامضة وجذابة في أرواحه، فوفقا لروايته، فكان من المستحيل دخوله إلى الولايات المتحدة دون تعاون عمال للمخابرات الأمريكية الذين قدمهم كخبراء لباكستان عام ١٩٨٨، وتؤكد تلك الرواية أن أحد عملاء المخابرات المركزية (المغربي) في شخصية مرفق بالانتماء التابعة لسفارة الولايات المتحدة بالحرمين، قد سلم لعمر عبد الرحمن تأشيرة دخول الولايات المتحدة عام ١٩٩١، مما أنكره رسالته بالوكالة. بل ويذكر ذلك أيضا على أن عميلا إيرانيًا - سواتيا قد تسرب إلى داخل السفارة وجنّد.

على كل الأحوال فإن أمريكا تستبظ اليوم، لأنه كلما تقدم التحقيق في حادث الإعتداء على مركز التجارة العالمي، وعن شبكات الجماعات الإسلامية المزروعة في أمريكا، كلما ازداد حمل الحركة الأفغانية على أمريكا، فالأغلبية العظمى من المتهتمين في حادث الإعتداء - من جناسي «والصبا» لأمريكا. وبعد نموذج طارق الحمن - السرداني الذي تم القبض عليه في صيف العام الماضي، مثالا على ذلك، فبعد أن كان المنزل الذي يقيم فيه في نيويورك بمثابة مركز «ترانزيت» للمستعربين الأمريكيين في أفغانستان لمدة طويلة، قاد شبكة حاولت تجسير تقنين تحت الأرض ما بين التفجيرات في مبنى الأمم المتحدة والتفجيرات المؤدى إلى مبنى مكتب المخابرات الفيدرالية بنيويورك. بالإضافة إلى ذلك، وقبل حادث الاعتداء على وول ستريت بشهر، جرى حادث غامض أمام مدخل مبنى المخابرات المركزية الأمريكية في واشنطن Langley بضاحية واشنطن، وقد قلب هذا الحادث أمريكا رأسا على عقب..

ففي صباح يوم ٢٥ يناير، تقدم رجل مسلح ببنادقة طراز AK-47 من سيارات التابعة لمرفق المخابرات المركزية الأمريكية (سائرا على قدميه). ولما كان هؤلاء المظفرين قد وصلوا لتسليم إلى مقر العمل، فقد تمكن الرجل من إطلاق النار عليهم أمام سياراتهم، مصيبا ثلاثة منهم وقتلا اثنين، قبل الفرار في سيارة نقل صغيرة كانت في انتظاره. وشتمت آثار القاتل تم الكشف عن هويته، فهو باكستاني مهاجر إلى أمريكا، عمره ٢٨ عاما ويدعى مهر أميل KANSI MIR. وقد عمل من قبل في شركة البريد السريع (كانت على صلة بالمخابرات المركزية الأمريكية) منذ وصوله إلى أمريكا، أي منذ عامين. وتم العثور عليه في النهاية، مختبئا بعد إنها - مهمته، في المرات المتكررة على منطقة الحدود بين باكستان وأفغانستان. وهناك تسويرات مختلفة لهذا الحدث كما لغيره، فوفقا لتفسير بوهاننكي، يجب اعتبار كانسى إرهابيا في خدمة إيران حيثما تمجده من قبل طهران في عام ١٩٨٧ حينما كان يحارب مع المجاهدين الأفغان. وقد بدأ الإيرانيون في استخدامه فعليا «في بداية عام ١٩٩٢ على أثر فشل مساعي الوفد الإيراني في واشنطن ومحاولة التسرب إلى إدارة كلينتون الجديدة.

ووفقا لآخرين، فقد أراد كانسى تصليته بحبائنه فحبس مع المخابرات الأمريكية، التي أعطت له وعودا بقاءا على عمله في صفوف الأفغان ولم تلتزم بها. وأيا كانت الحقيقة، فقد بدأت أمريكا تكشف أن السلاح الذي صيرته نحو عهدها سوف يستبدل ليصيرها هي، أو على أقل تقدير، سوف يؤرقها لمدة طويلة.

وقبل القبض على الصيخ «عمر عبد الرحمن» برقت قليل، وجسدت له مجلة NEW YORKER «نيويورك» سؤالا حول جحود الجماعات الإسلامية نحو المخابرات المركزية الأمريكية وواشنطن الذين أوجبا القدر الأفغاني. وقد أجاب - وهو بضاحية - قائلا: «لنقل أن المخابرات المركزية الأمريكية، أيها ما كنا نستعملنا لنقل إلى أفغانستان ثم أضاف: ولقد حاولت الحكومة الأمريكية طيلة ٤٥ عاما أن تدمر الاتحاد السوفيتي، فلم تنجح إلا بأمر الله».

«أكر» ولكني شيت عبد الرحمن وشركاؤه هذا الرأي إستبداروا على رغباتهم السابقين مستخدمين رعايتهم وحمايتهم لهم.

وفقا لرأى الخبراء، يتوقع لدى الجماعات الإسلامية الأمريكية اليوم الثبات العديدة من التسلا القبايعين بالولايات المتحدة والمتعددين في أي لحظة للهجوم من الداخل، كما فعلوا في حادث مبنى المخابرات المركزية ومركز التجارة العالمي، أو كما كانوا يتأهبون لتدمير مبنى الأمم المتحدة ومكتب المخابرات الفيدرالية نيويورك.

هل نسمى هذا مجاهدا..

ومع هذا كله، لا ينتمى المسألة الأمريكية الذين طبقوا السياسة الأفغانية لرواشن على مافسولوا. ويؤكد روبرت جيجس ROBERT GATES، المدير السابق للمخابرات المركزية الأمريكية، أن تلك السياسة تمثل «أحد أعظم أخطاء الإدارة الجيمس» كما يقدر رتشارد هاس RICHARD HAAS - مسترل منطقة الشرق الأدنى داخل المجلس القومي للأمن، أستاذ - حكم جورج بوش - الأمر من جانبه كإحدى:

«إن ما تطلقون عليه تهديد الجماعات الإسلامية ليس إلا إحدى الرواسب السلبية لسياسة صحيحة - فنحن - بالقطع - قد أعطينا أسلحة وأموالا لأزركه الذين يستخدمونها اليوم ضدها، إلا أننا لم نكون نتفك من تغيير الأمر شيئا. والدليل على ذلك، أن تاريخ الإسلام مرتب به فترات من الإسلامية من قبل، وبالتالي يجب البحث عن مصدرها في البلاد الإسلامية نفسها وليس في السياسة التي انتهجناها في أفغانستان». أما جاك بلوم JACK BLUM المعاصر بأحد مجالس واشنطن الكبيرة ورئيس فريق المحققين المكلفين من إحدى هيئات الكونغرس، منذ بضعة سنوات، يكشف دوائر قبول المفردات للإرهاب، وقائد البحث في فضيحة الـ B C C I (فضيحة البنك الكائن في الأصل الذي وضع نفسه في خدمة بعض وكالات المخابرات ومنهم المخابرات المركزية الأمريكية)، فيرى في سياق اهتمامه الخاص بأفغانستان والسياسة الأمريكية تجاهها أنه «في نهاية عشر سنوات من المصعد الأمريكي بالانتماء ذلك المصعد الأقصى والتمثال في أن واحد، إستطعنا أن نتحقق شيئا، لقد جعلنا من تلك الظلقة أحد المراكز الدولية الرئيسية لتجارة المفردات، كما حولناها إلى بؤرة مركزية للإرهاب العالمي..

هل نسمى هذا مجاهدا؟

اليسار/ العدد التاسع والأربعون/ مارس ١٩٩٤ (٢١)

تلقتها الأمة بالقبول والتجلة يكون لكل مسلم  
يدخل الجنة مائة زوجة.

نخلص من ذلك كله أن صاحب الفضيلة  
أو فضيلة الصاحب- جزاء الله عن الفقراء  
والحررين في الدنيا من المسلمين خير الجزاء  
وأولاء- لم يخطئ في نقل هذه البشارة  
العظيمة لمشاهدي التليفزيون- خاصة  
المعزين والمطهرين- وإن بالغ في ذكر عدد  
الزوجات.

لزيد من المعلومات عن «حريم المسلم في  
الجنة» وأوصافهن وكافة أحوالهن يمكن الرجوع  
إلى كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفرح»  
للإمام ابن قيم الجوزية وهو مطبوع عدة  
طبعات في مصر ولبنان:

الأخر «الفاني»

هو مربوط الرعي السياسي لدى مهاجمي  
الراعي المهاب ذلك أنه جزء من المؤسسة  
الدينية- منهاها الراعي، هذه المؤسسة في  
مقدمة مهاجمي مساندة النظام الحاكم وإضفاء  
الشرعية التي يفتقدونها عليه وتزييف وعي  
القاعدة الجماهيرية العريضة وصرف انتباهها  
عن الواقع الأليم الذي تعيشه حتى لا تتحرك  
وتحصل على تغيير. ويقع ذلك بإقتناعه بأن  
هذه الدنيا جميلة وظلالها كلاب وأنها عرض  
زائل وزخرف وزينة وأنها لا تثبت أن تفتن  
ومهما طال عمر المسلم فيها فقصير المرات،  
وأن الراعي حق الرعي هو من يحرص عن  
الدنيا الدنية، بأن يولي الصفاته إلى الجنة  
ويحصل من أجلها حتى يفرق بملأها ومتمها  
من خمير واليان وعسل مصفى وأنها رعيون  
وفواكه وريحان ونجوم ولفرش ويسط وملابس  
حريرة، وتجناب على الروس وأهم من ذلك:  
الولدان الذين هم كالفولز المتشور والحدود  
العين والكراعب الأثواب اللاتي لم يطمعن  
من قبل إيس ولا جان وفي كل مرة تحصد  
الزائدة منها عذرا، بكونا لم يفرض خافها مع  
منحه طاقة صبارة هائلة على الجماصة  
اليوسمية، في حديث أبي أصاصه لها  
«للحريرة» قبل شهي وله ذكر لا ينفي.

هذا دور مرسوم بدقة متناهية تقوم به  
«المؤسسة الدينية» عن طرق الوعظ والخطبة  
عبر أخطر جهاز إعلامي «التلفاز» وفي  
مقابل ذلك ينفق النظام الحاكم على أفرادها:  
الرهائش والرتب والمعطيات والمنسج  
والهيا... الخ.

## ٧٠٠ زوجة أبقار دائما

### خلل عند العزم

حريم قسري يباح ساقها من  
وراثته، ويصفون ابن قيم الجوزية وهو  
أحد منابع سفر تكوين أفكار «الجسماءات»  
بأنهم: «العراش، المتحسسات، القنجات،  
الشكلات، المتحسسات، الغلمات أي اللتهبات  
شهوة وشيقا للوط. والمباحضة» ويرى مقاتل  
بن سليمان- وهو من قدامى مفسري القرآن  
الكريم: «إن الضيق يستحب فحين في أربعة  
مواضع: فيها وخرفى أذنها وأنفها و«وما هناك»  
ولعل القارئ- فطن إلى ما يقصده مقاتل  
بعبارة: «وما هناك».

والأصايد التي وردت في المفاصلة  
اليوسمية الأبدية لكل واحدة منهن وعودة  
الصلبية أو البكارية لها من جديد، هذه  
الأصايد رغم أنها رويت عن بعض كبار  
الصحابه فإن «الصبارقة» صياغة الحديث لا  
يصدقون عنه، لا يعرف حاله» أو «أنه ليس  
بشيء» أو «أنه واه» أو «أنه متروك» فيرد  
عليهم «الجهالة» جهالة الحديث بأن تعدد  
رواية الحديث الضعيف تقويه وترفع درجته.

إذا هناك حديث صحيح رواه القرطبي  
في جامعهم عن لقادة عن أنس عن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال: «يعطى المؤمن  
في الجنة قسرة كفا وكذا من الجساج، قيل  
يا رسول الله أو يطبق ذلك، قال يعطى قسرة  
مائة ويستنتج شراح الحديث ضرورة وجود  
مائة زوجة لتلقى هذه القسرة الهائلة الحارقة  
على النكاح إذ أنه يستحيل على زوجة واحدة  
أو أربع أن تطيقها».

وطبقا لهذا الحديث «الصحيح» القى رواه  
الترمذي أحد أصحاب الصحاح الستة التي

شيخ جسم مهيب ظهر في التلفزيون،  
وشر من يدخل الجنة بمسحاة زوجة  
هذاري، يتفخضهن كلهن يرمسا ويعد أن  
يتكلم الواحدة منهن ويضع نفسه ومذاكيره بها  
تعود بكرا مخترمة كما كانت وهكذا وهكذا  
إلى أبد الأبدن وهو الداهرين.

ثارت أقلام على صاحب الفضيلة وأصلته  
بتيران حامية: مجرما وتهكسا وتطاولا على  
شخصه الرقور وعلى المصادر التي استخرج  
منها هذه البشارة المفرحة التي أدخلت  
على قلوب المشاهدين الغبطة والحبور، ودلت  
بذلك على أمرين:

الأول

قلة بضاعتها الدينية وأنها في حاجة ماسة  
إلى دروس خصوصية أو تقوية في «مادة  
الدين» وكانت هذه السطور على استعداد  
لإعطائها إياها دون مقابل.

ثم إن الراعي المهاب لم يخطئ- فيما  
يشر به إلى جزئية واحدة وهي عدد  
الزوجات الذي تراوح في كتب الأحاديث  
ومؤلفات التفسير ما بين مائة إلى إثنين  
وسبعين والأصح هو الأخير منهن: إثنان  
من نساء الدنيا والمسيحون من الخور  
العين والكراعب الأثواب.

أما باقي القسرة أو البشارة فصحيح وله  
أسانيد قوية بل إنني أعطي الشيوخ أنه  
كتم من مشاهدي علما حذر الرسول صلى الله  
عليه وسلم من كتمساته وتعتي به هنا:  
رصد زوجات الجنة» وذلك حتى تكتمل  
فرحة المشاهدين وتتضاعف سعادتهم:  
عن سفيان الثوري، عن عبيد الله  
بن مسعود قال:

الشمع على أهل الجنة نور في قبايعهم كاد  
أن يطفئ أبصارهم فإذا به نور (س) حوراء  
ضحت في وجهه وأبى أي سيدها وزوجها).  
وعنه أيضا: «إن المرأة من نساء أهل  
الجنة لتلمس عليها سبعين حلة من

# قانون العمل الموحد.. في جنيف أولا- واخيرا! منظمة العمل الدولية تراجع المشروع قبل طرحه علي عمال مصر!

حسن بدوي

## ماذا تريد المنظمة؟

سهل أن نرجع إلى الداخل.. لنرى أولا ماهي الحدود التي تحكم اجتماع خبراء منظمة العمل الدولية ويحتل أطراف العمل في مصر.. المنظمة ستكرر بالقطع ملاحظاتها التي تسجلها سنويا على مجلس التشريعات المصرية المتعارضة مع الاتفاقيات الدولية الصادرة منها والموقعة من حكومة مصر.. ومن بينها قانون العمل..

سيد راشد



يسافر إلى جنيف منتصف مارس الحالي وفد من ممثلي الحكومة ورجال الأعمال والعمال للاجتماع مع خبراء منظمة العمل الدولية بشأن مشروع قانون العمل الموحد الذي تم إعداده في مصر مؤخرا. وذلك في أول سابقة من نوعها.

الهدف من الاجتماع هو تأكيد خبراء المنظمة الدولية من عدم تعارض المشروع مع مستحبات العمل الدولية والاتفاقيات التي وقعتها حكومة مصر بشأ الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والحقوق النقابية الصادرة عن المنظمة.

ويجسد الاتفاق على المشروع في الخارج بصبح الأمر سهلا- من وجهة نظر الحكومة المصرية- في الداخل، إلا أن الأمر في الواقع ليس كذلك، فالحلقات بين طرفي العمل في مصر، العمال وأصحاب الأعمال كبيرة حول مشروع القانون والحكومة في مأزق.

هل ترضى أصحاب الأعمال- وهذا هو الأرجح- قسطنطين بوابة جديدة واسعة للصراع الاجتماعي لاتقل خطورة عن صراع الإرهاب والفساد؟ أم ترضى العمال- وهو ما لا يتفق مع المتغيرات التي فرضها صندوق النقد الدولي باليات السوق والخصخصة- وتواجه ضغوطا اقتصادية وسياسية واسعة من رجال الأعمال في الداخل، وضغطا أشد من الصندوق والبنك الدوليين؟

\* تدعو المنظمة إلى إقرار مبدأ المفاوضة الجماعية بين العمال وأصحاب الأعمال حول الأجور وشروط وظروف العمل والمعيشة.

\* وتضرب على ذلك دهرتها حق العمال في الإضراب عن العمل مقابل حق أصحاب العمل في إغلاق منشاتهم.

\* وتتنتقل من ذلك إلى ضرورة تغيير قانون النقابات العمالية بما يخلق حرية العمال في تشكيل نقاباتهم ووضع لوائحها ويغني كل وصاية إدارية عليها- وإن كان هذا المحور خارج المناقشة المباشرة لتأمين العمل الموحد، باعتباره يتعلق بقانون آخر.

\* وبالمثل يأتي المحور الرابع الأساسي لاعتراضات منظمة العمل الدولية- خارج نطاق قضايا الاجتماع القادم في جنيف- وهو المحور المتعلق بإلغاء كل النصوص التعزيمية المقيدة للحريات في قانون العقوبات وقانون حماية التميم من العيب ١٩٨٠ لسنة ١٩٨٠ وقوانين حماية الجبهة الداخلية ١٩٧٨ خاصة ما ورد بهما بشأن سلطة المدعي الاشتراكي في الاعتراض على المرشحين للنقابات العمالية وقانون التجمهر وغيرها من القوانين المصرية.

وقد سجل خبراء المنظمة آراهم في الخطوط العامة التي يجب أن تتوافر في مشروع قانون العمل الجديد، في بداية أعمال

اللجنة التي تشكلت لهذا الغرض منذ عامين برئاسة د. أحمد حسن البرهسي الاستاذ بحوق القاهرة. أكد الخبراء ضرورة أن يحق المشروع التوازن بين أطراف العمل، ومبدأ المفاوضة الجماعية والمشاركة بدلا من المراجعة بين العمال وأصحاب الأعمال، وهو ما عرّفه د. البرهسي في الدورات التي تعقد منذ ديسمبر الماضي لجلسات مختلفة من النقابيين وموظفي وزارتي العمل والتأمينات وممثلي اتحاد الصناعات ورجال الأعمال للترويج لهذه الأفكار، ويضبط من خلالها بشدة رجال الأعمال ليأتي المشروع مطلقا لسلطاتهم ومستطأ أي التزامات اجتماعية لهم تجاه العمال..

#### الموقف المصري

الأطراف المصرية الثلاثة في الاجتماع المقبل تلعب محملا بخلافات حول مطالب منظمة العمل الدولية.

فالحكومة وممثل العمال يرايان على مبدأ المفاوضة الجماعية وعلى إدراج حق الاضراب في نصوص القانون، وإن كانا يقدمانه بالآية في مصنع أو منشأة إلا بموافقة ثلثي أعضاء مجلس إدارة النقابة العامة على الأقل، وهم أعضاء يكون معظمهم من مناطق ومحاكمات بمسيدة عن المصنع المعنى، ولم يتخبرهم عمال ذلك المصنع، ولا يفتخرون بالحاسبة جميعته العمومية أن اتخذوا إقرارا عكس ما قرره.. كما تطرح الحكومة بواقفها بخلاف العمال (أي القيادة العليا لاتحاد النقابات) حظر الاضراب في منشآت الخدمات الحيوية التي يصدر بتحديد قرار من رئيس الوزراء.. فضلا عن ضرورة إخطار الجهات الإدارية قبل موعد الاضراب بخمسة عشر يوما بمرعده وأسبابه. وحظر الاضراب أثناء التفاوض، أو أثناء مدة سريان الاتفاقية الجماعية التي سبق ترقيمها بين العمال وأصحاب العمل، حتى وأن اقتضت الضرورات تغييرها.

على الجانب الآخر، وفي محاولة منهم لتسريع النصوص الأشد سؤا في مشروع القانون يضبط رجال الأعمال لإلزام أي نصوص في المشروع تشير إلى

## تحذيرات نقابية للحكومة

### من سلق قانون

### بمس مصالح

### ٩ مليون عامل

\*\*\*

### رجال الأعمال

### يضغطون

### لاستبعاد المفاوضات

### الجماعية

### وحق الاضراب

\*\*\*

أحمد العاصي



للمفاوضة الجماعية، ويعتبرونها دمجية للوقت، وتدخلها في سلطاتهم وتؤثر على الأوضاع الاقتصادية لنشأتهم، وبالتالي فإنهم يرون استبعادها واستبعاد حق الاضراب عن العمل معها.

#### الأشد سؤا

وإذا كان رجال الأعمال يدركون أنه من المستحيل في تشريعات نظم آليات السوق والمخصصة للاقتصاد الحر استبعاد المفاوضة الجماعية والاضراب، ويدركون أيضا أن خبراء المنظمة الدولية والحكومة وممثلي العمال لن يتراجعوا عن ذلك.. فإن الهدف الحقيقي لهم يتضح في أنهم سيفرلون الاجتماع في قضايا أصبحت بدنيها لتحقيق هدفين فيما بعد..

أولا: تحرير المشروع الحالي بما فيه من مفاوضة جماعية وإضراب ليس مهما إطلاقا لسلطات أصحاب العمل في فصل العمال، وإلغاء أي تصريحات أو نصوص محددة بشأن الأجور، بما فيها الحد الأدنى للأجر.

ثانيا: تعديل عدد من التشريعات الأخرى للتحقق من أي التزامات تفرضها على أصحاب العمل تجاه العمال، وفي مقدمتها قانون التأمينات الاجتماعية الذي يلزم صاحب العمل بدفع نسبة من اشتراك العمال في التأمينات، ويخص على إعانة البطالة للعامل الذي أجبر على ترك العمل، وتستمر هذه الإعانة بنسب تتخفف تدريجيا لمدة ستة شهور. وقانون التأمين الصحي الذي يلزم أصحاب العمل أيضا بدفع نسبة من اشتراك العامل.

#### عودة إلى السخرة

والمشروع الحالي يتضمن تفاصيل كثيرة قد لا يتطرق إليها اجتماع جليل باعتبار أن ما يهم خبراء المنظمة الدولية هو الآليات العامة للعلاقة بين طرفي العمل - إلا أن هذه التفاصيل إذا أقرت فإنها - كما جاء في مذكرات للمعدين من النقابيين وجهرها إلى رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال - ستعيد علاقات العمل إلى عهد السخرة.

فالمشروع يعطي صاحب العمل حق فصل العامل دون تحديد لأسباب الفصل إلا في عبارة «لنسب مشروع وكأن» ولم يحدد



## لحم العمال الحى

يتعرض العاملون في الحكومة، والقطاع العام والقطاع الخاص لهجمة شرسة تستهدف إعادة صياغة علاقات العمل بما يضمن السيطرة الكاملة لأصحاب العمل والنزول بالحقوقي العمالية إلى الحد الأدنى وذلك من خلال العديد من الآليات.

فهناك أولاً مشروع قانون العمال الموحد الذى يضيف قاعدة خطيرة هي حق صاحب العمل فى إنهاء عقد العمل فى أي وقت يشاء، مما يعنى عمليا إقرار مبدأ الفصل التعسفى دون الحديث عن ذلك صراحة، لأن تعيين العاملين فى الشركات يتم بعقد عمل. ويكتفى مشروع القانون الجديد بتعديد الحد الأدنى للأجور وعزله للمفاوضة بينية بين العاملين وأصحاب العمل لتحديد هيكل الأجور وقواعد منح العلاوات والترقيات الأمر الذى يعنى عمليا ضرب وحدة الطبقة العاملة فى التصميم وتفتيت مصالها المشتركة، وترك القطاعات الضعيفة فيها تحت رحمة أصحاب العمل لأن قدرتهم التفاوضية ضعيفة بحكم عزلهم فى وحدات مبشيرة وصغيرة مثل العاملين فى قطاع التجارة ووحدات الخدمات العامة (مستشفيات، مدارس، محلات تجارية، الخ) بالرغم من أنهم يمثلون نسبة كبيرة من العاملين.

وهناك أيضا الاتجاه إلى دمج هيئة التأمين والمعاشات وهيئة التأمينات الاجتماعية مع ربط التأمين الصحى بالتأمينات الاجتماعية، وما سوف يصحب ذلك من تقليل التزامات أصحاب العمل تجاه العاملين وزيادة ما يتحملها العامل من أعباء، فى نظام التأمينات وفى العلاج وتمن الدوا.

وتخسر التأمينات الاجتماعية 2 مليار جنيه سنويا لاستثمارها بسعر فائدة أقل من السوق 8% كان يمكن استخدامها فى تحسين المعاشات ودعم التأمين الصحى، ويطالب أصحاب الأعمال بالحصول على قروض من هذه الحصيلة بسعر فائدة منخفض بجهة توليف فرص عمل جديدة.

وهكذا يتأكد أنهم لا يورعون فى اقتطاع أكبر كمية من لحم العمال الحى والارأسالية لا تنظر إلا من خلال تكتيف الاستغلال. فمن يصدى لهذه الهجمة الشرسة؟

## عبد الغفار شكر

وسابق الحكومة فى تقرير هذه الانقلابات التشريعية ودن الاكثريات بأراء الأحزاب والمنظمات الجماهيرية عديدة. فقد كشف السيناريو الذى وضعته لتدمير قانون العلاقة الإيجارية بين المالك والمستأجر فى الزيف عن أن كل ما سبقه من مناقشات كان مجرد ديكور شكلى، ومحاولات الحكومة الكثير من تحذيرات وأراء واقتراحات حزب التجمع. وكشف طريق القانون خلال عام واحد فقط عن خطورة تجاهل هذه الأراء والاقتراحات. والتأثير السلبي لهذا التجاهل - إلى جانب السياسة الزراعية الخاطئة للحكومة - على مجمل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الريف وعلى تطور الزراعة فى مصر.

نفس السيناريو تكرر عند إقرار قانون الضريبة الموحدة وعدم التفات الحكومة سوى لمصالح كبار الملاك الزراعيين الذى يهتمون بتفوق قوى داخل مجلس الشعب، وكبار رجال الأعمال الذين تدرك الحكومة أنها لن تستطيع سياساتها وكفاة أجهزتها الحالية ضبط

تهربهم من الضرائب. بل إن الحكومة أجبرت نوابها - بالأمر - على إقرار قانون والضريبة الموحدة التى لا يأتى قبلها منذ طرحه كمشروع وحتى الآن، من معظم النواب وكل الهيئات الاقتصادية والمنظمات الجماهيرية بما فيها الاتحادات الصناعية والرفق التجارية ورجال الأعمال، وأدى إصرار الحكومة على تقريره استجابة لشروط صندوق النقد الدولى وروغبة منها فى ترضى انخفاض عائدات المصارف - طبقاً للأوامر الدولية بتحرير التجارة الخارجية - بجمالية مزيد من الضرائب من المصريين، أدى كل هذا إلى تفاقم حالة الكساد والركود وفى السوق المصرى.

● فهل ير مشروع قانون العمل الموحد بنفس السيناريو المعاد؟

السؤال ليس مرجحاً للحكومة. ولا حتى لتساهدات اتحاد نقابات العمال التى ينتمى معظم للحزب الحاكم ولا يجرى على مخالفة أوامره.

ولكنه مرجح بالدرجة الأولى لأحزاب اليسار وإدارتها النيابية وقواعدا العمالية.

هل ير القانون بشكله المطروح حالياً لتعزده علاقات العمل من جديد إلى عهد السخرة؟

وصحيح أن العامل أن يظل طول عسره تدلى فى ساقية البحث عن فرصة عمل مضروبة، وكسرة غير وجرعة ماء... ونصحو من جديد على انقلابات أخرى أهد خطرنا.

أى أسباب تكون مشروعة وكافية، وأبها لا يكون، وما هي الجهة التى تحدد التشريعية والكفائية من عملها. كما يعطيه حق فصل العامل دون إخطاره، والمقربة مجرد دفع أجر فترة تتراوح بين شهر وثلاثة شهور للعامل المقسور - طبقاً لظرف مدة خدمته - يحوز صاحب العمل لأسباب اقتصادية خاصة بالمشأة لتفويض أجر العامل أو تكليفه بعمل غير متفق عليه فى العقد ولو كان يختلف اختلافاً جوهرياً عن عمله الأصلي، شئ من أحوال النقابة. وألقى المشروع للجان الثلاثية التى تنظر فى قضايا الفصل قبل اللجوء للقضاء، وكان موقفها غالباً يعزز موقف العامل أمام المحاكم، كما أنه لم يلزم صاحب العمل بإعادة العامل إذا حصل على حكم قضائى بذلك، إلا إذا كان العامل نقابياً.

## انقلاب تشريعى

وفى لقاءات مع العديد من النقابيين الذين شاركوا فى دورات التصريف (أو الترويع) بقانون العمل الموحد، كان معظمهم يشمر بالإحباط والقلق من الانقلاب التشريعى الشامل والتسارع طبقاً لما تقرره المتغيرات نحو اقتصاد السوق. وغير بعضهم من عدم جدوى صراعهم مع رجال الأعمال فى تلك الاجتماعات المغلفة بمزكدين أن إقرار المشروع سيهم بعيداً عن القواعد النقابية والمصالحية، وأنهم يهتمون بمواجهة الجميع - كالعادة - بتقديم المشروع إلى مجلس الشعب بعد فترة قصيرة من اجتماع جنيف - الخاصة وأن المشروع لم يصل بعد للثقات العامة للنساء. وتكتفى الحكومة بأن الاتحاد العام لنقابات العمال كان له تعليق فى لجنة إعداد المشروع وفى اجتماع جنيف.

ويحذر النقابيون من تكرار ما حدث عند إقرار قانون لقطاع الأعمال العام ٢٠٢ لسنة ١٩٩١ حيث لم تجهد النقابات وقضا كانها لتناقضه لتعتمد الحكومة إغفاء المشروع لفترة طويلة. وأقتصر الأمر على اجتماعات قبل أيام من مناقشة المشروع فى البرلمان فت فى عدد محدود من النقابات العامة الصناعية مثل نقابات الصناعات الهندسية والكيميائيات وعمال التجارة. إلا أن الأمر هذه المرة أشد خطورة فالمشروع الحالى يمتلئ بقرارات علاقات عمل جديدة تشمل التأمين بالقطاع العام والخاص والاستثمارى معا والذين يتجاوزون تسعة ملايين عامل.

« لم أجد نيرانا فتحت على نائب، ملثما حدث مع النائب سىء الحظ «عبد العزيز حنطة» فى جلسة الأمم بـمجلس الشورى.  
فبمجرد أن أطلق الرجل جملته الشهيرة قائلا: إن الحكومة تقهر الفلاح، إلا وقامت الدنيا ولم تقعد، وحوصر النائب من كل جانب. واشترك كل من المنصة والوزراء بل وزملاء النواب فى التكنيل به. وتنافس الجميع فى توجيه الضربات المتلاحقة إليه. وفقد النائب توازنه وأصابه الدوار، وأراد أن يتراجع ويعيد تجميل عبارته دون جدوى».

المحرر البرلماني لجريدة الأهرام - ١٩٩٣/١٢/١٩

# نعم الحكومة تقهر الفلاح

الحكومة-فعليا- بتصفية الدور الاجتماعى للتعاون-المخالفة للقواعد الدستورية الأساسية- فهي تحاول أيضا أن تهدر أي دور ديمقراطى له، بالمزيد من تدخل الأجهزة الإدارية فى نواحي التنفيذ العملى للأششطة التعاونية، مما أدى إلى أن يذكر القطاع التعاوني- وهو يتقدم بمطالبه لتنفيذ خطة ٩٤-١٩٩٥- إن الحكومة لم تنفذ أي مطلب للقطاع التعاوني بالنسبة لخطة ٩٣-١٩٩٤، مما ترتب عليه عدم تمكن هذا القطاع من تنفيذ معظم ما تضمنته تلك الخطة، كما ورد بجريدة التعاون فى ١٧/١٢/١٩٩٣.

... أليس تصفية التعاون، وحرمان الفلاح من خدماته، قسرا من جانب الحكومة للفلاحين؟!

ثانيا- إهدار مصالح المستأجرين وصغار الملاك بالتعديلات الأخيرة للعلاقة الإيجارية، بالرغم من أن تعديلات القوانين المتعلقة بالإيجارية الزراعية، كان قد أصبح ضرورة موضوعية، إلا أن الحكومة أصرت

## عريان نصف

وكان نتيجة ذلك زيادة أسعار هذه المستلزمات- خلال البضع سنوات الأخيرة- بنسبة هائلة ومتوالية، تصل فى المتوسط العام لكل من الأسمدة والمبيدات والعقار والمبيدات وأجر ماكينات الري، إلى حوالى ١١/٧٠٠ %

\* تحولت بنوك القرى التى استولت على اختصاص التعاون فى تقديم القروض اللازمة للفلاح للتمكن من الانتاج والتى كانت بفوائد رمزية فى المجموعات - إلى مراب جشع فى مواجهة الفلاحين.

\* فى الوقت الذى تقسم فيه

ولكننا لم نفقد توازننا ولم يصيبنا الدوار ولن يحدث- ولذلك فإننا نؤكد على مقولة عضو مجلس الشورى- نعم، الحكومة تلهم الفلاح.

ولا نقول ذلك لمجرد أننا نعارض الحكومة، ولكن من خلال الأوضاع الفلاحية والزراعية المعترف بها حتى من قادة السياسة الحكومية فى المجال الزراعي. ولن نعدد لتأكيد ذلك- مقارنته بين هذه الأوضاع الآن، وبينها فى الستينيات وحتى أوائل السبعينيات، ولكننا سنكتفى بما يوضح مدى قهر الحكومة للفلاح- فى كافة مجالات إنتاجه وحياته- فى السنوات الأخيرة فحسب.

أولا- حرمان الفلاح من الخدمات التعاونية، ويشمل ذلك فيما يلى:  
\* إلغاء الدعم عن مستلزمات الإنتاج- التى كانت تتوافر مدعومة بالمجموعات التعاونية، وتحول السيطرة عليها- استيرادا وتداول- للقطاع الخاص فى إطار ما يسمى بسياسة «تحرير الزراعة»

على تعديلات من شأنها الاضرار بالفلاحين والانتاج الزراعي، كما يلي:

\* رفع القسيمة الاجبارية من ٧ أمشال الضريبة العقارية إلى ٢٢ مثل هذه الضريبة دفعة واحدة، بما أوصل هذه القيمة إلى مايقرب من ٧٠٠ جنيه للفدان الواحد.

وكان تنسيجة ذلك أن اضطر آلاف المستأجرين هذا العام إلى بيع مواشيهم حتى يتمكنوا من السداد الذي كان شديد الصعوبة عليهم وخاصة مع الارتفاع الجنوني في تكاليف العملية الانتاجية الزراعية.

**تهديد مستقبل ملايين المستأجرين وأسرمهم الذين وضعتهم التعديلات الجديدة في خيبار بين أسرين كليهما مدمر لحياتهم:** إما ترك الأرض منذ صدور القانون مقابل تعرض زهيد، أو تحمل المزيد من المحاسن في العمل بها لمدة خمس سنوات ثم الطرد منها بلا تعويض.

**الاضرار بمصالح صغار الملاك،** فهم لا يستطيعون الزراعة، والمستأجرون غير قادرين على سداد القسيمة الاجبارية، وأسعار الأرض- وبقيا لذلك- مستخفضين بـ ١٠ على حركة العرض والطلب عليها.

.. أنيس اهدار العسوان النسبي في العلاقة الاجبارية- بهذه الصورة- قهرا من جانب الحكومة، تجاه الفلاحين؟

**ثالثا ثبات أو انخفاض أسعار المحاصيل الزراعية:**

بالرغم من الارتفاع الكبير لتكاليف الانتاج الزراعي، فقد انخفضت أسعار المحاصيل أو ثبتت- بالنسبة لبعضها- على أسعارها السابقة.

\* فبالنسبة للقمح واللوز، ثبتت على أسعارها سابقا لهذا الارتفاع في أسعار مستلزمات الانتاج.

\* أما الأرز فلم تكف الحكومة بخفض سعر استسلامه من المزارعين، بل امتنعت المضارب عن استلام والفلبيني منه مما اضطر الفلاحين إلى بيعه بأبض الأسعار.

\* ووصل الأمر بالنسبة للفلبسب إلى امتناع المزارعين عن زراعته في بعض المواقع كمحافظة سوهاج، وأجبارهم من جانب إدارة مصنع سوهاج مستعينة بالشرطة على زراعته التي لم تعد تعطي عائدا مجزيا لهم أو حتى متوازنا مع تكاليف زراعته.

... لا يمثل هذا الاضرار حق الفلاحين المتجنين في الحصول على عائده مجز زراعاتهم لهذه المحاصيل وغيرها- قهرا من الحكومة

للفلاح!!

**رابعا- الضرائب والرسوم المتزايدة على الفلاحين:**

بالرغم من كل هذه المعاناة التي يحيهاها الفلاحون في سبيل استمرارهم في زراعة أرضهم فإن الضرائب و«المكوس» تتراكم عليهم أيضا:

\* فالقانون رقم ٥١ لسنة ١٩٧٢ الذي يقضى باعفاء الحائزين لثلاثة أفدنة فأقل من الضريبة العقارية مازال حتى الآن- وبالرغم من كل مآثره حول ضرورة تطبيقه- غير معسول به في أغلب المحافظات تحت حجج وتعتيقات ادراية لا علاقة للفلاحين بها.

\* الفلاحون ينجأون كل عام بالعديد من الضرائب والرسوم ومقابل الخدمات التي لا يعملون عنها شيئا سوى ضرورة تحصيلها منهم.

.. أنيس في ذلك، قهرا للفلاح من جانب الحكومة؟

**خامسا - هجوم الأراضي الجديدة:**

\* أن تهدر مشروعات زراعية كبيرة، كمشروع الصالحية الذي وصلت خسارته إلى أكثر من مليار جنيه، وتدمر كافة مجالات انتاجه للدواجن والأسماك والماشية والأعلاف، وتتصحر أغلب أراضيها الزراعية، ويقذف إلى الجورل بمعالجة زراعية وقتية تبلغ حوالي خمسة آلاف مواطن..

\* وأن يصل الأمر بالمزارعين بالأرض الجديدة بفرب التزوير إلى تحجير محضري بوليس في قسم شرطة العاصمة في شهر

٥. يوفى والى



نوفمبر ١٩٩٣ ضد وزارة الري بعد أن ضاع جهدهم الشاق في استزراع ثلاثة آلاف فدان تم بوراها وماتت زراعاتها..

.. ألا يحزن ذلك قهرا من الحكومة للفلاح... حتى الفلاح «الجهيد»!! ألا تكفى كل هذه الأضرار- وغيرها كثير- لتثني منها مدى ما تلحقه الزراعة ومايعانى منه الفلاحين؟

نحن لا ننكر بهذا التقسيم الواقع الفلاحى والزراعى الناتج عن السياسات الحكومية في هذا المجال:

\* المهندس فؤاد هجرس يعلن- في جلسة مجلس الشعب في ١٩٩٣/٣/١٦،

أن «جميع المدخلات للانتاج الزراعى قد زاه سعرها زيادة وهيمة بنسبة ١٠٠٠٪ من عام ١٩٨٢ إلى عام ١٩٩٢، كما يلاحظ وأن قروض الاستيراد - محاصرية قطاع الزراعة- بلغت ١٦٪ لاستيراد المواد الغذائية، وقروض الانتاج الزراعى- لانتاج الزراعة- بلغت ٢٢٪»

\* ونائب الحزب الوطنى حدى الطحان يتساءل- «إلى أين سوف تذهب الحكومة بالفلاح بعد تخطيط سياستها تجاه الزراعة؟ هل تستهدف تدمير تلك القاعدة الانتاجية التى قامت عليها مصر منذ القدم؟

\* الدكتور محمد عبد الله رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب، يعلن أنه ينضم إلى آراء الفلاحين «في رفض غياب الدولة في الزراعة وترك الفلاح وحده يلهث وراء آليات سوق غير مأمونة وغير مضمونة لوحدة انسانية ضعيفة وهى الفلاح».

**الاستأذ محصور معوض- المحرر بالأهرام،** يقرر في صدر تحقيق صحفي أجراه حول الزيارة الميدانية التى قامت بها لجنة الزراعة والري بمجلس الشعب لبعض المحافظات في شهر يوليو ١٩٩٣ «لعل أخطر ما كشفت عنه هذه الزيارة البرلمانية الجاهدة، أن الارتفاع الهائل في تكاليف الزراعة في ظل السياسات السوق وهيمة ينك الأثمان وانقراض مايسمى بالتعاونيات، سوف يدفع الفلاح إلى القفارة على التصرف في أرضه بعد عجزه عن زراعتها».

أخى السيد / عبد العزيز حتاتة- عضو مجلس الشورى.

أرجوك- بعدك كل هذا- أن تتمسك بمقولتك ولا تحاول تجميلها..

فالحكومة... تقهر الفلاح!!

# الأبعاد الاجتماعية لسياسة التحرير الاقتصادي

## في مصر

### عند المولى إسماعيل

الصندوق أو برامج التكيف الهيكلي كما حدها أنثان من خبراتنا الاقتصادية فإن السؤال الذي يطرح نفسه وإلحاحاً، ما أثر تلك السياسات على القطاعات الاجتماعية من ناحية، والمجتمعية من ناحية أخرى؟

المتفتح لأوضاعنا الاقتصادية سيلعب حقيقة الأرقام ومآلات إليه الأمور.

فقطاع الزراعة- وفقاً لتقرير البنك المركزي- بلغ معدل النمو الحقيقي في قيمة الانتاج الزراعي في السنة المالية ٩١/٩٠ وهي السنة التي بدأ فيها تطبيق سياسة الصندوق ٢.٨٪ مقابل ٣.٤٪ خلال السنة المالية ٩٠/٨٩، في الوقت الذي كان فيه معدل النمو السنوي للقطاع الزراعي خلال الحطة الخمسية ٩١/٩٠ - ٦٥/٦٤ ٣.٦٪ أيضاً لم تزد المساحة المزروعة في ٩١/٩٠ عن مثيلتها في ٩١/٩٠ إذ بلغت ٩٣ ألف فدان.

أيضا انخفضت نسبة مساهمة الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي في السنة المالية

قطعت مصر شوطا كبيرا في طريق المحخصة والتوجه نحو ألها السوق في ظل مايسمى ببرامج الإصلاح الاقتصادي. وقد ألقت هذه السياسات بظلال كفيفة على كافة القطاعات الاجتماعية والخدمية مما أتمكس بدوره على كافة الطبقات والئات الاجتماعية.

وليس خافيا على أحد أن سياسة صندوق النقد الدولي تستهدف في المقام الأول تقليص دور الدولة على كاسفة الأصعدة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية وصغر دورها في مشروعات البنية الأساسية النصبه على بناء الطرق- الكبارى.. الخ

إن الفكرة الرئيسية في ذهن الصندوق في المرحلة الراهنة وكما يراها هـ. عهد الرازي حسن أحد خبراءنا الاقتصاديين البارزين، هي وضع السياسة الاقتصادية وإقصى سرعة في المسار الرأسمالي، بغض النظر عن الظروف التي يمر بها المجتمع، بغض الانفتاح مره والتوجه نحو ألها السوق مرة أخرى، الأمر الذي أدى إلى التركيز على رأس المال ومنحه الحرية كاملة وتقليص دور الدولة من خلال تطبيق مجموعة من الإجراءات المالية والتفدية ذات طابع انكماشى وبيع وحدات القطاع العام وتقل ملكيته للقطاع الخاص سواء المحلي أو الاجنبي.

بضال إلى ذلك أيضا وكما يرد على لسان هـ. الفرنسي عزيز المستشار السابق بمعهد التخطيط.. الإصرار الشديد من قبل الصندوق على تحرير أسعار السلع والخدمات بحجة تماثلها مع مستويات الأسعار العالمية، والتقصي التدريجي للأجور وبالذات ذوي الدخل الثابت والمحدود، مما يعنى نزول عدد أكبر من الأسر تحت خط الفقر. بخاف إلى ذلك السعي المصمم نحو مزيد من تحرير التجارة الخارجية وإلغاء كافة القيود على الواردات.

وإذا كانت تلك هي بعض الملامح لسياسة

(٢٨) الياسم/ العدد التاسع والأربعون/ مارس ١٩٩٤

٩٢/٩١ إلى ١٩٥٪ بعد أن كانت ٢٦٪ عام ٨٩. ولم يلق الأمر عند هذا الحد بل امتد إلى تدهور إنتاجية عدد من المعاصيل الزراعية الأساسية في مصر ومنها القمح، الأرز- القطن، فالقمح انخفض معدل النمو فيه إلى ٥٪ عام ٩١/٩٠ مقابل ٣٥٪ عام ٨٩. أيضا الأرز انخفض معدل نمو انتاج الأرز إلى ١٣.٨٪ عام ٩١/٩٠ مقابل ٢٧.٥٪ عام ٨٩. وتراجع إنتاج القطن إلى حدود خطيره للغاية حيث بلغت الانتاجية في عام ٩٢/٩١ إلى ٢٩١ ألف طن مقابل ٨٧.١ ألف طن عام ٨٧/٨٦.

وتعطينا هذه الأرقام والبيانات حقيقة مآلات إليه الأوضاع في قطاع الزراعة من تدهور شديد في الانتاجية وانخفاض في معدلات النمو أتمكست بدوره على العاملين في هذا القطاع وبخاصة مع بدء برامج التكيف الهيكلي في مجال الزراعة المصرية. وإذا كانت الدراسات تشير إلى أن معدلات البطالة في صفوف العمالة الزراعية بلغت في عام ١٩٨٥م ٥٥٪ فإنها قد جاوزت السبعين في المائة من جملة السكان الزراعيين في العام ٩٢/٩١.

وقد كان لتطبيق سياسات الصندوق في المجال الزراعي من إلقاء كافة أنواع الدم للانتاج الزراعي سواء أسسه أو مبيدات، وتوجيهه كافة أسعار المستلزمات الزراعية إضافة إلى فرض رسوم على مياه الري بينما الأرض تحقق عائنا متخفضا محدنيا للغاية.. أن زاد عدد المدميين في الريف المصري مما يعنى في النهاية هجر الفلاحين لأراضيهم والبحث عن مجالات عمل أخرى، الأمر الذي سيؤدي إلى انهيار أوضاع الزراعة في بلادنا ويشير التقرير الاقتصادي العربي الموحد إلى تناقص نسبة العمالة الزراعية إلى عدد السكان الزراعيين حيث بلغ عدد السكان الزراعيين في مصر سنة ١٩٨٥م ١٨.٥٩٠ نسمة وكانت نسبة العاملين في الزراعة ٤٥.٦٪ وفي عام ١٩٨٥م بلغ عدد السكان الزراعيين ١٨.٥٩٠م ٢٠.٠٠٠ نسمة كانت نسبة العمالة الزراعية ٤٠٪ وتوالى أزدباد السكان في العام ١٩٩١م في الوقت الذي انخفضت فيه نسبة العمالة الزراعية إلى ٣٩٪. وإذا كانت هذه الأرقام تعطينا فكرة عن مدى التدهور الذي أصاب الزراعة المصرية إلا أن الدولة تصير على الاستمرار في نفس سياسة التحرير والتوجه



هـ. رمزي  
رئيس

نحو آليات السوق.

ويطلق د. عبد الرازق حسن صيحة تحذيرية، إن تقليص دور الدولة بالنسبة للسياسة الزراعية وإطلاقها كما ينادي الصندوق له أثر خطير، لأن مصر خلاف دول أخرى الموارد فيها محدودة والدور الزراعية مرتبطة بالمياه، فأرض مصر الزراعية مسطحة وليس مناطق منعزلة عن بعضها البعض والزراعة في منطقة تؤثر على منطقة أخرى وترك الأمر لآليات السوق يدفع بالمزارع للبحث عن المحصول الذي يعطيه أكبر عائد في المدى القصير الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى إفساد الدورة الزراعية.

وإذا انتقلنا لقطاع الصناعة فستجد أن الأمور أسوأ حالا فهيئات وزارة التخطيط تشير إلى تراجع معدل نمو الانتاج الصناعي خلال السنة المالية ٩١/٩٠ إلى ٥٦٪ وذلك مقابل ٧٢٪ خلال السنة ٨٩/٩٠، وأنخفضت مساهمة الانتاج الصناعي في الناتج المحلي إلى ١٧,٢٪ عام ٩٢/٩١ مقابل ٢٠٪ عام ٨٩.

وإذا كانت الحكومة تعزل كثيرا على القطاع الخاص في إحداث تنمية صناعية تسعوب عددا أكبر من العمال إلا أن الواقع الاقتصادي الذي يشهده الحكومة في ظل برامج التكيف الهيكلي له أكبر الضرر على القطاع الخاص الصناعي، فمخفف الطلب المحلي وانخفاض معدلات الاستهلاك لأفراد المجتمع المصري نتيجة لانخفاض القرى الشرائية وتدني الأجور الحقيقية وارتفاع معدلات البطالة وركود الأسواق يتسبب في ارتفاع مستويات الأسعار ارتفاعا جفريا سواء أسعار الطاقة التي من المقرر أن تصل إلى ١٠٠٪ من السعر العالمي عام ١٩٩٢م أو المواد الخام المحلية أو السلع الوسيطة التي يتم استيرادها من الخارج مما يزيد من كلفة عوامل الانتاج التي تؤثر في النهاية على زيادة سعر المنتج المحلي وعدم قدرته على المنافسة سواء المحلية أو الأجنبية وبخاصة في ظل تحرير التجارة وجمرة كشيور من الدول لصداها الأفراق، إضافة إلى القرارات التي تصدرها الحكومة والتي تعوق الاستثمار الصناعي المحلي وأخرها قانون الضريبة الموحدة الذي يفرض بمرس ٤٨٪ على من تجاوز دخله سنويا ٦٨٠٠ جنيه وهكذا يظهر المرقع المتناقض للحكومة والصندوق في الوقت الذي تنادي فيه بتشجيع الاستثمار وبخاصة الصناعي لجدها تتبع أساليب وسياسات من شأنها ضرب

الصناعة الوطنية في الصميم.

وإذا انتقلنا لتأثير برامج التكيف الهيكلي على العمال فحدثنا إدراك يكتفى ان تعلم أن هناك الآلاف من العمال يتم تشريدهم وفصلهم من مصانعهم بسبب سياسات المخصصة. بينما تتزايد معدلات البطالة بين العمال إلى حدود خطيرة تجاوزت الـ ٢٢٪، إضافة إلى تدني الأجور الحقيقية في ظل ارتفاع الأسعار للعمال إلى ١٠٠٪ لكثير من السلع والخدمات، وقد تم الاتفاق مع صندوق النقد على خفض أكثر من ٦٠٪ من مخصصات دعم السلع التموينية والأساسية في موازنة للعام الجديد على أن يتم الالتقاء الكامل لكافة أنواع الدعم مع نهاية برنامج التحرير في عام ١٩٩٥. وفي إطار خطة الحكومة لرفع الدعم نهائيا عن السلع الأساسية لمعدي الدخل تم رفع سعر أكثر من ٥٠٠ دواء من أدوية الأمراض المزمنة حيث تم رفع أسعار أدوية القلب والكبد والأعصاب والبالغ الأطفال بنسب تصل إلى ١٠٠٪.

ومن أحوال العاملين بالدولة فمستشرف تقارير البنك الدولي التي تنحدر أجور ومزومات العاملين في الدولة حيث أنخفضت قدرته الشرائية لم يتوسط أجور الموظف إلى ٥٠٪، وبالنسبة للمناصب العليا إلى ٢٥٪. هذا في الوقت الذي أصبحت فيه مجانية التعليم في الرابع ضريا من الروم فأقل مبلغ يدفع للدراسة ابتدائية ٣٠ إضافة إلى عبء الدروس الخصوصية، وفي مجال التعليم العالي لم تنفق الجامعات مليسا واحدا على تطوير معامل أو شراء كتب، والوحدات الصحية لا يوجد بها دواء ولا أجهزة فحص فالحلج والدواء لم يعد مجانيا، من هنا يتضح مدى العبء الضخم الملقى على عاتق العمال والطبقة المتوسطة في ظل سياسة الصندوق والبنك الدوليين.

وهنا يطرح تساؤل، من المستفيد إذن من تلك السياسات؟

في دراسة متميزة للدكتور رمزي زكي المستشار بمعهد التخطيط عن الآثار الاجتماعية والسياسية لبرامج التكيف الهيكلي على البلدان النامية يرى أن المستفيد من هذه السياسات والبرامج هم

١- البرجوازية العقارية؛ حيث أدت هذه البرامج إلى تعديل العلاقة الإيجارية بين المالك والمستأجر وتركها لآليات العرض والطلب وهو ماسيؤدي إلى زيادة حجم العرض الذي يؤهل لهؤلاء الملاك. وفي ضوء ضغط الاتفاق الحكومي الموجه للإسكان الشعبي

تفاقت أزمة الإسكان على الفقراء ومعدي الدخل الأمر الذي سبب ضغطا شديدا على إيجارات وأسعار المساكن الجديدة وحقق أصحاب العقارات السكنية الجديدة أرباحا ودخولا كبيرا. وأدى غياب الدولة إلى جمود عدد كبير من شريحة البرجوازية العقارية للمضاربة على الأراضي وشراء قطع كثيرة من الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن وأعاد، وبمها بفرص بناء المساكن ما أدى إلى ارتفاع أسعار الأراضي بالمدن والمناطق القريبة منها ارتفاعا قاهشا وحقق المستثمرون في هذا النشاط ثروات طائلة.

٢- البرجوازية العقارية وبخاصة فئة التجار المتشغلين بالاستيراد ففي ضوء السياسات والبرامج التي اتخذت بشأن سياسة تحرير التجارة وتغلي الحكومة عن استيراد كثير من السلع وتخفيضها لقطاع الخاص وفي ضوء التسهيلات الكثيرة التي وفرتها سياسة تحرير التجارة، أتجه المستوردون إلى استيراد الوان عديدة من السلع التي تنافس الإنتاج المحلي، إضافة إلى صرف مختلفة من السلع الكمالية وشبه الكمالية والتوزيع لاط من الاستهلاك الفردي السفيه والذي حقق لهم ثروات خيالية.

في ظل هذه المعادلة المحتلة، هل يتوقع تحسن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمجمل الطبقات والفئات الاصغاعية في مصر؟ تشير الأرقام أن حجم الأعباء يتزايد يوما بعد يوم وبخاصة مع إصدار الحكومة على تنفيذ سياسة التحرير والتوجه نحو السوق فبالدين العام المحلي ووفقا لتقرير البنك المركزي ارتفع من ١٤,٨ مليا جنيه عام ٩٢/٩١ إلى ١٨,١ مليار جنيه في موازنة ٩٢/٩٢. وإذا انتقلنا لتقرير البنك الدولي فنجده يشير إلى أن عدد الأسر الواقعة تحت خط الفقر المدقع وهو يشمل الأسر التي ليس لها عائل واحد له دخل ثابت بـ ٢٪ إلى ٧٪ من عدد ملايين مواطن إضافية إلى ٤٠٪ من عدد سكان مصر يعيشون تحت خط الفقر والذي حددته البنك الدولي بـ ٣٥٠ دولار سنويا، ومصادر البطالة بله أن معدلات البطالة في مصر تجاوزت الـ ٢٠٪ مع بداية برنامج التحرير ويدا يوازي ٣ ملايين عاطل وإذا كان سوق العمل يستقبل سنويا ما يزيد عن نصف مليون عامل في الوقت الذي تعجز فيه الحكومة والصندوق الاجتماعي عن توفير مائة ألف فرصة عمل سنويا وبحسبة بسيطة يتوقع أن تصل البطالة في مصر إلى ٤ مليون عاطل عام ١٩٩٥م

# التحالفات السياسية بين اليمين واليسار

## عيسى مصطفى

الحركة. وهنا يطرح مسألة هامة وهي ان الاخوان المسلمين لا يدخلون في تحالفات سياسية، ولا يتحالفون من اجل رهان السياسة الذي هو الدولة، إذن لماذا هو هذا المنطق الداخلي، وما هي رهاناته؟ يقول انه منطلق الدعوة الذي يفترض التصحيح وعلم اتخاذ مواقف حادة، فالأخوان المسلمون حركة سياسية واجتماعية تسعى الى التطوير والاصلاح الشامل عن طريق الفتح البطيء.

ولكن اذا كان هذا المنطق يتسلسل من واجهته نظر الاخوان - عدم ثني اليسار الاسلامي لمطالب سياسية واجتماعية محددة وواضحة، فعلينا ان ننسأ ايضا: عما اذا كان استبعاد المطالب الاجتماعية جزءا اصيلا من المشروع الفكري الراهن، وهنا يستدخل الأستاذ هبة الغفار فكري ليقول ان اشتداد الأزمة واتساع قاعدة الاخوان يحتم عليهم ثني واتخاذ مواقف مرافقة محددة، وبالتالي التخلي عن هذا المنطق، ولكن الاخوان يعتبرون ان الدعوة هي الاساس وتكوين حزب سياسي أمر محتمل ولكن كجزء من توجه الجماعة.

ومع ذلك فان رؤية اليسار الاسلامي لطبيعة التحالفات تظل قائمة، لهم بصرون على أن أي تحالف لابد أن يتم تحت راية الإسلام؛ وهو المنطق الذي استعسبه الاخرون لتأخر، فعلا عندما يقول ابراهيم بويش «نحن نلجأ الى التحالف في ظل الاسلام، وعلى أي مستبعد ان يستبعد كما يشاء حتى ولو قال كلاما يتجاوز ما يقوله الماركسيون». ولكن شروط ان يقول انه مؤمن بالمرجعية الاسلامية، وهو الأمر الذي تظهر خطورته، عندما يتحدث د. فؤاد سيد أحمد مطالبا بضرورة تحديد المفاهيم كإرهاب فيقول وفي الإسلام نحن مدعوون للإرهاب ولكن إرهاب العدو الذي يهددك في مصلحتك وعلى مرجعيتك».

وهكذا فإن عدم الالتزام بذات المرجعية يعني الثني، بل الثني الكامل. وهنا بالتحديد تجسّر نوع من الرضا تعددت مستوياته، فبعض الماركسيين الذين يعتبرون ان قضايا العلمانية والعقلانية جزء لا يتجزأ من الصراع الاجتماعي، اعتبروا ان ذلك تنبؤا صريحا للأخريين، بل ان (صلاح عدلي) قال ان صولف اليسار لم يعد فقط مقاومة التحالف الطبقي الحاكم

عدداً من القيادات السياسية والمثقفين من كافة القوى والتحيزات السياسية، أما اللقاء الفصائي، فكان له نفس الطابع ولكن على مستوى جيل الشباب وهو اللقاء الذي سيكون موضوع هذا التقرير. إن هذا اللقاء يتجاوز كونه مجرد مناقشة دراسية، فالأمر الأهم هو ذلك الحوار الحلي بين أطراف تصبان انتماءاتهم السياسية الاساسية ومرجعياتهم الفكرية: كيف يتحابون؟ وهل هناك قواسم مشتركة بينهم؟ أم ان التواصل لا مكان له؟ أم ان هناك نقاط اتفاق ولكن اللغة المستخدمة تلق عائلتها أمامها؟ كل هذه التساؤلات وغيرها ربما يجيب عنها عرض هذا اللقاء.

إن النقطة الهامة التي أثارت وجعنا الجزء الأكبر من النقاش هي مواقف اليسار الاسلامي من قضية التحالفات، وقد رفض بشكل هذا التيار ان يكون المعيار الطبقي هو الأساس الذي تبنى عليه التحالفات حيث تحدث د. فؤاد سيد أحمد (مدير المركز العربي الاسلامي للدراسات) مؤكدا على ضرورة ان تؤخذ قضية المصيرية الحضارية في الاعتبار، وخاصة فيما يتعلق بالهوية. فالقضية إذن مركبة، وتحتاج إلى منهج مركب لتفسيرها، فالتحالفات للدراسات) وكانز أولها مسألة الهوية وأخرها مسألة المصلحة السياسية والاقتصادية. وهكذا ومنذ البداية يطرح عقلو التيار الاسلامي منطقهم وفهمهم لقضية التحالفات، وهو الأمر الذي طالب به ابراهيم البهومي هاثم (باحث اسلامي) متفقاً معظم التحليلات التي يكون الاخوان المسلمون موضوعها والتي تتخالف عن المنطق الداخلي الذي يحكم هذه

ما هو مستقبل التحالفات السياسية في مصر؟ إنه السؤال الذي تنتهي عنده دراسة الأستاذ هبة الغفار شكر من واقع هذه التحالفات في الفترة من ١٩٦٠ - ١٩٩١. وتأتي هذه الدراسة في إطار مشروع بحثي موسع يشرف عليه مركز البحوث العربية، ويهدف الى اكتشاف مخرج من الأزمة الراهنة والتي تزداد استعصاء مع الموضع المطلق للثقل صندوق النقد الدولي والمضي قدما في تطبيق ما يسمى بسياسات التكيف الهيكلي.

والدراسة المقدمة تبحث في أحد الجوانب الهامة لهذا الموضوع وهو الجانب المتعلق بقضية العمل المشترك بين القوى السياسية (أو التحالفات السياسية) بداية من عام ١٩٧٦، وهو العام الذي شهد تحولات واسعة في وجهات السياسة والاقتصاد منذ انتهاء سياسات الانفتاح الاقتصادي، والقرار التعددية الحزبية، حتى عام ١٩٩١، وهو العام الذي شهد بحسب ما ترى الدراسة، توقف العمل المشترك لأسباب متعددة منها اختلاف مواقف الأحزاب والقوى السياسية حول قضايا هامة هي حرب الخليج، والارهاب، وانتخابات مجلس الشعب عام ١٩٩٠. وبين هذين الصاعين راحت الدراسة ترصد وتحلل من خلال الوثائق تلك الظاهرة الهامة في حياتنا السياسية، وهي ظاهرة التحالفات السياسية بما فيها من سلبيات وإيجابيات بهدف الاستكشاف منها آفاق المستقبل.

ولأن الدراسة منمينة بواقعنا السياسي الحاش، فبعد كان جزءا من موضوعها، واستكمالا لها ان يتم حرارها نقاش يحضره ممثلون عن كل القوى والتحيزات السياسية الموجودة في الواقع. ومن ثم فقد تم عقد لقاءين في مركز البحوث العربية ناقشة هذا الموضوع بهدف تطويره، ومحاولة الاجابة عن احتمالات المستقبل، وقد ضم اللقاء الأول



# غابت الاشتراكية فاشتد الإرهاب

د. خليل حسن خليل

الجماعات من الادعاء بأن لديهم الحل للمشكلات جميعها.

والحق أن المشكلات التي يعاني منها الشعب المصري، ليست مشكلات دينية. فالشعب المصري أكثر شعوب العالم دينياً. فالله مع المصري في كل مكان. والمصري يذكر الله وأسمه في كل مناسبة. في المنزل والعمل، وحتى في أوقات الترفيه. والله يعبد في مصر أكثر مما يعبد في أي بلد آخر. فالساجد كثيرة، تقام فيها الصلاة، لا يبعد المسجد عن الآخر سوى بضعة أمتار. والناس الجوعى، يصومون رمضان، والفقراء يخرجون الزكاة عن أموالهم، وهم لا يملكون شيئاً.

إذن فالدين ليس مشكله من مشكلات شعبنا المصري. فللدين رب محبه، وشعب يحرمه. لهذا، فشكلات الشعب المصري هي مشكلات حياة. الشعب المصري يعاني من الجوع أوسوء الطفلة، ومن صحة عليله، ودخل هزيل، وفقر كالح، وأسمه واسمه، اثاثت للارهابيين وناشري الحرافة والتخلف مجالا كبيراً. مشكلاتنا، هي مشكلات تخلف. والشعب يتأصل في سبيل توزيع أحسن للدخل والثروة. ويبحث عن عدل اجتماعي حقيقى. ويريد القضاء على استغلال الانسان للانسان.

هذه هي بعض المشكلات الأساسية، التي غطى الارهاب عليها. وحرف نظرتنا عنها. صمغ أن الحكومة، متحازة للاغنياء، ولا تنظر بتفسير هذه الحاجات الأساسية للجماهير والحق هو أن تكاليف الجماهير

الدين، وإرتكاب الجرائم باسمه. ولما كانت الساحة فقيرة ايديولوجيا، أقبل كثير من الشباب على تلك الجماعات.

ولامراء في أن اللسان الذي استعصى في الدولة، والتعاصب الاقتصادية، وزيادة البطالة مع عمليّة «التخصيص»، وتردى مستوى المعيشة للكثرة الشعبية، والقراء القاش للثقة. كانت هذه عوامل سهلت مهمة الارهاب. كذلك انصباح الدولة للقرى الأجنبية، وللمهينة الاقتصادية لصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، وهما مؤسستان امريكيتان فعلا. ورغم اتصافهما للأمن الصحدة، وتميز الدولة المستعصمين الأجانب، ولرجال الاعمال على حساب الجماهير الكادحة، كل هذا مكن هذه

ليس الارهاب رصاصاً وقنابل، تودى بحياة الابرياء، من الاطفال والشباب والشيوخ، ولكنه فكر يحرك الذين يطلقون الرصاص، ويفجرون القنابل.

والفكر الارهابى، الذى يستغل الدين، ليس مقصوراً على المنظمات الارهابية المتطرفة المعروفة، ولكنه يمتد كذلك إلى مايسمى بالجماعات أو المؤسسات المعتدلة. والواقع أنه لايسارق يذكر بين مايسمى بالمطرفين والمعتدلين. فهذه شخصية دينية «معتدلة» معروفة، توافق على أن تدين الجماعات الارهابية أحد المثقفين الكبار بأنه مرتد، لانه قال رأياً حراً. ثم تفتى بأن أى انسان يحق له أن يقتل هذا المثقف، دون مسئولية، أو احترام للدولة، أو لسلطانها القضائية والتنفيذية. هذا الرأى لا يختلف عن قرار الارهاب باغتيال ذلك المثقف.

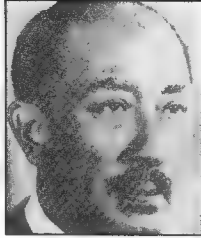
هذا مثل واحد، والامثلة على ذلك كثيرة. فالذين يتفرون على الصحافة، ويوسائل الاعلام والتعليم، ويغذرون بالاعتداء، يمدون الارهابيين بمادة غزيرة تفرهم، وتقدمهم لمزيد من «الجرائم». وهم معلنون للناس، وللحكومة:

والواقع أن السبب الرئيسى لاستعراء الفكر الارهابى، معطفاً وصعداً، هو أن الساحة الفكرية، أو الابدولوجية، سادها في الستين الاخيرة، فراح كبير، وجبهه الارهاب أمامه مفتوحاً على مصراعيه، فأحتلته، باقتدار وتنظيم. واستخدم عقيدة يفتح الناس المؤمنون لها صدورهم، فيسكب الفكر المتطرف فيها جرعات من السياسة، واستغلال





جمال عبد الناصر  
غابت الاشتراكية بعده



أنور السادات  
انفثاح «سهللي»



حسنى مبارك  
صعد الفكر الإرهابي

للحصول عن حقوقها عن طريق الديمقراطية والعلم. فالجماهير، في الغالبية، ومن حقها أن تحكم، وهي الأغلبية العاملة المنتجة، وبذلك يكون لها الحق الأول فيما تنتج. والتحليل الاشتراكي، هو الوسيلة العلمية المثلى للوصول إلى هذا الهدف. غابت الاشتراكية- مهما كان حجمها ونوعها -بعد وفاة عبد الناصر فهي على الأقل كانت تجعل الحكم متعاظما مع الجماهير، ومستمجبا لطلباتها، في العدل الاجتماعي. شابت من مؤسسات الدولة الاقتصادية والسياسية والقانونية والإعلامية، فحدث فقر إيديولوجي شديد، أحدث فراغا كلفرا.

وحل محل الاشتراكية، انفثاح «سهللي» أخرى، معه «القطط السمسان» ، الذين تطورا من «تهلب» المليونرات إلى «هبر» المليارات، وصاروا حوفاغا.

نحن في حاجة ماسة للمصارحة الهادئة، البعيدة عن أية رغبة في الهجوم على أحد، الدولة بفشها فراغ كبير، وتستولي عليها إيديولوجية الحيفتان، وانحيازها للأغنياء ورجال الأعمال بعدد من الجماهير.

والحزب الوطني، حزب شديد الفقر الإيديولوجي، اللهم إلا إذا اعتبرت الانقشاع، الذي تسبب في الفراء الفاشق للثة من اعضائه، والانحمار في المخدرات، وفي ارتزاق الناس، واستباحة المال العام، إذا، اعتبرت ذلك إيديولوجية. فقد شاع بين الناس أن واقع الانتصاب إلى هذا الحزب، هو الحصول

على جزء من «الكعكة»، كان الجزء صغيرا أو كبيرا حسب قدرات العض. ليس في مقدور حزب الحكومة إذن، أن يقدم للجماهير إيديولوجية تلعب بخيالها، وتجمعها ليسد بها الفراغ الذي شغله الأراهاب الفكري. وحزب الوفد حزب برجوازي ورأسمالي، قصته مع الجماهير الكادحة معروفة منذ عهد الملكية. حين كان بأشواته شركاء في ملكية «الوسية»، أي ملكية مصر. وبهذا فمن الصعب أن يثير مشاعر الجماهير لمصلحة ديمقراطية حقيقية، تجمع بين الجانبين الاقتصادي والسياسي. وعلى ذلك لم يتمكن من سد الفراغ. والفكرة عنه الآن، أنه متعاون مع السلطة، ولا يختلف عنها، يؤمن بالحظ الرأسمالي، وبالتبعية للقوى الرأسمالية العالمية، وبالتحيز لرجال الأعمال. هذا اللون السياسي لا يفرى الجماهير.

والهصار، أصاب بعض أفراد دوار، حينما وقعت أزمة الاشتراكية في شرق أوروبا، وتذكك الاتحاد السوفيتي، فتوقف الحديث عن الاشتراكية. وعلى الرغم من جهود الأحزاب والمنظمات اليسارية إلا أن القوى المضادة عاقت التجمعات اليسارية-حتى الآن- من التواصل الفاعل مع الجماهير، وعن ملء الفراغ الإيديولوجي المجرود في الساحة السياسية. وبهذا لم تحم الأفكار الاشتراكية والتقدمية الجماهير من هجمة الفكر الأراهابي.

لم يقل أحد للناس في شكل إيديولوجي منظم، أن الاشتراكية تنمو في العالم الثالث، ورواياتها مازالت خفاقة في الصين، وكوريا، ولبنان وكوبا، وأنها تغطي خمس سكان الأرض. وأن الاشتراكية تحقق التنمية في بلدان

العالم الثالث، مع العدل الاجتماعي. وتذهب فيها لشار التنمية للجماهير الكثيرة، بدلا من أن يفتاتها «الحيفتان» المحلوقين والشركات العابرة للقوميات، التي حلت محل الاستعمار، وتقتل «الحيفتان» الأجنبية.. والاشتراكية تعود الآن بخطى ديمقراطية وثقة لشعوب أوروبا. حينما كانت مصر تخطو، مع هيد القاصي، خطوات في طريق الاشتراكية، كان لدى الجماهير، والشباب بصفة خاصة، إيديولوجية، أو مثل أعلى وتطلع للتنظيم الاجتماعي العادل، من مستحياتهم الاجتماعية والثقافية، وآمالهم في التقدم مسا عبقا. ولم يكن هناك إرهاب ديني

يسود أن الفكر الإرهابي، وتشرعاهته المختلفة، تنتشر. كلما تعرضت الاشتراكية لازمة، فحين تلكت الانظمة في شرق أوروبا- واسباب ذلك كثيرة ، أهمها الاخطأ الفادحة التي ارتكبتها الأحزاب الشيوعية هناك- حين حدث هذا، أصحلت المكان قسوى الإرهاب، والمافيسا، والبصارة، والمخدرات. وظهر المليارديرات والحيفتان الروسا ورجاع الشعب السوفيتي، الذي كان يبهيم أسهاما عبقيا في تنمية اقتصاديات بلدان العالم الثالث، والاشتراك معها في الحرب ضد الجرع والتخلف.

وهكذا ترى أنه حين تعسك الاشتراكية الساحة، محل محلها قوى فكرية وجمعية، تدور إلى الإرهاب والارجام، وتستغل الشعوب، وتغري من عملها وكدها.

# الفساد

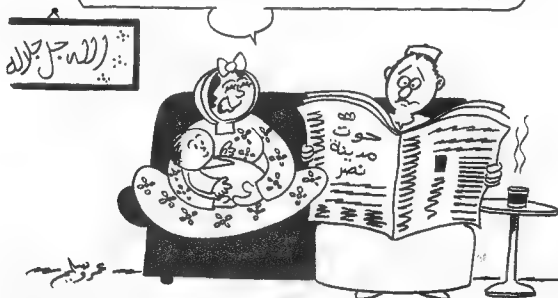


# الفساد عمرو سليم

يا ه .. العساكر طلخوا حرامية ؟! .. يعنى اللي فى السجون دول كلهم  
هما العساكر الحقيقيين .. والحرامية هما اللي كانوا حابسينهم .. ؟!



بلد خيبة .. اذا كان الحوت بلغ سيدنا يونس بجلالة قدره ..  
يبقى سى عالمف بسلامته هيقدر عليه .. ؟!!



## الانتخابات البلدية في موريتانيا والتطور الديمقراطي

# الحزب الحاكم أصغر علي أخذ كل شيء والمعارضة خسرت بالمشاركة أكثر مما خسرت بالامتناع

### صلاح صابر

أولاً، الهيئة الدستورية،  
تعد الانتخابات البلدية هي أول انتخابات  
بعد الانتخابات الرئاسية والتشريعية تجري في  
ظل الدستور الموريتاني الجديد الذي سبق  
الحديث عنه. وأهمية هذه الانتخابات لا تأتي  
فقط من كونها أول انتخابات بلدية تجري في  
ظل التعددية الحزبية، أو أن نتائجها ستحدد  
أي الأحزاب ستكون له السيطرة محلياً مما  
يعتق تواجده وسط الجماهير.. وإنما أهمية  
الانتخابات البلدية تصره أساساً إلى أن  
الدستور الموريتاني الجديد (عام ٩١) حدد  
تجديد ثلث أعضاء مجلس الشيوخ البالغ عدد  
أعضائه ٥٦ عضواً بعد إجراء الانتخابات  
البلدية مباشرة الأمر الذي يوفر فرصة جديدة  
للمعارضة لدخول البرلمان والذي يتألف من  
الهيئة الوطنية ومجلس الشيوخ.

#### ثانياً، الهيئة الحزبية:

الثامنة في الانتخابات المحلية كانت بين  
١٦ حزبا سياسيا وعدد من المستقلين بهدف  
النسوز في ٢١٢ مدينة وقرية، وتحدورت  
النافسة الفعلية حول تكتلين رئيسيين هما:  
(أ) أحزاب «الاعليوية» والرئاسية،  
وتتكون بشكل أساسي من الحزب الحاكم  
(الحزب الجمهوري الديمقراطي) الذي  
يتزعمه الرئيس الموريتاني معاوية ولد  
الطايح، إضافة إلى هذا الحزب فهناك ستة  
أحزاب صغيرة موالية له وتتميز في فلكه.  
ويطلق على الحزب الحاكم «الكشركل»  
وذلك لأنه يضم بداخله فئات متعددة  
ومتصارعة أقرها مجموعة «مهاكل تهليل»  
الجماهير» المنظمة السياسية التي أنشأها

المسكية للخلاص الوطني الحاكم قانونين  
بعضان السماح بتشكيل الأحزاب السياسية،  
وإطلاق حرية الصحافة وحظر تشكيل أحزاب  
إسلامية بشرط أن تحترم الأحزاب الإسلام  
والأخلاق الاجتماعية والثقافية في البلاد.  
وبدأ تطبيق التعدد الحزبي بالفعل في ٢٦  
سبتمبر ١٩٩١، وعلى أساس هذا الدستور،  
وفي يناير ١٩٩٢ أجريت الانتخابات الرئاسية  
والتشريعية والتي رفضت أحزاب المعارضة  
المشاركة في إكمالها، وأعلنت أيضاً أنها لن  
تشارك في الانتخابات البلدية التي كان  
الرئيس ولد الطايح قد أعلن أنها ستكون خلال  
العام ١٩٩٣ وذلك نتيجة لتدخل الإدارة في  
العملية الانتخابية والتزوير في النتائج حسبما  
تقول أحزاب المعارضة.

وقد أجريت في مطلع هذا العام (١٩٩٤)  
الانتخابات البلدية والتي تعد إحدى خطى  
التحول الديمقراطي في موريتانيا وأنهاها نحو  
التعددية، غير أن نتائج هذه العملية  
الانتخابية وحدها لا تعد حكماً عليها  
باعتبارها إحدى مؤشرات الديمقراطية دون فهم  
العوامل الأخرى المرتبطة بها وهي البيئة  
الدستورية، والهيئة الحزبية، والديناميات  
السياسية.

مع بداية التسميات، واستجابة  
للمعطيات الحادثة في عالم ما بعد الحرب  
الباردة شهدت القارة الأفريقية تحولا حقيقيا  
إلى الديمقراطية والتعددية. وإذا كانت  
التعددية في مفهومها الأعم ترتبط بتعليم  
وتقاليد وعمرسات الديمقراطية الليبرالية يعنى  
الانفتاح والتغنى في المجتمع ومعنى التفاعل  
بين الجماعات المتعددة ذات المصالح المختلفة  
المشروعة التي تدعى إن لها الحق في عملية  
صنع القرار، فإن هذه التنازع من التعددية  
ليست موجودة في موريتانيا أو غيرها من  
البلدان العربية والإفريقية، وظل الشكل  
الموجود فيها هو نموذج مشوه أو شبه مشوه  
نتيجة التبريد العرقي.

فشهدت موريتانيا في عام ١٩٩١  
تطورات في الاتجاه، نحو التحول إلى صيغة  
متعددة الأحزاب بعد ٣٠ عاما من الحكم  
العسكري في ١٥ أبريل أعلنت الحكومة  
الموريتانية عن نييتها لإجراء انتخابات حرة في  
نهاية العام نفسه غير أنها تأجلت إلى العام  
التالي (١٩٩٢).

وقد سبق ذلك إجراء تعديلات دستورية  
حيث وافق ٩٨٪ من الموريتانيين على  
الدستور الذي طرحه الرئيس الموريتاني  
معاوية ولد سعيد أحمد الطايح في  
استفتاء عام شارك فيه ٥٨٪ من بين من لهم  
حق التصويت. وعرض الدستور الجديد على  
تشكيل برلمان منتخب، وعلى انتخاب رئيس  
الجمهورية مباشرة من خلال الاقتراع العام  
السري ويقر هذا التعددية الحزبية. وفي ٢٦  
يوليوس (من نفس العام) أصدرت اللجنة

العسكر عام ١٩٨٢ بدعى تدريب الجماهير على الديمقراطية. كما يضم الحزب ايضا مجمرحات صغيرة متباينة الاتجاهات الفكرية والولاءات السياسية منها بعثيين وناصرين واخران مسلمون وماركسيون، وشخصيات ونحبة ايضا.

### (ب) أحزاب المعارضة:

وتضم هذه الأحزاب سبعة أحزاب بعضها والحزب القوي الديمقراطية، انه اذ حزب المعارضة الرئيسي واكبرها والذي يتزعمه احمد ولد دادة وزير المال وصحافظ البنك المركزي السابق وصاحب السمعة الحسنة لدى فرنسا والعديد من الدول الغربية وممثل البنك الدولي في جمهورية افريقيا الوسطى.

يليه في الاهمية حزب الاتحاد من اجل الديمقراطية والعقد، والسدى يتزعمه وزير الخارجية السابق حمفي ولد سكتاس، وهذا الحزب تنهسه العديد من الاوساط السياسية بأنه مرآل للفرب وفرنسا على وجه الخصوص.

و حزب التحالف الشعبي التقدمي، وهو عبارة عن تشكيله ناصرية صغيرة أسسها القيادات الليبرالية والاطراف المتوسطة والصغرى بعد دخول القادة الناصريين الى الحزب الحاكم، ويتزعم هذا الحزب صاحب الطائفة ولد جسدو وله نشاطه وسط الطلاب واتحاد العمال.

وحزب التجميع من اجل الديمقراطية والوحدة، وهو حزب يتزعمه احمد ولد سيدي بابا الوزير السابق في عهد المختار ولد دادة وابن عم الرئيس معاوية وزعيم قبيلة «السناسيد».

وحزب الهياك الوطني وحزب الحرية والعدالة والاشارة وحزب الديمقراطية.

### ثالثا: للهيئات السياسية:

اجريت الانتخابات البلدية في ٢٨ فبراير الماضي، والتي سبق الاعلان عنها بتقليل اعلان من المعارضة يرفض المشاركة نتيجة للتزوير الذي احدثته السلطة في الانتخابات التشريعية السابقة. ومثل هذا الامر مشار جدل على الساحة الحاكمة والساحة المعارضة. فعلى مستوى الحزب الحاكم : يرغب الأخير في مشاركة المعارضة في هذه الجولة الانتخابية لاختفاء للمصادقية على حكمه واكسابه شرعية تكاد تكون قد اهتزت نتيجة لاتهامات التزوير التي نكبتها له المعارضة وخرق موثائق حقوق الانسان الذي تنتهده في فرنسا والدول الغربية.

إضافة الى ذلك فان مشاركة المعارضة مستعمل على تحويل الحزب الحاكم الى حزب سياسي يمتنه المتعارف عليه من كونه يعبر عن مصلحة جماعة داخل المجتمع وله آلياته الخاصة في ادارة الصراع الديمقراطي مع الآخر في اطار حرية التنافس على السلطة، وهو الأمر الذي يفتقده الحزب الذي يمثل الرئيس ولد الطابع حيث لا يعدو كونه تجسيدا لمجمرحات عشائرية وقبيلية تساند في الحكم ولكن بشروطها في المشاركة والتمسك بقديم غير تحديثية تعوق عملية التنمية.

وهذا الامر هو ما جعل ولد الطابع يعبر في العام الماضي بتديلا وزاري محدودا خرج بمرجه خمسة وزراء من الحكومة ودخلت وجوه جديدة ، واعتبر التعديل مجرجه استجابة لمطالب بعض القوى المؤيدة للسلطة من القنابل والتي يعتمد عليها الحكم.

ولذلك ففي المؤتمر الأخير للحزب الحاكم والذي كان قبيل اجراء الانتخابات البلدية حرص ولد الطابع على ترأس الاجتماعات بنفسه ودعا كرواد الحزب الى الانخراط في العمل الخيري ما اعتبر اشارة منه الى ضيقه من الضغوط القبلية.

غير انه رغم هذه العوامل مجتمعة فان الرئيس ولد الطابع لا يرغب في اعطاء المعارضة تدرا في المشاركة في السلطة يمكن ان يؤثر ايضا على قراتاره. ولذلك فان آلية التزوير الانتخابي يمكن لها ان تمارس دورها المتعارف عليه في دول العالم الثالث في حالة صرل المعارضة على التدز الذي لا ترضه السلطة.

من ناحية اخرى فان احزاب المعارضة يتصارع داخلها تياران ، أحدهما يرى انه من المهم المشاركة في الانتخابات البلدية حتى لا تزدي المطامحة الى الانزلال بعيدا عن الجماهير او اتهام من قبل السلطة بالانظر ، واستخدام الاتجاه العالمي للتحول الديمقراطي ومراقبة العديد من الجهات الدولية لعمليات التحول الديمقراطي في الحصول على مكاسب في البرلمان.

وتيار آخر يرى ان عملية المشاركة بعد التزوير السابق في الانتخابات الرئاسية والتشريعية ودون الاستجابة لمطالبات التي تقدمت بها المعارضة وهي اعادة الانتخابات السابقة ووضع اساليب تمنع السلطة من التزوير .. هو محاولة اعطاء شرعية للحكم وفقدان المعارضة لمصادقيتها لدى المواطن العادي من خلال المشاركة بمنطق الديمقراطية.

### آليات المنافسة:

تتألف في الانتخابات البلدية ٣٤٧

قائمة قتل خمسة احزاب سياسية في ٢٠٨ دائرة انتخابية ، حيث تقدم الحزب الجمهوري الديمقراطي الحاكم ١٩٦ قائمة واشترك مع حزب التجميع من اجل الديمقراطية والوحدة في قائمةتين آخرين. اما الحزب القوي الديمقراطية المعارض فقد تقدم ب ٥٥ قائمة واشترك ب خمس قوائم مع احزاب اخرى ، وحزب الاتحاد من اجل الديمقراطية والتقدم تقدم ب ١٦ قائمة وشارك حزب التحالف الشعبي الاخرى في ثلاث قوائم ، والاخير تقدم هو الآخر بقائمةتين.

وشاخت هذه الانتخابات ٦١ قائمة مستقلة ينتمي معظم اصحابها الى الحزب الحاكم أو انتمسوا عليه وغاضوا الانتخابات بشير ارادته المجسامة، وهم في غالبيتهم عناصر قبلية تقليدية. وركز الحزب الجمهوري على المدن الكبرى والصنالية (المالية) للمعارضة غالبا ، بينما عجزت المعارضة ان تغطي بقواتها معظم الدوائر وأرجعت قياداتها ذلك الى اسباب اقتصادية بحتة وليس لاسباب متعلقة بجهاميتهم. بينما اشارت عناصر قبلية مرآلية للحزب ان ذلك يعبر لوجره شعور - متنام في موريتانيا يفيد بأن العداء للسلطة وعدم الارتباط بالياتها يعنى الحرمان من فرص العيش الذي يعد مرصطا بالذلة ، وهو امر في حد ذاته احد العوامل التي تعوق كرز المعارضة والمربط بالثقافة السياسية لدى الموريتانيين.

### النتائج النهائية للانتخابات:

النتيجة الوجيهة التي لا يختلف حولها احد هي خسارة الديمقراطية في هذه العملية الانتخابية فرغم التقدمات السابق الاشارة اليها فان الحزب الحاكم ارااد الحصول على كل شيء - حسب تعبير أحد المراقبين السياسيين- فقد هيمن على ٨٠٪ من البلديات ال ٢٠٨ أكد المراقبين السياسيين صحة اتهامات المعارضة- بتدخل الادارة بالتزوير عن طريق ايجاد المجره علي انتخاب قوائم الحزب الحاكم ومنع الدستور والقوانين للامتحان التصويت، والتغيير في الكشوف الانتخابية بحيث يعجز المواطنون في دوائر مصروقة بولاتها للمعارضين من الحصول على اسمائهم في هذه الكشوف وبالتالي لا يستطيعون التصويت لصالح مرشحهم.

ويظل البرلمان الموريتاني برلمانا للحزب الواحد (الحاكم) تحكمه صراعات داخلية قبلية في الاساس ويعسدة عن عمليات التحليل ومشوة في بنيتها.

مطلب إسرائيلى جديد بعد اتفاق القاهرة:

## إغلاق مكاتب منظمة التحرير في الخارج

تضمن مرحلتى الحل المؤقتة والنهائية فى مرحلة واحدة، أى حلا نهائيا لفترة أرميا ومرحليا لاثبات أجزاء الضفة الغربية فى حرية واحدة، وما نحن نجد الآن ما جرى التوقيع عليه لا يترتب لتسعى الحل المرحلى حتى فى فترة أرميا وأنه مجرد حل اختياري، لا اختيار الشجاعة والكفاءة الفلسطينية فى حماية الأمن الإسرائيلى وأمنها داخل المناطق المحتلة نفسها، وبذلك أرسى هذا الاتفاق بدايات الانتقال إلى تنفيذ القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ فإنه قد أرسى أسس إنهاء السيطرة الإسرائيلى على الضفة والقطاع بعد أن وقع المفاوضات الفلسطينى فى مصيدة المفاوضات الإسرائيلى التى عرفها شعبنا بهرس بالكلمات التالية ونضمن لكم الكرامة مقابل استعابكم لجميع طلباتنا الأمنية، وهكذا كان الأمن الإسرائيلى الرابع والشامل هو أمن الحدود، والمقصود هنا الحدود الفاصلة بين المناطق المحتلة وكل من الأردن ومصر وليس حدود عام ١٩٤٧. وأمن المستوطنات، وهنا لا يبنى المستوطنات بحدودها البنية وإنما بعد إضافة مساحات كبيرة من الأرضى العربية إليها. وأمن الإسرائيلى أى المستوطنات وأمنها تتقارروا. وأمن نقاط المرور الذى لا يهدف فقط لمنع التسلل ونقل الأسلحة والمتفجرات وما أيضا ونقل هو الأهم منع اللاجئين الفلسطينيين من العودة، وهذا مستوجب ليس سيطرة أمنية على هذه النقاط وإنما سيطرة إدارية أيضا. هذا ما وقع عليه واقعه المفاوضات الفلسطينى فى اتفاق القاهرة. وهو يتعمد بكفى ما نص عليه إعلان المبادئ حول المرحلة الانتقالية ويرتقى إلى مستوي القرار والاعتراف بمصالح إسرائيل الأمنية الرسمية خارج حدودها وداخل المناطق المحتلة ولفترة زمنية غير محددة. فبالنسبة للمستوطنات التى أقر الاتفاق بقاها يقول رابين ولقد تلقيت طلبات من مشنات المستوطنين الذين يرغبون بمغادرة منازلهم فى المستوطنات لكننى غير مستعد لإصدار تعليمات بتعويضهم لكن لا يتحول ذلك إلى سابقة أى أن رئيس وزراء إسرائيل لا يرغب بخلق سوابق تتعلق بإجلاء مستوطنين أو تفكيك مستوطنات لأن مثل هذه السوابق يمكن البناء عليها عندما تبدأ المفاوضات حول



### رسالة القدس

أرميا. وأن يستشهد مراسلها بتصرحات مدير المكتب الحكومى الإسرائيلى وأورى دورى، الذى قال فيها: ولقد حصلنا على كل ما نريد ولذا علينا أن نأخذ على هذا النجاح. وحتى الذين وقعوا على اتفاق القاهرة الأخير فإنهم تناسوا، لأسباب أقل ما يقال عنها بأنها غير مفهومة، ما قالوه وردوده أنفسهم بعد التوقيع على اتفاق أوسلو عندما تحدثوا عن نجاحهم الباهر فى التوصل إلى ترتيبات

فوجئت وسائل الإعلام العالمية والصحف وشبكات التلفزيون المختلفة التى سارعت إلى إرسال مراسليها إلى المناطق العربية المحتلة، لانقطاع ردود الفعل على اتفاق القاهرة، بمدى الشك والفتور والامبالاة التى أظهرتها الجماهير الفلسطينية إزاء هذا الاتفاق وبحس ردود الفعل الجماهيرية التى أعقبت الاتفاق على صيغة مفرد قبل أكثر من سنتين، وتلك التى أعقبت التوقيع على إعلان المبادئ فى أيلول الماضى، فحين الجماهير الفلسطينية قررت هذه المرة حجب لغتها والتفكير عن عدم رضاها وخيبة أملها إزاء ما تلخخت عنه مفاوضات القاهرة. والذي وصفته بأنه وليد مشوه ومقطع والأصل وما قد القدرة على الاستمرار.

ولها فلم تجد مجلة تايم الأمريكية ما تكتبه عن هذا الاتفاق سوى صفحة واحدة وصفت فيها بأنه اتفاق حول حبيب غرة



باسر عرفات

المرحلة النهائية. وبالنسبة فقد قمنا بالبحث والتفتيح عميقا في عبارات اتفاق القاهرة ولم نجد كلمة واحدة يمكن الاستناد إليها كسابقة توحي بإمكانية تطبيق القرار ٢٤٢ في يوم ما، وإغا وجدنا ما ينصف إمكانية تنفيذ هذا القرار.

ومع ذلك فإن الأمور لا تتفق عند هذا الحد بالنسبة للمطالب والاشتراطات الإسرائيلية المتصاعدة يوما بعد يوم. وإذا كان هناك من لا يزال يعتقد من الجانب الفلسطيني بأن ما وقع عليه في القاهرة هو مجرد تسوية مؤقتة وليست نهائية، فقد جاءت تفسيرات راين لتضع المزيد من النقاط على الحروف.

فبعد أقل من أسبوع من التوقيع على اتفاق القاهرة تحدث رئيس الوزراء الإسرائيلي أمام لجنة الخارجية والأمن مؤكنا على نقطتين هامتين من وجهة نظر للمحافظة على ما تم التوصل إليه: فقد أعلن راين أن أية محاولة قد تقوم بها منظمة التحرير لإدارة سياسة خارجية مستقلة ستعقير عملية خلق للاتفاق، وهذا يؤكد صحة الأنباء التي تحدثت عن شرط إسرائيلي جديد يقتضي بإغلاق جميع مكاتب ومقرضات منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج كشرط لاستمرار المفاوضات مع المنظمة. كما أكد راين، وهذه هي النقطة الثانية، بأن الإعلان عن إقامة دولة فلسطينية في المناطق المحتلة هو أيضا خرق للاتفاق.

والسؤال المطروح هنا هل سيطالب راين بتنفيذ تهديدته بأن رجى ويدعو إلى إلغاء إعلان الاستقلال الفلسطيني الذي أنشروه المجلس الوطني في عام ١٩٨٨؟

ليست هذه فقط هي الاشتراطات التي باتت تطرح لوضع المزيد من الأغلال والتقيود حول الشعب الفلسطيني فإن المزيد منها تبادر إلى أذهاننا. فإبقاء المفاوضات الفلسطينية قد تخلى عن جميع أوراقه، وبقيل بالتفصيل الإسرائيلي لاتفاق إعلان المبادئ، وبكل ما يعنيه ذلك من تجاهل وامتياز مجرد وجود شعب فلسطيني له حقوقه الوطنية المشروعة التي يستمد منها فقط كرامته واحترامه.

ومن أجل وقف هذا التدهور فإن تجديد اتفاق القاهرة من أي غطاء شرعي داخل منظمة التحرير وعدم إقراره من جانب لجنتها التنفيذية من شأنه أن يضع عراقيل جديدة أمام مراسلة هذا النهج، خاصة وأن الأيام القادمة حافلة بالمزيد من الاتفاقات التي يجب أن تشكل حاجزا يضع حدا لهذا التدهور.

## حزب الشعب الفلسطيني يدعو لرفض اتفاق القاهرة

بحث المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني في جلسة خاصة اتفاق القاهرة الفلسطيني الإسرائيلي، وخلص إلى دعوة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، إلى رفض هذا الاتفاق، ووضع أسس جديدة للمفاوضات ترمي إلى تحقيق الأهداف المشروعة للشعب الفلسطيني.

إن اتفاق القاهرة جاء مخيبا للآمال الشعبية، ومبرنا على صحة التحذيرات التي وضعها حزبنا عند موافقته المشروطة على اتفاق أوسلو، حيث طالب حزبنا منذ البداية، بأن يقر اتفاق أوسلو قراءة كضحية لا كحريصة أو التماس مقدم إلى السلطات الإسرائيلية، كما دعا إلى وضع خطة تفاوضية واضحة، واعتماد أداء فلسطيني وفعال الكفالة، ومرجعية سياسية ثابتة، تسمح بأن يكون اتفاق أوسلو فاتحة للمسير على طريق الاستقلال، وتقع بالتالي من اعتماد القراءة الإسرائيلية لاتفاق أوسلو، فقد اعتمد المفهوم الإسرائيلي للأمن، وهو مفهوم توسعي استيعابي يخالف المفهوم الطبيعي للأمن حسبما ورد في قرار ٢٤٢، وهو حدود عام ١٩٤٧، حيث اعتبر الاتفاق نهر الأردن حداً آمناً لإسرائيل كما اعتبر كل مستوطنة بنيت على أرض مصادرة للشعب الفلسطيني، وبصورة تخالف كل قانون، جزءاً من هذا المفهوم الأمني التوسعي الاستيعابي، وذلك خلافاً لاتفاق أوسلو نفسه، والذي يستغني المستوطنات من السلطة الفلسطينية الانتقالية المؤقتة، ولكنه في الوقت نفسه، لم يشر من قريب أو بعيد لأي نقرة إسرائيلية أمسي أو فحسب أمشي خارج حدود هذه المستوطنات.

إن اتفاق القاهرة جاء ليعطي المستوطنات حدوداً أمنية تتجاوز حدودها السكانية، وتقطع أراضي فلسطينية جديدة، وتخلق سابقة خطيرة لتقطع أوصال الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو ما كانت تسمى لتعظيمه السلطات الإسرائيلية في الماضي للحيلولة

دون إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وقد جاء التوسع الشكلي لحدود منطقة أريحا، ليؤكد خطورة هذا الاتجاه الإسرائيلي، وذلك بخلق جيب جديد اسمه منطقة العوجا، يرتبط فقط بطريق بمنطقة أريحا، وهي سابقة يمكن أن تكررها إسرائيل للتعامل مع باقي أجزاء الضفة الغربية.

إن اتفاق القاهرة يمثل ترجمة لموقف حزب العمل الإسرائيلي، والذي كان يدعو للتخلي فقط عن المناطق المأهولة بالسكان واعتبار نهر الأردن الحد الأمني الإسرائيلي، كما أن الاتفاق حول مفهوم الانتداب المنصوص عليه في اتفاقية أوسلو، إلى مجرد إعادة توزيع وانتشار للقرات الإسرائيلية، وفقاً لمفهومها الخاص بالأمن التوسعي، إن هذه التجاوزات لاتفاق أوسلو، والأخطار التي واكبت العملية التفاوضية بسبب الارتهان وغيباب الحطة التفاوضية وعدم وجود لجنة متابعة، واعتماد سياسة المتفرق بالقرارات، أدت إلى خلق وقائع جديدة وارتكاب أخطاء كبيرة من شأنها أن تعرقل التقدم نحو هدف الدولة الفلسطينية، وفي هذا الصدد فإنه لا يجوز التلويح بالفترة الانتقالية للتغطية على هذه الأخطاء. لأن هذه الفترة الانتقالية تحمل في طياتها بالضرورة بنود الخلل النهائي.

إن تقطيع أوصال غزة بثلاث طرق، وإقامة جسر على الطريق، والقبول بمرور ترحيلات العمور على المعابر على جسر لم يبدأ العمل عليها بعد، مثل جسر الأمير عبد الله، لا تشير إلى أن هذه الترتيبات محصورة فقط بالمرحلة الانتقالية لمدة سنتين أو أكثر، بل إنها محاولة لتكريسها كأمر واقع والمرحلة النهائية أيضاً.

إن حزبنا وبناء على ما تقدم يدعو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، والتي لم تفوض الموقعين على الاتفاق، إلى رفض اتفاق القاهرة، ووضع أسس جديدة لإجراء مفاوضات جديدة، وفق خطة تفاوضية واضحة، وعلى أساس قراءة فلسطينية وطنية لاتفاق أوسلو، لترجمته ترجمة تخدم هدف تحقيق الأهداف الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، وفي مقدمتها توفير الشروط اللازمة لإجلاء المحتلين الإسرائيليين، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على كامل أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، وعاصمتها القدس الشريف.

المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني  
القدس  
١٩٩٤/٢/١٢

## حيثان الدواء والغذاء

### وجرائم العرب الأخفان

## في الأردن

### على الرتبسي

### رسالة عمان

المسار الأردني الإسرائيلي، وإنما تصرد إلى عاملين، الأول، العلاقات الأردنية الإيرانية المأزومة منذ الحرب العراقية الإيرانية تصبغة للدعم والمساندة التي قدمها الأردن للنظام العراقي آنذاك. والعامل الثاني، ما ذكرته وسائل الإعلام من قيام المخابرات الأردنية باحتجاز مصروعة من اتباع أبو نضال.....

وهذا التحليل لا يحظى بتأييد جميع المراقبين، فمنهم من لا يرى أية علاقة بين التفجيرات وعملية الاغتيال ويقولون أن الصدفه وحدها لعبت دوراً في توقيت الحادثين، ويذهبون إلى أبعد من ذلك، إذ يؤكدون أن اغتيال الماعطة له علاقة أكيدة بالمفاوضات، وأن حوادث التفجير في عمان والزرقاء أصنام فردية، ويستبعدون أن تتحول الأردن إلى مصر أخرى في المنطقة من حيث عمليات الإرهاب الأسولي حتى أنهم رأوا في بيان وزير الداخلية تهرباً ليس له ما يبرره.

وقد طفت حوادث التفجيرات على التنبلة التي فجرها وزير الصحة د.عبد الرحيم صليبي في مقابلة صحفية أجرتها معه جريدة شيعان الاسبوعية بشأن فساد الدواء

الداخلية ببيانه أمام مجلس النواب والذي أعلن فيه عن اكتشاف مخططات لاغتيال شخصيات سياسية واقتصادية، وتلجبر البرلمان والاعتماد على الأجهزة الأمنية والاستخبارات على أسلحتهم، إضافة إلى مخططات أخرى مثل السطو على محلات بيع المشروبات الروحية وغيرها من الأماكن.

ويربط المحللون السياسيون بين التفجيرات وخطب صلاة الجمعة التي كانت تركز الهجوم على الشيوعيين وصفهم بالكفرة والملاحدين، والهجوم على الديانتين المسيحية والمهدوية. وذكروا أن جماعات دينية غير معروفة، حرمت على المسلم انتخاب المسيحيين لمجلس النواب في الانتخابات النيابية الأخيرة. وتذكروا أن الحكومة الأردنية طلبت قبل أقل من شهر من الحكومة الإيرانية تخفيض عدد دبلوماسيها في عمان، وقيل وقتها أن المخابرات الإيرانية وسعت نطاق عملها في الأردن وبدأت الاتصال بأشخاص وجماعات لم يكنف عنها.

ويخلصون إلى القول أن عملية اغتيال الماعطة والتفجيرات التي جرت في عمان ليست لها علاقة بالمفاوضات السلمية التي تجري في واشنطن، ولا بالتقدم الذي جرى على

شهد الأردن في أواخر يناير وبداية فبراير الماضي أحداثاً متلاحقة، بدأت بهجرة اغتيال الدبلوماسي الأردني الشهيد النائب عمران ماعطة في بيروت على أيدي قتلة ذكر أنهم ينتمون إلى مجموعة أبو نضال، وهذا عمل غير مستبعد عن هذه الفئة حيث أن تأييدها ارتبط بهكذا عمليات على الساحتين العربية والفلسطينية.

وقد أدانت التفاعلات السياسية والشعبية الأردنية هذه الجريمة التكرار، مهما كانت الدوافع والأسباب التي تكمن وراءها، فهي تبقي جريمة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

ويربط المراقبون بين حادث اغتيال الماعطة وعمليات التفجير التي جرت في بعض دور السينما التي تعرض أفلاماً إباحية وبعض اللقطات المخلة بالأداب العامة من وراء ظهر رقابة وزارة الإعلام. تلك العمليات التي نفذتها مجموعة يطلق عليها (العرب الأفغان)، هذه الفئة التي غذتها وقوتها الأنظمة العربية ومنعتها سفاري الجنة وأطلقها للجهاد ضد ما كانت تسمية بالخطر الشيوعي والكفر والإلحاد في أفغانستان.

وقد ساد الاعتقاد بأن هذه التفجيرات في دور السينما أعمالاً فردية إلى أن أدلى وزير



## خيارات الجزائر

بتسليم الجيش الجزائري للسلطة بصورة مباشرة، بعد أن ظل للثقة الأساسية - منذ الاستقلال - التي تحكم من وراء سحر وتولي «الأمين زروال» وزير الدفاع لرئاسة الجمهورية (مع احتفاظه بمقره كوزير للدفاع)... تدخل الجزائر في الاختيار الأخير.

لقد أعلن زروال والتطهيرة مع أساليب عمل السلطة في الماضي ورجاها «وعيد الرشوة والفساد» وأكد أن المرحلة الانتقالية ترمي إلى تأمين الظروف السياسية والأمنية للرجوع إلى المسار الانتخابي الديمقراطي.

ومن الواضح - رغم كسرة وضراوة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومشاكل الهوية التي تراجها الجزائر - أن الشكل السياسي التي تجمعت في الغاء نتائج الدورة الأولى للانتخابات والتي فازت فيها والجهة الإسلامية للاتفاق في جوهر الازمة الحالية .

وهناك ثلاثة خيارات لا يبرر.

الأول.. اللجوء إلى مزيد من العنف في مواجهة والجماعة الإسلامية المسلحة والجهة الإسلامية للإتقاد، والنجاح في تصفية نفوذها. وهو أمر يبدو مستبعدا بعد فشل طواف العنف في وقف أعمال الاغتيال والاعتقال.

الثاني استعانت بجهود الوساطة ومحاولة الوصول إلى حل وسط مع الجبهة الإسلامية للإتقاد، بعد أكدت الأحداث «أن حلا لاتوافق عليه الجبهة لا يمكن أن يكتب له النجاح» وشرط النجاح أن تكون هناك عودة حقيقية للديمقراطية والمسار الانتخابي.

الثالث والأخير.. هو تطوير العنف والسرقة في هاية الحرب الأهلية.

وتربح مصادر جزائرية وغربية عديدة أن الحصار الثاني هو خيار «زروال» والمؤسسة العسكرية. وهو أمر إن صح - يتطلب تنازلات من كل الأطراف، خاصة من الجبهة الإسلامية للإتقاد، ومن الحكم التي عليه أدراك «عدم صدق» تجاهل الحصار الإسلامي في الجزائر أو محاولة حصره كلياً بالارهاب» كما تقول وثيقة الحوار الوطني.

فهل يتبع زروال قيسا فشل قيسه بوزيغال وعلى كافي؟

المصري أفتدى

القضايا التي سبقتها لتحصل على ٣ مقابل ٢ لصالح تفسيرهم فيها (١١).

وقال أنه قدم استقالته من الحكومة احتجاجا على السماح لتجار الدواء بكسر القانون مؤكدا أن القانون وجد لحماية حقوق الأشخاص والمواطنين.

هذا غضب من فيض بما قاله وزير الصحة الأردني د. هيد الرحيم مدحس وتفاعلت وبادرت ستة أحزاب قومية ويسارية فأصدرت بياناً دعت فيه إلى محاسبة المستورين عن الفساد كما دعت إلى اعتصام أمام مجلس النواب شارك فيه قرابة ١٠٠ شخص جميعهم من الحزبيين، وقدم المعتصمون مذكرة لرئيس المجلس كررت فيها المطالبة بالتحقيق مع المستورين عن فساد الغلاء والدواء.

ووقفت قوى شعبية عديدة مثل النقابات العمالية والمهنية وهيئات أخرى إلى جانب الوزير، مطالبة بإجراء التحقيق وأصبح فساد الدواء والغلاء حديث الناس في كل مكان كما أصبح مادة غصية للكتاب والصحفيين.

وبالمقابل تعرض الوزير إلى هجوم ضار من اسامهم بهجتان الدوا والغلاء، وفي مقدمة هؤلاء كان أمين شهاب الذي بعد من أكبر تجار الدواء في الأردن وأكبر مصدر له وخاصة العراق، فحدث بداية الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠، وهو الذي يصدر له الدواء، حيث شكك بقدرته د. مدحس في تفسير أسرار الوزارة وقال أنه يقدم بطرد الكفالات وأصحاب الخبرة من الوزارة.

وتعرض الوزير إلى هجوم تجار المواد الغذائية ونقابة الصيدلة، ومن وزراء صحة سابقين، والأخطر من هذا وذلك، أنه في أول جلسة عقدها مجلس النواب لناقشة القضية، تعرض وزير الصحة إلى هجوم كاسح من النائب هيد الظروف الروابية متهماً إياه بأنه يهاول الإيحاء بأن السلطات التنفيذية والقضائية صامتة أو متواطئة مع المحتالين والدبناصورات من تجار الدواء والغلاء. وأن سقرا الدول وبخاصة العظمى يضغطون على المستورين للقبول بإطعام الشعب الأردني من قامة العالم.

وأصبح الوزير في نظر العديد من النواب متهماً، ولكن عدداً من النواب وفي مقدمتهم النائب هيد الكريم المدحس والنائب صالح توجان فحصل وغيرها، وقلقوا إلى جانب الوزير وساندوه في معركته مع المحتالين، إلا أن النتيجة كانت تحويل القضية إلى النيابة العامة. وما زال الرأي العام الأردني في الانتظار.

والغلاء في الأردن وغراب وزارة الصحة. لولا أن تم تحويل القضية برمتها إلى النيابة العامة مقرنة وبعد قطعه رئيس الوزراء د. هيد السلام المجالي بتسليم كافة الأوراق والملفات والمعلومات المتوفرة لدى الحكومة إلى النائب العام طلب منه انتداب اثنين من المدعين العامين لدراسة الأوراق والتحقيق فيها تمهيداً للاحالة من تتصرف بحقوقهم أدلة تكفي لحاكمهم.

كما طلب دولة طاهر المصري رئيس مجلس النواب من لجنتي الحريات العامة والصحة والسلامة عقد لثلاث مشتركة بينهما لمبحث بيان وزير الصحة الذي ألقاه في جلسة مجلس النواب الأولى التي خصصت لمبحث فساد الدواء والغلاء.

ورغم كل هذه الوعود والتأكيدات من السلطين التنفيذية والتشريعية، إلا أن المواطن الأردني يرى في الإجراءات التي اتخذت بأنها لن تؤدي إلى أي شيء، وأن مصير هذه القضية لن يكون أحسن من القضايا الأخرى التي أثرت في المجلس السابق والتي انتهت إلى براءة جميع المشتكرين فيها.

وكان د. مدحس قد اتهم إدارة الرقابة الدوائية التي تديرها حسب تعبيره جماعة لهم مصالح في الخارج، ولهم صيدليات خاصة بهم في الأردن، بالتحكم بالاستيراد والتوزيع، وقال يمتني أقدم، هم جماعة مستفيدين من شراء الأدوية الرخيصة والتي عادة ما تكون غير صالحة بنسبة ١٠٠٪ ويتم توزيعها عبر مستودعاتهم على الصيدليات، والتي غالبا ما يكون هم أصحابها.

ووصف التجار بأنهم صافيا يقرمون باستيراد كسامة العالم الصناعية بواسطة عملاتهم حيث قال، أن تجار الأغذية والأدوية يقرمون باستيرادها «وكيف» في وجرتها. كما وصف شركات الأدوية بأنها من أكبر الشركات بعد شركات الأسلحة والتفط من حيث نسبة الربح مشيراً إلى أنها تتجاوز ٣٠٠٪.

كما تحدث عن سر خلافه مع نقابة الصيدلة بشأن تطبيق المادة ١٢ من قانون مزاوله مهنة الصيدلة ليكون الصيدلي متفرغاً لصيدليته، وقيامها برفع قضية ضده بصفته الاعترافية وحكم محكمة العدل العليا لصالح تطبيق القانون ولجرتها إلى «دوان تفسير القوانين الذي حكم لصالح النقابة وقال في هذا الصدد... فقبحار الأدوية يتطاول الرضخ في دبران التفسير وروبرا أنفسهم، وإذا بالقضية وغلا د أيام تقفز عن الدور وتتخطى آلاف

التي يهدل في الانكباب على دراستها وفحصها. حتى التجربة الديمقراطية التحسنة التي لاتصدو كونها معبورا قصيرا من دكتاتورية الى أخرى اطول عمرا من سابقتها ، حيث تتوزع عبر سنوات الاستقلال منذ عام ١٩٥٦ وحتى الآن الى فترات محدودة تدخل ضمن هذا التصنيف، مع ذلك فان آخر محاولات تأسيس نظام ديمقراطي في السودان (ابريل ١٩٨٥) قد تكون اكثف قدرة على استشارة التامل الفكري وتحريك البحث العلمي من سابقتها التي تحين ذكراها السنوية في أكتوبر من كل عام ، لانها حفلت بطواير اكثر تعقيدا كما انها جاءت ضمن سياق بداية تفتحات ديمقراطية عربية. ويسمى هذا المقال الى تقديم بعض الملاحظات في هذا الصدد كمؤشر للتواضع التي يمكن أن تلتق الانتباه الدراسي.

#### الانتفاضة سودانيا وعربيا

أول هذه الملاحظات هو أن النمذجة السودانية كان، بعكس كافة النماذج التي شهدتها بعض الاقطار العربية الاخرى خلال العقد الماضي، وفي مصر قبل ذلك، انتقالا الى تعددية كاملة حيث اعتمد دستور عام ١٩٩٦ الفصل عام ١٩٩٦ بعد الانتفاضة الشعبية التي اطاحت بقيادة النظام المايوي التبريري، مؤمنا كافة الحريات المنصوص عليها عادة في الاطعمة التعددية.

إن التجربة اليمنية وعدها تبدل خارجة على قاعدة عامه في بنية التحولات الديمقراطية العربية متصلة باستمرار الجزئي أو الكلي، ولكن الفصال دائما، لتسيادات الاطعمة السابقة عليها واهم مؤسساتها، ملكية كانت أو جمهورية، فبالرغم من أن مؤسسة الرئاسة اليمنية والتحاليف السياسي بين المؤثر الشعبي والحزب الاشتراكي ظلا قائمين الى حدود كبيرة بعد الانتخابات إلا أن التصور هو أن قدرة هذين الطرفين على طوى التجربة التعددية مستحيلا بالغائها كلية أو تقليدها بدرجة تجعلها مفصلة على قدر استمراريتهما في السلطة، تكاد تكون معدومة بحسب بقية التجارب العربية المتفردة،

من هنا جرى التفكير في التجربة السودانية لعام ٨٥ باعتبارها أن الانتفاضة الكامل بين نظامي مائيل الانتفاضة وباعدها هو سر الانتفاضة الديمقراطية الكاملة فيها. وهو تصور صحيح شريطة الانتباه إلى أن هذا الانتفاضة كان محصورا في الجانب السياسي

#### السودان :

## الانتفاضة الديمقراطية كعادة للحراسة

#### عبد العزيز حسن الصاوي

دراسة هذا الموضوع بشكل تفصيلي يستند الى تحليل وتأرخصة وتوثيق التجارب الديمقراطية في السودان من خلال الممارسات وفهم عمل المؤسسات الحزبية والشعبية ثم عرض نقد الفكر الديمقراطي من خلال ادبيات وبرامج الاحزاب السياسية وكتابات المفكرين والمختصين السودانيين فهدى لوضع مشاهد (سيناريوهات) لمستقبلات السودان . هذا جهد علمي سوداني متميز هو الأول من نوعه، يتكامل مع جهد عربي متعدد المنابر ظهرت منه خلال الاسابيع الاربع من أغسطس الماضي ورشة العمل (work shop) التي عقدها «مشروع دواست الديمقراطية في البلدان العربية» (٥) وفهد الصلح (٥) على الخليفة الكوراني (اكستور) حول تحارب الانتقال الى التعددية السياسية في خمسة اقطار عربية من بينها السودان «يفرض فهم العوامل التي تؤثر في عملية الانتقال وتطبعها بالسرور سلى في بعضها وبالحدة في أخرى، كما انتهت في بعض الحالات الى انحسار محاولات الانتفاضة الديمقراطية».

في مثل هذه المجالات تتحول صورة السودان الزائجة الآن إلى تقييدها: كثر من المعلومات والتجارب التي تتعدد فائدتها له ولغيره عربيا وافريقيا وعالم ثالثا بقدر الجهد

تتلخص صورة السودان الراهن في الاذهان ليسا يرحى به تمييزا؛ الحزبي الأهلية، والاصولية الإسلامية، بالكاد تجد خيرا أو تحليلا في وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمريئة لا يكتن محيرة أحد هذين التمييزين أو كلاهما، وهما مصطلحان مشحونان بالمواقف المسببة والافكار المتبصرة عما يقضى على صورة السودان في مخيلة المراقب العادي للأمور قدرا كبيرا من التشويه المثير للعطف والاشفاق في الفضل الاحرار واللامبالاة في معظم الاحيان. وكلاهما يسببان شعورا بالجلل ، لاسيما وأن الصورة التقيضة والتحتية معلومة لديهم بالمرقة النظرية والتجربة العملية.

حسن الخط فان هذه الصورة تجد من يهتم بها سودانيا وعربيا حتى ولو لم يكن لذلك انعكاسه الفوري على الاعلام الورسي. ومن قسبيل ذلك الندوة التي عقدها وهوكر الواسات السودانية (القاهرة/ الرباط) والذي يديره الاكاديمي والمفكر السوداني المعروف د/حسين ابراهيم علي، وقد صدر الكتاب الخاص بها مؤخرا بالتعاون مع مركز الدراسات السياسية والاقتصادية بالاهرام ، حول تقييد التجارب الديمقراطية في السودان، وهي جزء من مشروع متكامل ينفذه المركز مستهدفا

ورجده لان ما يمكن تسميته بالمؤسسة المايوية (establishment)، وهي مجموعة القيادات غير السياسية والقوى الاجتماعية الاقتصادية والبيروقراطية الحاكمة، ظلت حية وفاعلة بدرجة كبيرة بعد اختفاء قيادات النظام السابق السياسية وبعض مؤسساته برئاسة الجمهورية ورأسها، حزب النظام الواحد وهو الاتحاد الاشتراكي السوداني، جهاز أمن الدولة... لقد شهدت سنوات الانفتاح الاقتصادي المايوي غير الانتاجي منذ عام ١٩٧٨، تحت ضغوط صندوق النقد الدولي والفترة الرعمية النفطية قوما سعيها للأسمايلية الطليعية من خلال السروقين الابيض والاسود في القطاعين المالي المصرفي والتجاري بصورة خاصة، على حساب القطاعين الزراعي والصناعي حيث يتطلب جنى الارباح وقسا اطرال... وادي هذا التطور إلى تفسير بنية الاقتصاد السوداني والاوزان المختلفة للشرائح الاجتماعية واصبحت قدرة (الرأسمالية) الجديدة على التحكم في قرارات النظام تتزايد بشكل مضطرد. وهذا مع الانحلال التدريجي للقيادة المايوية عن الشعارات والتوجهات التفسيرية التي بدأت بها حياتها في السلطة، انشأ علاقة تداخل وثيق بين الطرفين. غير أن المصالح الطبقية لها ألياتها في المحافظة على وجودها وتبديل ائمتها السياسية ظاهريا وهذا هو ما حدث بعد سقوط قيادة نيمري إذ أن المؤسسات المصرفية والتجارية والاستثمارية، اسلامية كانت او غير اسلامية، حافظت على مواقعها دون تغيير يذكر.

كذلك فإن المجلس العسكري الانتقالي والذي شكل مع مجلس الوزراء، الانتقالي

حتى الانتخابات العامة التي جرت عام ١٩٩٨ كان يضم القيادات العسكرية غير المتعاطفة مع الانتفاضة الشعبية. ويعكس الانطباع السائد عربيا فإن رئيس المجلس عبد الرحمن سوار الذهب ونائبه تاج الدين عبد الله فضل يوجه خاص، ساهما في تعقيد عملية تسليم السلطة إلى المدنيين. فقد توليا مهمة تعقيد مجموعة الضباط التي شكلت الامتداد العسكري لتحرر المدني السياسي التقابي (خالد الزين، عثمان بلوك أحمد قاسم ورفاقهم) بإبعادها عن الجيش بتهمة (عدم الانضباط). وعرقلا عملية تهينة البلاد للحكم الديمقراطي بالمخرج عن حيادية المجلس كراس دولة مؤقت والاصرار على مشاركة مجلس الوزراء. الانتقال في المهام التشريعية التي أوكلت إليه بمسئله عملا لـ «التجمع الوطني لانقاذ البلاد» الذي نتج عن الانتفاضة في طورها الأخير. هذا وتلقى مذكرات نشرها مؤخرا اثنان من قيادات جهاز أمن الدولة في جريدة الشرق الأوسط للتدنية الحلقة الأولى ٩٣/٨/٢ اضرار كاشفة ومباشرة لأول مرة- على حقيقة دور المجلس العسكري الانتقالي كاستعداد ما للنظام السابق.

أما أهم جوانب هذه الاستمرارية الأخرى فهو ما تجسده في دور محلي الايديولوجية الاسلامية التي كانت مشتركة بين قيادة النظام المايوي و«الاخوان المسلمين» خلال تحالفهما الذي استمر سبع سنوات وتكفك عسيرة سقوطه كبطل من مظاهر اختراق الداخلي تحت وطأة عجزه عن مواجهة قضايا التنمية والديمقراطية والوحدة الوطنية التي يهيشها السودان. لذلك وجدت الايديولوجية الاسلامية مواقع مؤثرة

خلال الفترة التعددية اللاحقة بإزج من ديناميكية القيادة الجديدة ومكاسبها السياسية وغير السياسية خلال فترة التحالف مع قيادة النظام المايوي، وأشكال الفاضل المصدرة بين صيغتها الجديدة «الجهية الاسلامية القومية» والمكونين الآخرين للمؤسسة المايوية. وهي اشكال مروره منذ ما قبل الانتفاضة وتعمقت لدى المكونات الثلاثة بعدها بحكم الحاجة المشتركة لحماية نفسها من مد الانتفاضة الحاد خلال طورها الأول وكسر العزلة التي احاطت بها. قبل أن تتمكن من استجماع قواها لاختراق المؤسسات التشريعية والتنفيذية للحكومة الديمقراطية وكذلك التكوين الهلامي للأحزاب التقليدية ثم الغائها بانقلاب يونيو ١٩٨٩. على أن بداية الانتشار الواسع لمكون الايديولوجية الاسلامية بها كلها المختلفة خلال الحقبة المايوية وتطبيقاتها ابتداء من عام ١٩٨٣، كان ذو صلة بظاهرة سياسية تفهيمه برزت مع انتفاضة ١٩٨٥ الديمقراطية ولم تزل ماثلة من اهتمام دراسي، وهي ما يمكن أن تطلق عليه ظاهرة «الليبرالية الجديدة» في السودان.

**الانتفاضة والليبرالية الجديدة**  
إن من بين الاشياء القليلة المتفق عليها حول تاريخ هذه الانتفاضة التي كان أبواها قد تعددوا بعد نجاحها، أنها شهدت دورا بارزا لشرعة سياسية معينة أبرز قيادتها هو القانوني المعروف د/ امين مكي صدي، فقل في تصنيف الجهود السياسية والتفانية المعارضة واعادة الميثاق الذي قام على أساسه «التجمع الوطني لانقاذ البلاد»

حسن الترابي-  
الفاصل بين الجبهة الاسلامية والمؤسسة المايوية



عبد الرحمن سوار الذهب  
تعيد عملية تسليم السلطة  
للمدنيين



محمد إبراهيم نقد  
١٦ عاما من قمع الحزب  
الشيوعي السوداني



والمساهمة في تنظيم الاضراب السياسي الذي شكل قمة الانتفاضة. ومن الملاحظ على قيادات هذه الشريحة انها جاءت من خارج اجواء اليسار السوداني صاركحيا كان او قوميا وذلك بعكس ماكان عليه الامر في الانتفاضة السابقة التي اطاحت بالدكتاتورية الاولى في تاريخ السودان (٥٨-٦٤) حيث تصدرت القرى الاجتماعية الحضرية (وهو مصطلح سوداني يطلق على سكان المناطق الحضرية وشبهه- الحضرية عموما) التي شكلت قاعدة الانتفاضة ورأس رمحها، عناصر متعمية اجمالا الى الماركسية سرياء كحزب شعري أو مناح فكري اشتراكي أو تلاليد عمل نقابي. في الوقت نفسه فان القيادات المعنية كانت خارج دائرة الليبرالية التقليدية التي مثلها حزب الوسط الرئيسي حتى ذلك الحين وهو الحزب الاجتماعي الديمقراطي، أي قبل ان يتمكن قهاده الصادق المهدي في حزب الامه الى دروسه تحدث حزب البعث التقليدي ليصبح منافسا خطيرا على مراكز الوسط. بذلك يصح ان نطلق على تلك المجموعة من المهنيين والفنيين والاكاديميين المتعلمة تنظيميا، وإلى درجة أو أخرى فكريا، عن القرى السياسية اليسارية المرسدة «وكفة الليبرالية الحقيقية». فمما هو ذن السوء، وهؤلاء ونشرونها؟ احاول فيما يلي إثارة بعض النقاط حول هذا السؤال الذي لم يطرح أبدا في دراسة التجربة السودانية.

الفرضية الاولى المكنة في هذا الخصوص هي أن الحقبة المايوية الطويلة (١٦ عاما) بأساليبها التعميمية المتطورة من السابق كانت قد انتهكت الحركة السياسية والنقابية بأمرها السياسية والوسطية المعروفة مما سهل بروز شريحة جديدة. وهي فرضية مقبولة منطقيا وواقعا ولكنها غير كافية لاتخاذ عامل سلبى بينما تقتضى إيجابية دور الكتلة الشارعية (ادخال عامل إيجابي في صورة التفسير... إن ما ينبغي الانتباه اليه هو أن الاستقطابية الفكرية لقيادات الكتلة الليبرالية الحديثة لم يكن معناها الانقطاع الكامل لروابطها مع اليسار الماركسي، والتدريس لاحقا، مع تلقى القيادات الثلاثة في اطار علماني عريض يمكن تعيين حدوده في السياق السوداني بضمير متؤده معارضة فكرة السيفر الاساسي التي شكلت عماد استراتيجيته العمل السياسي الاسلامي السوداني. بصرى النظر عن الاختلافات المكنة حول مضمون

مصطلح العلمانية بين هذه التيارات على صعيده الاعمق والاعقد، فإن تقاليد العريفة وسط الجيل الخمسيني من القرى الاجتماعية الحديثة يلائن بشئ من التجسيم ودعا الى عرامل ثلاثة: وجود مجتمعة ذاتية كبيرة غير مسلمة وغير عربية (ثلث البلاد والسكان تقريباً)، وفرة الحركة الشيوعية كحزب تيار عام حتى اوائل السبعينات، هنا يجمان في حروب حركة الاستقلال السياسي الوطني والائحادى الديمقراطية» بتفوزه الواسع انتخابيا في المناطق الحضرية وشبه الحضرية، على ارتباطه بظائفة الحتمية الدينية، غير معنى بتحويل الاسلام الى عقائدية سياسية بالنظر لطبيعته التقليدية والطبيعة التسامحية والتعاضدية للاسلام الشعبي وتأثير العاميين المذكورين سابقا ايضا.

الحقيقة الاجتماعية لجموع هذه العرامل لم يكن قد طرأ عليها تعديل ملموس خلال فترة النصف الأول للثمانينيات التي وصل فيها تطور النظام المايوي الى عتق زجاجة المجاعة في غرب السودان والحرب الاهلية في الجنوب. فبالرغم من أن تراجع نفوذ الحزب الشيوعي نتيجة لاعدام قياداته لم يعرض عنه اقل جزئيا الظهور اللاحق لليسار البعثي القومى بسبب محدودية نفوذ الاخير الفكري بالمقارنة لبروز السياسى السطالى، الا أن تقام معرصة التعايش الوطنى الشمالى الجنوبى كما ونوعا ابعاض مؤثرا فعلا في صيانة التوجهات العلمانية لدى الجويل الذي كان خلال تلك السنوات قد وصل الى مراحله حامة في الحياة العامة وفي الخدمة المدنية والعسكرية الحكومية، بينما كان مركز الثقل الاساسى لنمو الحركة الاسلامية وسط الجيل الاصف سنًا. وكان النظام المايوي قد بدأ تراجعه من اتفاقية اديس أبابا لعام ٧٢ التي اولقت الحرب الاهلية في الجنوب ليسمح سنرات، بشكل متزامن تقريباً مع لجوئه للمشروع الدينية في وجه اوزمى المركب الذي صنعت سياساته، ووصل ذلك قمته باعتماد قوانين الشريعة الاسلامية في سبتمبر/ ايلول ٨٢ الذي اكتملت معه كافة معلومات انفجار الصراع المسلح بشكل غير معهود خلال تاريخه المتد منذ عام ٥٥، تقريباً بعد انقطاع، اذ كان من منظور القيادات الجنوبية السياسية وغير السياسية اعلانا شماليا واضحا لتية وتخطيط فرض الهوية الاسلامية العربية على الوطن المشترك بين الجميع تساويا. كذلك فقد تراكمت هذه التطورات مع بداية موجة النشاط السياسى والنقابى الشمالى

المعارض التي اطاحت بالنظام بعد ذلك بعامين وذلك بعكس الموجات السابقة. التي كان النظام قادرا على احتوائها عتفا او سلبا، مما يشير الى اهمية عنصر «تدين السياسة» المستجد بهذا الشكل التطبيقي القانونى في انجهاها، أن هذا العنصر لم يصطدم بالتقاليد العلمانية الراسخة لدى شرائح التكنولوجيا والفنيين والمهنيين المعنية على مستوى القطاع المعنية فقط وانما ايضا، وهو الامر فيما نحن بصدده، بتكوينها النفسى المزاجى وحتى السلوكى الاجتماعى لاسيما وانه امتد الى محاولة (اسلمة) الحسية الفردية والاجتماعية عموما. من هنا فان تسماها من الثقل الاضاعى الذي حركته عملية التحول الاسلامى الشمولية سياسيا ضد النظام المايوي كان اقرب الى تكوينه وتغيرته الى الوسط منه الى اليسار خاصة وان الاخير كان قد ضعف نسبيا تحت وطأة استهدافاته الثالثة قسميا بسبب نشاطه السياسى والتظيمى المعارض المستمر منذ بداية الحقبة المايوية، في الوقت عينه فان اطر الأحزاب الكيسرة كانت بتقليديتها الموروثة مسدودة الاقانى في نظر هذه الكتلة الوسطية المتطورة لاسيما وان هذه الأحزاب تكمن في اقل حالاتها جاذبية في ظل الانظمة الدكتاتورية بحكم ضعف قدرتها على الاداء الفاعل والظفر والارتفع زرعها، وماحصله في الزايف وفى اذان المثقفين من مشولية كبرى في فشل تجربة ٦٤-٦٩ الديمقراطية التي فتع الطريق امام الانقلاب المايوي.

لقد كان هناك على الدول تيار وسطى ليسرالى الميول ذو وزن ملموس في الحركة الطلابية السودانية ولكنه لم يتصلب ابدا الى قوة فاعلة سياسيا خارج هذا المجال كما حدث في انتفاضة عام ١٩٨٥ الديمقراطية نتيجة تفاعل مجموعة العوامل المؤثرة اعلاه وعلى رأسها تحول الاسلام الى ايولوجية للسلطة الحفظة بعد أن كان دوره السودانى محصورا في التاكيد غير المباشر للنظامى العلمانية والاتصار الدينيتين، ومع ان ظاهرة نشره، هذه الكتلة الليبرالية الحديثة وعلاقتها بتعاظم نفوذ العقائدية الاسلامية يبدو انها سرعيرة في اكثر من قطر عربى فيما يستدك عليه من الاشتراكية التنسوية لشعار «الديمقراطية هي الحل» مقابل شعار «الاسلام هو الحل»، الا أن التوفيق عندها دراسيا ومعالجتها بصورة منهجية وعلمية قد يكون واحدا من اغنى دروس التجربة التطرف السياسى في السودان بسبب خصوصية ملامحتها وظروفها.

العالم



الطريقة والتجمل  
شعار  
حزب إعادة بناء الديمقراطية

## الموسم الصعب وإدارة الانتخابات بالتليفزيون

«واللهيما» إلا أن الاستخدام الإعلامي لموضوع «الفلوس» يعثر الائتلاف اليساري كله في ضوء النفرة الراسخ لأجهزة الاعلام ومعدات التليفزيون على نحو خاص. وقد وجه هذا الاتهام «بتهمة كراكسي» الزعيم السابق للحزب الاشتراكي (الوسط) الذي أطاحت فئات الفساد به، فسارع إلى تفجير قضية ما أساء «بنطافة الشيوعيين المزعومة على» حد تعبيره.

وقد يادر «واللهيما» السكرتير العام المساعد للحزب الديمقراطي لليسار بتقديم نفسه إلى النيابة التي رفعت القاء القبض عليه قبل بحث الملف. وفي نفس الوقت ياضر «واللهيما» إجراءات مستأنسة «بتهمة كراكسي» بتهمة التشهير والذف. وقد أعلن أنه على ثقة تامة من كسبها.

فما هي علامات مرحلة الانتقال التي تمر بها إيطاليا؟

«أول هذه الملامسات هي الركود الاقتصادي وتزايد البطالة التي وصلت إلى ما بين ٥٪ و ٦٪ في الشمال الغربي ومن ١٨٪ إلى ٢٤٪ في الجنوب الفقير، وزيادة الدين الحكومي بصورة مضطربة.

أسا العلامة الثانية نهي لإلحاح أحزاب الوسط التي دهمها الفساد، بعد أن أسست في نفسها جهاز الدولة، وقد حكمت إيطاليا خلال الخمسين عاما الماضية دون إنقطاع حيث عجز اليسار رغم قوته المقتضية عن إزاحة الحزبين الديمقراطي المسيحي والإشتراكي من الحكم عن طريق الانتخابات.

«العلامة الثالثة هي صعود الفاشية من جديد متروكة مع الدعوة للاتصال التي تزداد قوة في شمال إيطاليا الغربي والذي يرى في الجنوب والوسط عبئا إقتصاديا لأزمة لد.

«العلامة الرابعة والتي سوف تلعب دورا حاسما في انتخابات ٢٧ مارس هي تفجير قانون الانتخابات من القائمة النسبية إلى المقاعد الفردية بنسبة ٧٥٪ من المقاعد وأبقاء ٢٥٪ فقط للواتم النسبية، وقد صوت الإيطاليون بنسبة ٨٠٪ بالموافقة على التعديل الجديد في استفتاء عام.

«العلامة الخامسة هي تأكل المؤسسات العامة وتراجع مستوى الخدمات التي تقدمه سواء في التعليم أو الصحة أو المواصلات، حتى أن مؤسسات إعلامية كبيرة رفعت

### ليلة النقاش

### رسالة إيطاليا

أكتوبر.. الامضاء الديمقراطي لليسار



من يعيش في إيطاليا ليضعة أيام في موسم الانتخابات مثل يعرف جيدا كيف يمكن أن تدار الانتخابات بالتليفزيون، وسوف يرى رأى العين كيف أن إيطاليا التي تراجعه أزمة صعبة - رغم أنها الدولة الصناعية الخامسة في العالم - قد دخلت مرحلة انتقال تشنها في مفرق طرق بالغ الصعوبة. فهناك سبيلة في الوضع جعلت كل القوى من اليمين لليسار مرورا بالوسط عاجزة عن التنبؤ وبالتالي أقرب إلى التشاؤم.

ويعد أن كانت استطلاعات الرأى العام قبل شهر قليلة تعطي لليسار ٤٣٪ من الأصوات. جاء الانهزام الموجه للسكرتير العام المساعد للحزب الديمقراطي لليسار - الشيوعي سابقا - بتقاضى أمرا ل شركة ومشترو الأنفاق - وهو اتهام كان كل من اليمين والوسط قد استسمت في السنوات الأخيرة لكي يوجهه لليسار دون جدوى لسبب بسيط وهو أن اليسار لم يحكم إيطاليا أبدا رغم قوته الكبيرة - لتثير الشكوك حول فوز اليسار. وحتى الآن لم توجه النيابة اتهاما

شعاراً تقرّر فيه.. وتريد للمستشفيات الإيطالية أن تكون مستشفيات.. أما رداة التعليم العام فهي مطروحة على نطاق واسع حتى أن مديري الدعاية للصناعات الكبيرة يقدمون اقتراحات لكي تتولى هذه الصناعات الاتفاق على التعليم العام وإدارته.

في مواجهة الأزمة الشاملة تسعى الكتل الرئيسية الثلاث اليسار والوسط واليمين لتقديم نفسها في صورة جديدة، لا تحسب لكي تلبى الاحتياجات المحسوبة قانوناً إنتخاباً يعتمد أساساً على قوة الفرد ونفوذه الحزبي والشخصي، وإنما أيضاً لتقول للناخبين الذين غرقوا خلال السنوات الأخيرة في هوسهم الشخصية وأصبحوا لا يبالون وابتعدوا عن العمل السياسي.. والتفكير السياسي. لتقول لهم أنها تأتي بمجديد لمواجهة الأزمة ولتتعلق بهم في منتصف الطريق بعد أن أخلت الأزمة تدق أربابهم قديماً مرة أخرى بهتمون وإن تسموا.. بالفضاء السياسية.

فما هو برنامج اليسار، القوة التي كانت مرشحة حتى أسابيع قليلة للفوز في الانتخابات خاصة بعد أن أصبح من الممكن أن تحصل أقلية الأصوات على أغلب المقاعد طبقاً للنظام الجديد؟

كان إحتلال اليسار هو أول من قدم برنامجاً متكاملاً نشرته الصحف وشبكات التلفزيون. والإئتلاف يتكون من الاتحاد الديمقراطي لليسار (الشعبي سابقاً) وهو حزب كبير، وحزب الحضر الذي يهتم بالبيئة، وحزب الشبكة القسري في جنوب إيطاليا والذي بنى سمعته على صحافية الماشيا، وحزب إعادة بناء الشعبية والذي يتكون من عدة منظمات شيوعية صغيرة بالإضافة إلى إئتلاف من الحزب الشيوعي القديم. وكان الالتحاق قد حدث بعد أن غير هذا الأخير إسمه وسياساته وأصبح حزباً إشتراكياً ديمقراطياً وانضم إلى الدولة الثانية وهي منظمة أمية تضم الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية (ومن بينها حزب العمل الإسرائيلي) وتدعو كلها لبرامج إصلاحية في إطار النظام الرأسمالي.

ينهض برنامج اليسار على عدة محاور رئيسية هي الضرائب حيث يدعو لزيادة الضرائب على الأغنياء وخفضها على محدودي الدخل، والسوق حيث يرى أنه في الأتق التساريفي للمنظر ليس هناك أي حل لتلبية الاقتصاد غير السوق ولكن على الدولة أن تحدد قواعد المزاومة فيه وتضع القواعد لعامين التضامن

الاجتماعي. وبالنسبة للطالة المتقشفة يؤيد الحزب مشروع «دولور» وهو رئيس البرلمان الأوروبي خلق وظائف جديدة عن طريق ما يسميه بصراك قوة العمل، أي أنه يمكن طرد العمال الزائدين في صناعة ما وتأهيلهم للعمل في صناعة أخرى، إذ أنه ليس هناك أساس للدفاع عن ضمان حق العمل بالطرق القديمة ولا من زيادة الإنتاجية باضطراب.

وفيما يخص العمل وأصحاب الأعمال يدع الحزب لزيادة الإنتاجية الاجتماعية دون زيادة في نفقات الإنتاج. وهو في هذه النقطة يؤيد سياسة «شامبي» رئيس الحكومة الحالي الذي يخطط لتخفيض الأجور، وإتقان الدين العام حتى سنة ١٩٩٦. ويعطي البرنامج قيمة كبيرة للكفاءة والمزاومة الاجتماعية. ويدل من

برلوسكوني..

لويذا إيطاليا



شعار حزب الشعب الديمقراطي  
المسيحي سابقاً

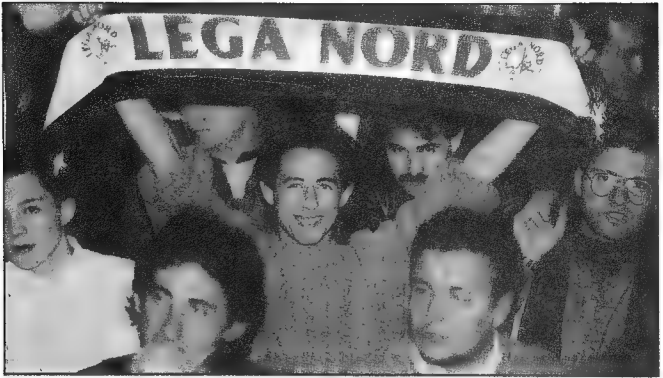


ضمان العمل يركز على الإبداع والمبادرة والمخاطرة حتى يفتح رأس المال أفاقاً جديدة ويحتل العمال المستورلة ضد كل الفوضى الموجودة في النظام الاجتماعي.

وطبعياً من هذا البرنامج الذي وصفته جسرينة «الروبوليكا» قسائل إن «أوكيفو» سكرتير حزب الاتحاد الديمقراطي اليسار، ويقترح رأسمالية طيبة بينما يرى الشيوعيون أنه سوف يزيل الأزمة ولن يحلها، وليس موضع اتفاق الائتلاف اليساري كله. وسوف تقدم الأحزاب الصغيرة الأخرى برامجها الخاصة لأن الائتلاف انتخابي وليس سياسياً.

أما برنامج الوسط والحزب الرئيسي فيه هو الحزب الديمقراطي المسيحي سابقاً- وقد غير اسمه بدوره وأصبح الحزب الشعبي- فهو بدوره برنامج إصلاحى تزيده الكنيسة التي كانت وما تزال السند الرئيسي للحزب الذي دمره الفساد الشامل. ففي «ميلانو» على سبيل المثال جرى طرد كل قيادة الحزب الديمقراطي المسيحي بعد أن ثبت تورطها في الفساد. بينما ترك نصف الأعضاء القاعدين في الحزب بعد أن هالهم حجم الفساد. وينهض البرنامج الانتخابي للحزب الشعبي على محاور الأسرة و الملكية الفردية ولا مركزية الدولة. وبناء الأسرة ووجدها طبقاً للمفهوم المسيحي هو الركيزة الأساسية. ولذلك يدعو البرنامج لتقديم دعم كبير لكل طفل يولد ورعاية المسنين بإلتزاماتهم داخل الأسر ويدافع عن الملكية الخاصة ويؤمن لها إمكانيات الإزدهار مع الحفاظ على وحدة إيطاليا والتخفيف من المركزية، وقرض ضرائب أكثر على الأغنياء وأقل على الفقراء.

وحيث سألت المسئول السياسي للحزب في ميلانو عن رأيه في طريقة إعادة توزيع الثروة اعترف أنه منذ تكونت إيطاليا حتى الآن فإن معظم الثروة بقيت في يد عائلات البرجوازية الكبيرة، وقد تكيفت هذه العائلات مع كل التغييرات التي حدثت في إيطاليا. فعند صعوده للفاشية أصبحت فاشية، وعند صعود الديمقراطية المسيحية أصبحت كذلك ديمقراطية مسيحية، وعندما وجدت أن الشيوعيين يمكن أن يصلوا إلى السلطة أعارت بعض أفرادها للشيوعيين، وكانت الصحف الكبيرة تفهر خطها السياسي طبقاً للطور.



مظاهرة لأصار «رابطة الشمال» الانفصالية

اجتماعية عميقة وعن أزمة الاتحاد الأوروبي ومشكلات الهجرة المتدفقة من جنوب المتوسط في مناخ عام تتعرض فيه حريات بلا قيود ولا شروط.

وبالرغم من القوة المحركة الهائلة لرأس المال وأصحاب المصانع وملاك الصحف ومحطات التلفزيون، فإن للطبقة العاملة منظماتها القوية المسروعة الكلمة واسعة النفوذ من أحزاب ونقابات وتعاونيات ومحطات إذاعة وتلفزيون. وإذا كان هذا كله لا يبقا من زاوية الفنى والشهرة مع قوة الرأسماليين إلا أنه يضع الطبقة العاملة وحلفاءها من الفقراء والمهاجرين ومحدودي الدخل في قلب الخريطة السياسية الإيطالية. وأيا كانت التحالفات التي ستسفر عنها الانتخابات وسبب «الموسم الصعب» كما يسميه المناضل الشيوعي «مارسيل لورن» أحد مؤسسي حزب «إعادة بناء الشهوية». فإن أحدا لن يستطيع أن يتجاهل هذا الحضور الطاغى للطبقة العاملة سرا. كان ملتزمنا بأسرع فتشأن الحزب الديمقراطي للعمال أو لايتهم بشأن «حزب إعادة بناء الشهوية». وسرا كان إصلاحيا أو ثوريا أو حتى فاشيا متفكرا شأن «برلوسكوني».

إيطاليا القوية» وهو متحالف مع الفاشيين في الجنوب، أى أنه حلقة الوصل بين القوى الفاشية وقوى عصب الشمال. ويقوم برنامج اليسين على المزيد من الاتفاق وإطلاق العرود للناس والمرأة على أن مستقبل إيطاليا سيكون مثل ماضيها القريب الزاهر حيث كانت تسترة الزواج والاستهلاك الواسع، وهو ضد فرض الضرائب وضد كل برنامج الاتحاد الأوروبي الذي وقعت عليه إيطاليا في «ماسعرفت» وهو برنامج إنكماشى، وطرده العمال وخفض الأجور ويزيد الضرائب.

ويقدم «برلوسكوني» نفسه لجمهور الناخبين باعتباره المثق الذي يمدح باستمرار الحياة الجميلة وزيادتها جمالا. وتقدم محطات التلفزيون التي يملكها حصلات واسعة لترويج شخصه وبرنامجها الذي يطمئن الناس الحائزين من المستقبل وقد فقدوا كل المرجعيات المستقرة. سرا. هؤلاء الذين وثقوا دائما في الديمقراطية المسيحية أو الذين وثقوا في الشيوعيين، حيث كانت الاتهامات على الجبهتين عنيفة ومتلاحقة.

ويبقى موسم الانتخابات الإيطالية موسعا لأوسع جدل سياسي تعبيرا عن تناقضات

وقال أيضا: إن الوضع السياسي في إيطاليا تتجاذبه وتؤثر فيه قوتان: السلطة الاقتصادية وسلطة الكنيسة والسلطان كانتا دائما حاميتين لإيطاليا من السقوط في التطرف، ولكنهما لم ينجسا أبدا في إقرار العدالة الاجتماعية:

وتتخالف الحزب القوي نسي الانتخابات مع حزب صغير آخر قريب منه هو «الحلف» الذي يرأسه سيني وهو ابن رئيس جمهورية سابق وكان عضوا في الديمقراطية المسيحية، ومع بقايا الحزب الاشتراكي الذي نضرو القصاص بدوره، وأفراد قادمون من الأحرار والمجهرين.

أما التكتل اليسيني فتتكون من «الائتلاف الوطني» وهو الحزب الفاشي الجديد، ومن رابطة أو عصبة الشمال التي تدعو لتقسيم إيطاليا إلى ثلاث دول واقعية ويأسم الفيدرالية. وهي رابطة عنصرية معادية للجنوب الفقير وللأجانب وهي تتحالف مع التجم الصاعد الجديد في أوساط اليسين «برلوسكوني» الذي يرأس حزبا اسمه «إلى الأمام يا إيطاليا» ويملك ثلاث محطات تلفزيونية وعدة صحف يرمية وشبكة من المجلات التجارية تتقد في إيطاليا كلها وقرىها شهيرا لكره التقدم أطلق اسمه على الحزب «فورزا إيطاليا» «إي إلى الأمام»

إن الإجابات المتباينة على طين السؤالين الكبيرين، هي التي تقود حركة الصراع السياسي، وهي التي ستقود تلك الحركة في العامين القادمين حتى موعد انتخابات رئاسة الجمهورية في روسيا عام ١٩٩٦. وعلى أرضية تلك الإجابات تلوح إمكانية ظهور حزب مثل حزب جورتوفسكي، وحزب جديد هو «حزب الأغلبية» الذي يحاول وجوديادار رئيس الوزراء السابق تشكيله الآن. ولكن الإجابات المختلفة لابد لها من قوة، لكي تخرج عن نطاق الحلول النظرية وتدخل مجال الفعل، ولكني أقول إمكانية للصراع والتحقق على أرض الواقع، وبخاصة أن الحركة السياسية الحزبية الروسية حديثة النشأة، فإن منابع تلك القوة توجد في مؤسسات السلطة الجديدة. وعلى حين لم تعرف روسيا قبل إعادة البناء عام ١٩٨٥ سوى مركز واحد وهو نفس الدستور؛ والحزب الشيوعي «الفرقة القائدة والموجهة للجمعية وزادة نظامه السياسي»، فإنها مع المحاولات الإصلاحية الأولى لجورباتشوف عرلت للمرة الأولى مركزاً ثانياً متافوا هو مؤتمر نواب الشعب ثم ظهر بعد ذلك مركز آخر هو «مؤسسة الرئاسة»، وكان ذلك جديداً على روسيا التي لم تعرف نظام الفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية. وحتى بعد أغسطس ١٩٩١ اكتفت روسيا بمركزين للسلطة هما: «رئاسة الجمهورية» و«البرلمان» باعتبار أن الحكومة لم يكن لها دور مستقل كمرکز للسلطة كما لم يكن قد برز أيضاً دور ما واضح للسلطة القضائية، ولكن أربعة مراكز للسلطة تبلورت بعد الإصلاح الاقتصادي عام ٩٢. ومع تفاقم الصراع السياسي - هي مؤسسة الرئاسة - الحكومة - البرلمان - المحكمة الدستورية. وانتظمت تلك المراكز الأربعة في ثلاثيتين متصارتين:

مؤسسة الرئاسة + الحكومة (بالتنسيق معاً) في مواجهة البرلمان والحكومة الدستورية (حسب الاتوب-زوركي). وقد استمر الصراع بين الجانبين حتى حسم في أكتوبر ١٩٩٣ بتصفية البرلمان وتجهيد المحكمة الدستورية.

وأراد المشرعين أن يتلاقوا في الدستور الجديد فظهر مركز جديد آخر قوى للسلطة قد يكرر ما قام به مجلس السوفيت الأعلى السابق - ومن ثم قسم البرلمان الاقتصادي الجديد إلى مجلسين: مجلس أعلى (مجلس

## الصراع بين مؤسسات السلطة في روسيا

### أحد الخسائر

### رسالة موسكو

الخارجية؟ هل تسير نحو الاندماج الكامل في المسكر الغربي بنظامه المالي الاقتصادي وسياسته بما في ذلك حلف الأطلسي دون قيد أو شرط؟ أم نحو طريق مستقل نسبياً عن الغرب يراعى طبيعة روسيا كدولة أوروبية - آسيوية، متعددة الثقافات، ويميد لروسيا بصورة أخرى الحفاظ على مجالات لمصالحها الحيوية، ويتعاون ويتخاصم مع الغرب في إطار الحركة الأوروبية العامة؟

لوركانوف



يبدو وكأن تصفيسه برلمان حسب الاتوب-زورسكي في أكتوبر العام الماضي كانت آخر أكبر الممارك السياسية التي شهدتها روسيا في العامين المنصرمين، ويبدو وكأن الهدوء يمسو جهات الصراع السياسي هذه الأيام، ولكن شواهد كثيرة تؤكد أن جسراً تحت الرماد لا ينطفى، وأن هناك معارك أكبر ستشهدها روسيا من جراء سؤالين يلحان على روسيا ويتولد من جراء الإجابات المختلفة عليهما صراع سياسي لا ينتهي، وهي إجابات تطرحها مصالح متعددة، متباينة، هي التي جعلت أربعة من كبار علماء الاقتصاد يفتخرون أربعة برامج اقتصادية مختلفة في الشهر الأخير: برنامج لبالفيسكي وآخر للأكاديمي أبالكين، وآخر لبيراتكوف ورابع يطرحه عملياً رئيس الوزراء تشيرنوميردين. سؤالان يلحان على روسيا ويطرحان المشايخ المختلفة بشأن السياسة الروسية الخارجية، مشروع جهورنوفسكي ومشروع يلقسون، ومشروع كوي الوسط أسما للشموي، ومشروع كوي للوسط أسما لورسكي أما السؤالان فهما:

• إلى أين تقضي روسيا في حركتها الداخلية؟ هل تسير نحو مجتمع رأسمالي حر تماماً على النمط الغربي الشائك؟ أم نحو مجتمع رأسمالي يكلل لروسيا بناء رأسمالية قومية قوية تحفظ لها مكانتها عبر الأخذ بالاقتصاد المخطط الذي تقوم فيه الدولة بدور إلى جانب القطاع الخاص؟ وهل تقضي روسيا كدولة نحو تعزيز بناء الدولة الفيدرالية المركزية الاتحادية؟ أم نحو بناء دولة فدرالية تحظى فيها الأقاليوم بسيادتها مع صلاحيات أقل للفرز؟..

• وإلى أين تقضي روسيا في حركتها



الفيدرالية) ومجلس أدنى (مجلس الدوما)، كما غرست في كثير من مواد الدستور الجديد بدور التضاد، وبما يتصادم بين المدنيين. يصر المشرعون من ذلك التقسيم إلى تخفيف الضغط على مؤسسة الرئاسة بنقل الصراع إلى ساحة البرلمان. أما المركز الآخر السابق المناوئ - للسلطة (الحكومة المستعرة) التي جمدها مرسوم يلتصق برقم ١٤٠٠ حين سريان مفعول الدستور الجديد، فإن المشرعين حاولوا أيضا أن يخففوا من سلطة ذلك المركز على منازعة رئاسة الجمهورية برفع عدد أعضاء المحكمة الدستورية من ١٣ عضوا إلى ١٩ عضوا، كما منع الدستور رئيس الجمهورية (وليس البرلمان) أن كان الحال من قبل، حق ترشيح قضائيا. وفي تلك الوقت فإن التصديق الوزاري الأخير (يناير ٩٤) الذي شهد خروج **يغوريف** (النائب الأول لرئيس الحكومة) و**دوروف** (وزير المالية)، قد عزز هامش السوزا والمساوئين.

لكن **دوروف** تشيرون يعمد في رئيس الوزراء - مما يسمح بالقول بأن مؤسسة أخرى هي الحكومة (رئاسة الوزراء) قد بدأت هي الأخرى في التطور والقيام بدور مستقل متزايد. ما يمكننا من الحديث عن مركز آخر للسلطة في روسيا. وفي اعتقادنا أن روسيا الآن أربعة مراكز للسلطة (١) مؤسسة الرئاسة، (٢) الحكومة (مجلس الوزراء)، (٣) مجلس الدوما، (٤) مجلس الفيدرالية.

إن جده ظهور مراكز السلطة تلك، علاوة على ظروف الصراع السياسي والاختلافات في تصور المخرج من الأزمة، يحول تلك المراكز الأربعة لبؤس للصراع والاستقطاب القوي المختلفة، مما يطرح ضرورة محاولة رسم صورة لنبذة تلك المراكز وحركة التناقضات والصراعات ما بينها.

### • مؤسسة الرئاسة

تبدو مؤسسة الرئاسة الحالية في جسد السلطة الحالية الهزيلة مثل بطن متفخج يتلعب الأجهز والهياكل والصلحيات فوق طاقتهم على الهضم. فهناك ديوان الرئاسة الذي يرأسه السياسي الديمقراطي المعروف **سيرجي فيلاتوف** (كتلة خبار روسيا) وهو أيضا أحد كبار الخبراء في الشؤون البرلمانية، حيث شغل في المصنوفات الأعلى السابق منصب نائبه **سيرجيو** لثلاثة فترات متتالية. وقد تضمنت هذه المؤسسة بصورة خارقة بعد فشل انقلاب أغسطس ١٩٩١، إذ أُلغى الرئيس يتسيتين

بها كل ممتلكات الحزب الشيوعي المصادرة من مكاتب ومؤسسات ومطابخ ودور سكن ومستشفيات الخ. ورأى هذه الأعباء الإدارية المستجدة اضطرت ديوان الرئاسة لإنشاء وإدارة شئون الأعمال وهي - لسفيرة الاقتدار - نفس الإدارة التي كانت قائمة في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، مما دفع بعض المراقبين لوصف مؤسسة الرئاسة بأنها «لجنة مركزية» وإلى جانب ذلك ضم ديوان الرئاسة إدارات مثل الإدارة القانونية، وإدارة التفتيش والرقابة، وإدارة العمل مع المناطق.. إلى جانب مكتب الرئيس الذي يتولاها معاونو الأول **فكتور أيلوشين** الرجل القوي الثاني في فريق الرئيس. وقد أعطت أحداث أغسطس دفعة قوية لتوسيع جهاز الرئاسة، ولم يبق ذلك رفق طعة معددة، بل كره فعل إلى الأحداث شيئا فشيئا.. وعلى سبيل المثال فإنه بعد تصفية جهاز «الكي جي بي» على يد فاديم بكتين تكليف من جورباتشوف ولتسيتين، خست الكثير من إدارات هذا الجهاز الأمني الخطير إلى مؤسسة الرئاسة. وكان «الكي جي بي» يضم سابقا المخابرات الخارجية والأمن الداخلي معهما، إلا أنه تم فصل المخابرات الخارجية (هيئة المخابرات برئاسة **يغوريف** براكسوف) عن الأمن الداخلي، وأُلغيت المخابرات بهيئة الرئاسة، ثم أُلغى بها الأمن الداخلي أيضا في وقت لاحق. وكانت «الإدارة الإدارية» في أشهر إدارات «الكي جي بي» السابقة، وكانت مكلفة في السابق بحراسة قيادات الدولة وصيغتي الكوملوك وصيغتي اللجنة المركزية واستراحات كبار رجال الدولة، وضمت «الإدارة التاسعة» إلى مؤسسة الرئاسة أيضا، وسميت «إدارة العامة للأمر» برئاسة الجنرال ميخائيل بارسوكوف، وقد تضمنت هذه الإدارة وفاقا ما كانت عليه أيام الكي جي بي، وصار لها أجهزتها الخاصة والمستقلة عن وزارة الأمن المباحث السياسية - المراقبة الخارجية - شعبة التجهيزات التقنية - شعبة اقتحام ومكافحة التخريب، كما صارت الإدارة المذكورة تضم وحدات عسكرية منها فرج حراسة كامل يعرف بفوج الرئيس، والفرقة ٢٧ مشاة آلية للعمليات الخاصة، والفرقة ١١٩ عجلات وتضم الإدارة أيضا أشهر التشكيلات العسكرية النخبوية السابقة للكي جي بي مثل تشكيل «ألفا» لمكافحة العمليات الإرهابية الدولية وهو الذي يتولى حماية الرئيس، وتشكيل «فيسيل» المخصص لتسبع عمليات الشغب والفوضى. وعلاوة على ما

سبق ضمت مؤسسة الرئاسة إليها «الوكالة الاتحادية للاتصالات الحكومية والمعلومات» التي تشرف على تأمين اتصالات القيادة السياسية وعلى وضع الشفرة والتفتت على المكالمات الحكومية واغتصام المصادات الالكترونية الحديثة في هذا المجال، وجدير بالذكر أن هذه الرئاسة نشأت هي الأخرى على أساس الهياكل السابقة للكي جي بي.

أما الدفعة الثانية القوية التي تلقتها مؤسسة الرئاسة فجاءت عقب أحداث أكتوبر ١٩٩٢ بعد تصفية برلمان **حسرو** اللانوف/روتسكوي في ذات بعد هزيمة القوى الإصلاحية المؤيدة للرئيس يتسيتين في انتخابات ١٢ ديسمبر ٩٢، فلقد أصدر الرئيس يلتصق بمرسوم يحمل «وزارة الأمن وإنشاء هيئة التفتيش بدلا منها، وإلغائها (رئاسة الفريق نيكولايف **سوروفسكو**) مؤسسة الرئاسة. ولكن نلوك رئيس الشؤون التي أصبحت مدمكة في يد مؤسسة الرئاسة - تقول أن الهيئة الجديدة ضمت إليها أهم إدارات وزارة الأمن السابقة، عملات مكافحة التجسس العسكري والاقتصادي وتأمين الأهداف الاستراتيجية في روسيا. وإلى جانب هذه الهياكل السلطوية تتبع مؤسسة الرئاسة هياكل استشارية مثل «المجلس الرئاسي» لاستشاري الرئيس، ومجلس الأمن القومي، ومراكز الأبحاث والتحليل. ومع ذلك يشير بعض المراقبين إلى أن مؤسسة الرئاسة تفكر في إعادة تنظيم وزارة الدفاع بحيث تحال السلطة الفعلية في القوات المسلحة لرئيس الجمهورية ولإيضا لوزير الدفاع سوى الوظائف المهنية والإدارية البحتة. وقد أشارت بعض المصادر إلى تركيب أجهزة اتصال مباشر بين الرئيس وقادة القوات دون المرور بوزارة الدفاع في أول سابقة من نوعها. ومن الناحية التشريعية فقد احتفظت مؤسسة الرئاسة لنفسها بنصيب الأسد في الصلاحيات السلطوية بناء على مواد الدستور الجديد، فالرئيس - إلى جانب قيادته للدولة والقوات المسلحة - هو «ضامن الدستور وحقوق وحرمان الإنسان والمواطن» وهو الذي يحدد الاتهامات الأساسية للسلطة الخارجية والداخلية للدولة (المادة رقم ٨٠)، وهو الذي يعين رئيس الوزراء - ويرافقه مجلس الدوما - ويعين ويقيم الوزراء ونواب رئيس الوزراء ويشكل ويرأس مجلس الأمن القومي

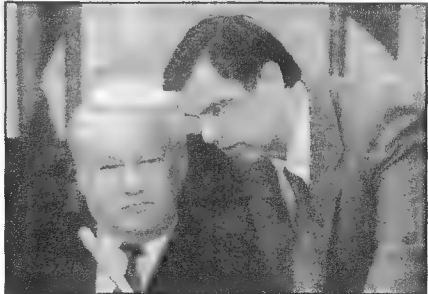
ويمين ويعلى وعلى الرئيس في روسيا الاتحادية ويمين وعلى كبار قادة القوات المسلحة وسفراء روسيا في الخارج. والرئيس أيضا هو الذي يمين انتخابات مجلس الدوما ويحل هذا المجلس في الأحوال المنصوص عليها في الدستور، وهو الذي يمد الاستفتاء ويوقع ويعلن القوانين، كما يحق له بإبطال مفعول الإجراءات التي تتعارض مع الدستور، وهو الذي يشرع على توجيه السياسة الخارجية ويوقع المعاهدات الدولية ويقرض الأحكام العسكرية وحالة الطوارئ في أراضي روسيا أو جزء منها، وهو الذي يبت في قضايا المواطنة ومنع اللجوء السياسي ورفع الرتب العسكرية العليا والأسلحة والنشائن، وله حق إصدار المراسيم التي لها سلطة القانون وفقا للمواد (٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧).

٨٨، ٨٩، ٩٠. إن تسلسل الأرقام والصلاحيات كلها هي مصادر القوة الضخمة التي تجمعها مؤسسة الرئاسة، وإن كان اجتماع مصادر القوة تلك كلها في مؤسسة واحدة لا بد أن يقضي لتضارب بينها خلال محاولة كل منها أن تكون الأعلى صوتا والأوفر حظا من السيطرة. إن تلك المعطيات نفسها هي التي تجعل الكثيرين من المراقبين يتحدثون عن احتمال استشرار الطابع التوتلاري (الشمولي) للحكم في روسيا.

حيدر اللاتوف ويكتسب... صورة قبل انفجار المدا...

**مجلس الوزراء (الحكومة)**  
أدى تطور الصراع السياسي بين الرئيس يلتسين والبرلمان السابق (مؤتمر نواب الشعب) إلى ظهور فكتور تشيرنوميردين في ديسمبر عام ١٩٩٢، وكان ظهور تشيرنوميردين محصلة لمأزيم القوى في ذلك الحين والتي مالت لصالح المؤتمر، بعد المعارك العنيفة التي دارت بين الرئيس والبرلمان بسبب اعتراض البرلمان بشدة على سياسة بيجورجاينار الإصلاحية وعلى وجوده كرئيس للوزراء. وقد حاول تشيرنوميردين - ولم تكن له خبرات سياسية سابقة سوى شغله لمنصب نائب رئيس الوزراء في حكومة جاينار - ألا يبدو صنيعة للبرلمان الذي رفعه لرئاسة الحكومة وسعى لاحتواء المواجهة مع الرئيس، وكان علنه في ذلك - إلى جانب ضعف خبراته السياسية - أنه يحمل مع مجلس للوزراء - يضم مجموعة جاينار القوية ٩ نواب منهم ٥ على الأقل من رجال الرئيس يلتسين (تشرياس) - جاينار بعد عودته إلى الحكومة كاتبا أول - شوميكو - فيودوروف - شافراي. وعلى الرغم من أن تعيين رئيس الوزراء وإقالته من صلاحيات رئيس الجمهورية، وعلى الرغم من أن تشيرنوميردين لا يملك أوراقا محددة للقوة كذلك المتوفرة لدى مؤسسة الرئاسة، إلا أنه مع مرور الوقت أخذ ينتهي إلى أوراق القوة الأدبية التي لديه، وعلى مقدمتها أنه أصبح من الصعب على الرئيس يلتسين استبداله برئيس آخر للوزراء. لأن ذلك كفيل بهز صورة الاستقرار

السياسي، وأن مجموعة جاينار قد لانت هزقة قاسية في الانتخابات، وأن له علاقات وثيقة بالجمع العسكري والصناعي والزراعي تكفل له نوما من الدعم القوي العام، وأنه لما يطرحه من ضرورة تعديل السياسة الاقتصادية يوسع من القنات التي تقوده اجتماعيا، وقد كان أول تصريح تشيرنوميردين هو قوله: «لن يتم الإصلاح على حساب إفقار الشعب». كما فاجأ تشيرنوميردين الكثيرين في بداية مسيرته السياسية بتصريح قال فيه أنه يستعرض على تسليم جسر الكوبيل لليابان، وكان ذلك التصريح منافيا بل ومتحديا للخط المعلن الذي سارت عليه مؤسسة الرئاسة حينذاك والذي كان يميل للتنازل عن تلك الجزر بصفيفة أو أخرى لليابان. (وغير بالذكر أن شوميكو صرح بعد انتخابه رئيسا للحملة الانتخابية أنه يتعاون مع تشيرنوميردين بشأن الموقف من قضية الجزر). وقد تمكن تشيرنوميردين من أن يحافظ على بقا - محافظ البنك المركزي جيراشارتكو رغم الحملة الهائلة التي شنها انصار الانحياز، الاصلاح الجدي ضد جيراشارتكو. وبالرغم من الانحيازات الجزئية لتشيرنوميردين هنا وهناك، فإنه حسم أمره في اللحظة الحاسمة بانضمامه لمعسكر الرئيس في سبتمبر ١٩٩٢ معلنا تأييده لتصلية البرلمان بالقوة. وفي الوقت الذي يتجه فيه تشيرنوميردين في زيادة رصيده من القوة الأدبية يترابط علاقات ناجحة مع البرلمانين، فإنه ربما يدافع الحذر الروسي التقليدي، أو لأنه يستشعر حركة الأحداث، قد فضل ألا يخوض معركة الانتخابات البرلمانية رغم المخاطر الشديدة يخوضها من موقع السلطة كما فعل جاينار وأقناب كتلة خيار روسيا. الأكثر من ذلك أن تشيرنوميردين نصح وزراء - ونوابه - دون جدوى - بعدم خوض الانتخابات. وهكذا كانت هزقة «خيار روسيا» و«جاينار نصرا» لتشيرنوميردين، وعندما حتم علي جاينار ويوريس فيودوروف أن يقدموا ثمن الهزقة السياسية يخوضوها من الحكومة، اتسعت رقعة نفوذ تشيرنوميردين الذي أخذ يصرح علانية بضرورة البعث عن حلول اقتصادية أخرى منها بأن عصر «رومانسية السوق» قد ولى، ولهذا بدأ المراقبون يتحدثون عن «المواقف النشطة» التي يتخذها تشيرنوميردين في مشاوراته مع الرئيس بشأن تشكيل الحكومة،



ومحاولاته عبر والميزانية، التي تقع تحت يده أن يوطد علاقاته بحكام الأنظمة. وفي المحصلة النهائية كان تقلص مجلس الوزراء في التشكيل الأخير ٢١ يناير ١٩٩٤ لصالح تعزيز وضع شيرينوميرين، ومواقع الحكومة الروسية في محاولاتها لأن تكون مركزاً للسلطة. فقد تقلص مجلس الوزراء من ٣٧ إلى ٢٣ وزارة ولجنة دولة، ومن ٤٥ عضواً إلى ٢٩. كما تقلص عدد نواب رئيس الوزراء من ٩ إلى ٤ - وبعد خروج جابدار وبوريس فبوردوف وشوميكو ويانفيلوفا (الناعين للإصلاح الجسدي) وتمعين وسوسكوفتش، وزانجورخا، ويابوك، نوابا لرئيس الوزراء أخذت تتمتع أبعاد الحكومة باعتبارها مركزاً آخر قادراً على المناوئة في ساحة الصراع السياسي، بخط اقتصادي معد يحاول أن يجد - خلافاً لمؤسسة الرئاسة - طريقاً مختلفاً لعلاج الأزمة الاقتصادية، ومن هنا كانت صحة شيرينوميرين: «لقد انتهى أوان السياسة الاقتصادية المتشددة».

#### \* مجلس الدوما

وهو ينص الدستور أحد مجلسي الجمعية الفيدرالية (البرلمان) يتكون من ٤٥٠ نائباً ناصليهم - وفقاً للقانون الانتخابي - يتم انتخابه حسب القوائم الحزبية، والنصف الآخر بالتشريع الفدرالي، ولكن الانتخابات أسفرت فقط عن فوز ٤٤٤ نائباً فقط. ومجلس الدوما أول مجلس برلماني في روسيا يتكون نصفه على الأقل من مرشحي الأحزاب والتجمعات السياسية. ويتنخب الدوما لمدة أربع سنوات (لكن صلاحية المجلس الحالي سنته في يونيو ١٩٩٦). وحسب المادة ١٠٣ من الدستور الجديد يختص مجلس الدوما بصلاحيات الموافقة على ترشيح رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وسحب الثقة من الحكومة، وتمعين وإعفاء، محافظ البنك المركزي، وتمعين وإعفاء المفوض بحقوق الإنسان، ورئيس مجلس المحاسبة ونصف أعضاء ذلك المجلس، وإعلان العفو العام، وترقية الانتماء لرئيس الجمهورية لإقالة عن منصبه (ولكن بشروط صعبة مستحيلة التحقق في الواقع). ومن الدوما القرائين

الاجمادية التي ترفع بعد ذلك إلى مجلس الفيدرالية للتصديق عليها. ويجوز لرئيس الجمهورية حل الدوما في الأحوال المنصوص عليها في المادتين (١١١) و(١١٧) من الدستور. أي في حالة رفض الدوما لثلاثة ترشيحات على التوالي لرئاسة الحكومة يقبضها رئيس الجمهورية أو في حالة سحب الثقة من الحكومة مرتين متتاليتين في غضون ثلاثة أشهر، أو في حالة رفض منح الثقة للحكومة إذا ما قام رئيسها بطرح الثقة فيها لأحد الدوما، وقد جاء مجلس الدوما بتشكيله الحالي مفاجأة إلى حد كبير لجميع المراقبين، إذ شغل فيه الحزب الليبرالي الديمقراطي (حزب جيرنوفسكي) والحزب الشيوعي، والحزب الزراعي، مركزاً كبيراً انعكس على توزيع والحقائب داخل المجلس نفسه وانعكس في الزيادة المفرطة في عدد اللجان البرلمانية إرضاء لمختلف الكتل السياسية داخل الدوما، ولابد هنا من تقديم خريطة توزيع المناصب في الدوما لتوضيح عليها مراكز القوى فيه:

- رئيس المجلس وهو إيفان ريبيكين شيوعي من الحزب الزراعي - وذلك الصدد قال أحد المراقبين مسلطاً على الصناديق الوثائق بين كتلتي الشيوعيين والزراعيين، وإنه لا تدرى متى ينتهي الشيوعيون ويبدأ الزراعيون، أو العكس. نواب رئيس الدوما: نائب أول (من خبار روسيا)، ثلاثة نواب من الحزب الشيوعي، ونساء روسيا، والحزب الليبرالي - وهو أكبر التكتلات داخل الدوما. ومن ذلك التوزيع يمكننا أن نستشف على الفور معنى دقة التوازنات المحسوبة داخل الدوما والتي انعكست على «آلية التوازنات» في لججان المجلس. فالخزب أو الكتلة التي فازت في لججان إحدى اللجان تم تطويقها على الفور بقوات من ثلاثة نواب للرئيس من الأحزاب والكتل الأخرى. وهكذا نجد مثلاً أنه عندما فاز كتلة الحزب الشيوعي برئاسة لجنة الأمن (وهي من اللجان الهامة في الدوما) أصبح نواب الرئيس ثلاثة من: خبار روسيا (كتلة جابدار) وحزب الوحدة والولاء (سيمي

شاخاري)، والحزب الليبرالي (جيرنوفسكي). وعندما فاز كتلة خبار روسيا برئاسة لجنة الدفاع أصبح نواب الثلاثة من كتلة الحزب الشيوعي، والليبرالي، وكتلة السياسة الإقليمية الجديدة، وهكذا فاز «خبار روسيا» بستة عشر مقعداً في الدوما (٤٠ روسيا، لجان ١١ نائباً الأخير بستة عشر مقعداً) (٥ روسيا، لجان ١١ نائباً رئيس)، وفاز الحزب الليبرالي الديمقراطي هو الآخر بستة عشر مقعداً (٥ روسيا، لجان ١١ نائباً رئيس)، وفاز الحزب الشيوعي بستة عشر مقعداً (٢ روسيا، لجان ١١ نائباً رئيس) والحزب الزراعي بأحد عشر مقعداً (٢ روسيا، لجان ١١ نائباً رئيس) وكتلة السياسة الإقليمية الجديدة بستة عشر مقعداً (٣ روسيا، لجان ١٤ نائباً رئيس)، وحزب الوحدة والولاء الروس بستة عشر مقعداً (٣ روسيا، لجان ١٤ نائباً رئيس) وتجميع بالفيينكي بمائة مقعداً (٢ رئاسة لجان ٦ نائباً)، والحزب الديمقراطي - بزعامة ترافكين - بخمسة مقاعد (١ رئاسة لجان ٤ نائباً)، ونساء روسيا بمئة مقعداً (رئاسة لجان ٦ نائباً رئيس لجنة).

ويتضح من هذا التوزيع داخل الدوما أن عدداً من اللجان الهامة مثل لجنة الأمن، والتشريع، والسياسة الاقتصادية، والعلاقات الدولية، والميزانية والمالية، وغيرها كانت من نصيب القوى الشيوعية أو الوسطية - أي القوى المناهضة لسياسات الرئيس بيلتسين ولقد عبر جهادى بوربولوس أحد المقربين لبيلتسين عن انطباعه عن تلك النتيجة بقوله: «إنني أحس بالخزن العميق الذي يحسه الإنسان عندما يشي تحت المظن مهتل القدمين وقد أسسك به قشيرة»، بالفيينكي بقوله: «كان عليك أن تشعر بهذا الخزن عندما كانت الأظفار ترتكب».

أما القوة العديدة التي فرضت هذا التوزيع على ذلك التمر المذكور داخل مجلس الدوما، فكانت عدة المقاعد البرلمانية لكل كتلة سياسية، فقد حصل «خبار روسيا» على ٧٦ مقعداً، والسياسة الإقليمية الجديدة على ٦٥ وفي مقاعد أخرى ٦٧ مقعداً، حزب جيرنوفسكي (٦٣)، الحزب الزراعي (٥٥)، الحزب الشيوعي (٤٥)، حزب الوحدة والولاء (٣٠)، نساء روسيا (٢٣)، تجمع القضاة -

بالفيينكي/بولديف/لوكين - (٢٥) وفي مقاعد أخرى (٢٧).

## يلتسن "رئيس الجمهورية" يتولى السلطة

### الفعالية في القوات المسلحة...!

اليسار/العدد التاسع والأربعون/ مارس ١٩٩٤ (٥١)

الحزب الديمقراطي (١٥)، الحساد ١٢ ديسمبر (٢٠)، الطريق الروسي (٢٠) وفيما عدا السياسة الإقليمية الجديدة واتحاد ١٢ ديسمبر فإن الأحزاب والتجمعات السابقة كانت معروفة، وخاضت الانتخابات بترانها الحزبية، أما «السياسة الإقليمية الجديدة» فهي كتلة نيابية تشكلت من التراب المستقلين الذين وصلوا إلى مجلس الدوما عن طريق الترشيع الفردي في الدوائر الفردية، وتعد هذه الكتلة من حيث العدد ثاني أكبر كتلة داخل الدوما بعد خيار روسيا، ويتزعمها فلاديمير مدينغديف رئيس اتحاد العاملين في صناعة النفط بروسيا. وتضم الكتلة ممثلي الجمهوريات وصغرى المؤسسات الكبرى وبعض جنرالات الجيش ورجال البنوك، ولها ارتباط قوي بجمهورية سبريخ شافراي زعيم حزب الوحدة والرفاه الروسيين ورغم أن أبعاد الاتجاه السياسي لتلك الكتلة لم تتضح بعد بصورة كاملة، إلا أن الدلائل المتوفرة تشير إلى أنها قبل إلى «الوسط السياسي» وسيكون لراب هذه الكتلة دور أساسي يحسم التصويت لصالح هذا القرار أو ذلك داخل الدوما عندما تقار التعضيات الحزبية. ويمسرح ١٢ ديسمبر ١٢ تمعاا من الديمقراطيين السابق ترأسة السكرتيرة العامة لرب الحرية الاقتصادية إيرينا حكمداء ويضم بعض المستثمرين ورجال الأعمال، كما انضم إليه مؤخرًا وزير المالية السابق بورس فيدوروف الذي رفض دخول التشكيل الوزاري الأخير، والمهام المعروف مكاروف من «خيار روسيا» بعد أن انسحب الاثنان من «خيار روسيا»، ولكن كتلة ١٢ ديسمبر لم تسجل كتلة برلمانية لعدم توفر النصاب القانوني للتسجيل (كحد أدنى لابد من وجود ٢٥ عضواً)، مثلها مثل جمهورية والفرق الروسي التي يتزعمها النائب السابق ديمسري سبريخ بابورين زعيم «اتحاد الشعب الروسي» المعروف بتوجهاته القومية النزعة، وتضم مجموعة الطريق الروسي عددا من قيادات لجنة الإنقاذ الوطني المعطورة رسميا عن تكتلات من الوصول إلى البرلمان بصفتهم الشخصية مثل رئيس البرلمان السوفييتي السابق أناتولي لوكيانوف المتهم في انقلاب أغسطس ٩١.

وعلى الرغم من أن الدستور الجديد يمنح الرئيس الكثير من الأسلحة في مواجهة الدوما، ولكنه حله، إلا أن الدوما ينتهج بقوة أدبية منها أن حله رغم الإمكانية الدستورية لذلك، أمر صعب خاصة بعد تصفية البرلمان



بوريس يلسكي

السابق بالقرعة العسكرية، كما يستمتع الدوما بقرعة أدبية لأنه ثمة انتخاب شعبي حر لم يطعن أحد في سلامته. ويوسع الدوما أن غير الكثير من المشكلات برفضه للتصديق على المشاريع والمعاهدات الهامة، ومن هنا كان توجه كوشيف وزير الخارجية للدوما في حديثه الأخير عن السياسة الخارجية بقوله أنه يأمل أن يصدق الدوما على معاهدات تقليص الأسلحة التي رفض برلمان حسيبولالانوف التصديق عليها، ولعل إحدى نقاط قوة الدوما الأخرى أنه قد ينقلب لساعة لاستعراض البرامج التي يأمل أصحابها من عرضها أن يجتهد التربة لانتخابات الرئاسة عام ١٩٩٦.

### • مجلس الفيدرالية

النقطة التي أثارت الكثير من الجدل شأن كيفية تشكيل مجلس الفيدرالية هو النص (في المادة ١٥) على أن مجلس الفيدرالية يتكون من ممثلين اثنين عن كل طرف من الأطراف التي تشكل في مجموعها روسيا الاتحادية. يمثلين أحدهما يمثل السلطة التنفيذية والثاني يمثل السلطة التنفيذية لدى الأطراف الاتحادية. ولكن النص الدستوري لم يحدد كيفية «تكوين المجلس» إن كان بالانتخاب أم بالتعيين. بينما فتح القانون الذي نظم عملية الانتخابات للبرلمان بمجلسه الباب وأوسع أمام انتخاب نواب مجلس الفيدرالية، كما سبق أن فتح الباب لانتخاب نواب مجلس الدوما. ولما كان أطراف روسيا الاتحادية أي المقاطعات والأقاليم والجمهوريات ومدن موسكو وسانت بطرسبورج قتل ٨٩ طرفا اتحاديا، فإن عدد النواب الذين يمثلونها في مجلس الفيدرالية

ينبغي أن يكون ١٧٨ نائباً بواقع نائبين عن كل طرف. ولكن نظرا لمقاطعة جمهورية الشاشان بشمال القفقاز للانتخابات، وعدم اكتمال النصاب القانوني للانتخابات في جمهورية تاتارستان، وعدم اكتمال النصاب في دوائر أخرى، فقد أسفرت نتيجة الانتخابات عن وصول ١٧١ نائباً فقط للمجلس الفيدرالي حتى إصداره للانتخابات في تلك المناطق في مارس القادم. وقد حدد الدستور اختصاصات مجلس الفيدرالية كالآتي: إقرار الحدود بين أطراف الاتحاد الروسي، إقرار صيغوم الرئيس بإعلان حالة الطوارئ وحالة الحرب وألته في احصاء استخدام القوات المسلحة الروسية خارج حدود روسيا، وتحديد موعد انتخابات رئاسة الجمهورية، وإلغاء الرئيس عن منصبه، وتعيين قضاة المحكمة الدستورية، والمحاكمة العليا ومحاكمة المحكم العليا، وتعيين وإعفاء نائب مجلس الحاسبة ونصف أعضاء ذلك المجلس (المادة ١٠٢)، ووفقا للمادة (١٠٥) من الدستور ترفع القوانين الفيدرالية التي أقرها مجلس الدوما إلى مجلس الفيدرالية في ظرف خمسة أيام من إقرارها، ينبغي أن يصوت أكثر من نصف نواب مجلس الفيدرالية لصالح القانون المعروض لكي يحد مجازا، المجلس فيه خلال ١٤ يوما بعد إحالته إليه. وفي حالة رفض مجلس الفيدرالية للقانون الذي أقره مجلس الدوما، يتم تشكيل لجنة «ترقيق» من الفيدرالية والدوما، وبعد تحديد نقاط الاختلاف تتم إعادة القانون إلى مجلس الدوما للنظر فيه من جديد. فإذا تسك الدوما بوجهة نظره ينبغي أن يصاد التصويت مرة ثانية على القانون ولكن بأغلبية الثلثين وليس بالأغلبية البسيطة. وينص الدستور على أن من حق مجلس الفيدرالية إقرار القوانين التي يتخذها الدوما وخاصة ما يتعلق منها بالقضايا التي تمس الفيدرالية الاتحادية والضرائب والرسوم الاتحادية والتنظيمات النقدية والمالية والاتحادية وإصدار النقود والتصديق على إبرام المعاهدات الدولية والقوانين، ووضع حدود الدولة الروسية وحمايتها وقضايا الحرب والسلام. وقد جاء تشكيل مجلس الفيدرالية- كما كان متوقفا- تمثيلا للنخب السياسية الحاكمة في الأقاليم سوا- من بين ممثلي الإدارات المحلية أم

رؤساء الجمهوريات الداخلية ضمن روسيا  
ورؤساء المجالس المحلية ورؤساء الوزراء في  
تلك الجمهوريات وعلى الرئيس في الأقاليم  
والكتيبين من طرفي جهاز الرئاسة  
والحكومة. وهذا المعنى يمكن اعتباره مجلس  
الفيدرالية - خلافا للدوما - خاضعا يحكم  
تكوينه وجنوده للرئيس والحكومة إلى حد  
كبير، ودون أن يعنى ذلك أن مجلس  
الفيدرالية في «جيب الرئيس» بالكمال.

وقد أظهرت أولى خطوات هذا المجلس  
وهي انتخاب رئيس له هو فلاديمير ميخو  
من السابق لأوانه - وربما كان من الخطأ -  
أيضا - المطابقة بين مجلس الفيدرالية  
ومؤسسة الرئاسة، أو اعتبار أن مجلس  
الفيدرالية هيئة سلطة القيادة. فقد تطلب  
الأمر ممارسة الضغوط الشديدة على نواب  
مجلس الفيدرالية من قبل تشيرنوميردين مع  
بذل مختلف الوعدة السخية بمساعدة الأقاليم  
ماليا، لكي يصوت النواب لصالح تولي  
شميوكو رئاسة مجلس الفيدرالية، وكان  
شميوكو مهدها بخسارة الانتخابات ضد  
متنافسه بيوتر رومانوف المعروف بميله القوية  
الوطنية، وصلاته بتنظيم «المجمع القرمي  
الروسى» - كما قيل أن رومانوف صديق  
لجورجسكى. ومع تلك الضغوط قد صوّت  
لصالح رومانوف ٨٠ صوتا في المرة الأولى،  
ثم صوت له ٥٢ رغم الضغوط في المرة  
الثانية، ما يعنى أن مجلس الفيدرالية يضم  
نواة معارضة لا يستهان بتماسكها لاتقل عن  
٥٠ نائبا، ويعبر بعض المراقبين أن المجلس  
لا يضم أكثر من ١٢ نائبا هم من يمكن القول  
أنهم موالون حتى النهاية للرئيس يلتسين.  
في الوقت الذي كان ٣٥٪ من أعضاء المجلس  
نوابا في برلمان حسيبر اللاتوف، وكانوا  
من المؤيدين لحسيبر اللاتوف، كما أن هناك  
٢٠ نائبا يمثلون الشيوعيين والاشتراكيين أما  
الغالبية العظمى فليس لها موقف محدد  
معروف بعد.

وإذا كان مجلس الدوما يتحرك وفقا  
لترانزات الكتلة السياسية بداخله، فإن حركة  
مجلس الفيدرالية محكومة بتوازنات أخرى  
هي درجة البعده أو القرب من السلطة  
التنفيذية، ودرجة «الانقياد» أو «التصرد»  
على تلك السلطة. وإذا قد تنشأ كتلتان  
في المجلس: الأولى وهي التي ترتبط  
بمخالفيها في الأقاليم بمصالح مركز (مؤسسة  
الرئاسة ومجلس الوزراء). والثانية وهي التي  
أظهر نوابها معارضتهم لانتخاب شميوكو،  
وربما نشأت مجموعة ثالثة مستقلة عن حركة

الجمهوريتين المشار إليهما.. ومع ذلك يظل  
التحكم في مجلس الفيدرالية أسهل من  
التحكم في مجلس الدوما، لأن الفيدرالية  
ليس هيئة متفرقة للعمل النهائي ولكنه  
يجتمع حوزة مغلقة، ويأمر العمل الدائم فيه  
إلا قياداته (رئيس المجلس ونوابه ورؤساء  
الجان)، وبذلك يمكن لتلك القيادة أن تحتكر  
عملها الحركة السياسية وأن تعقد مختلف  
الصفقات مع المركز في القضايا السياسية  
العامة مقابل الحصول على هذه الامتيازات أو  
تلك.

إن مراكز السلطة الأربعة  
بملاحقات كل منها، وقايمه، لا بد أن  
تواصل عملية الصراع السياسى التي  
لم تحسم بعد وبالتالي لصالح  
مؤسسة الرئاسة. وإذا كانت مؤسسة الرئاسة  
تتبنى لمحا الأوضح سياسيا واقتصاديا في  
عملية التحولات، فإن موقف الدوما يختلف،  
وموقف الحكومة يختلف، وموقف مجلس  
الفيدرالية لا يخلو من الاختلافات مع «خط  
القيادة السياسية» الأوضح والأبرز، ولكن كل  
تلك المحاللات مازالت كامنة إلى حد ما تحت  
سطح الأحداث، ولا تحتاج إلا لأزمة سياسية  
تشمل قضيها، وخلال ذلك سيحدهم  
الصراع الأهم بين مجلس الدوما  
والرئيس، وقد بدأت بوادر ذلك  
الصراع بالفعل حينما رفض الدوما  
مشروع مرسوم للرئيس يلتسين  
بالمعروف العام، لأنه لا يشمل بالمعروف  
السياسيين المائلين للحكومة بسبب  
مشاركتهم في انقلاب أغسطس ٩١،  
والسياسيين المتحفظين في أحداث  
أكتوبر ٩٣ (برلمان حسيبر اللاتوف)،  
كما أثر الدوما مؤثرا تشكيل لجنة للتحقيق  
في أحداث تصفية برلمان حسيبر اللاتوف رغم  
معارضة أنصار الرئيس داخل البرلمان لإنشاء  
تلك اللجنة. من ناحية أخرى فقد تمسك الدوما  
بجميع كتلاته السياسية برفض قصف مواقع  
الصرى في البوسنة مظهرا ميلا للصرى أكبر  
ما أظهره البرلمان السابق، ومما كان بذلك  
أمينات الرئاسة التي ترد تحجب الخلاف مع  
حلفائها الغربيين قدر الإمكان، كما أبدى  
الدوما، معارضته الواضحة لزيارة يلتسين إلى  
جبروجيا مؤخرا وترقيعه معها معاهدة  
للصدقة والتعاون على حساب الأبخاز  
والأوسيتيين. وفي نفس الوقت كشفت لجنة  
الشئون السياسية الخارجية للدوما (برئاسة  
فلاديمير لوكين السفير السابق في أمريكا)  
معارضتها لخط السياسة الخارجية الذي يمثله

أندريه كورطيريف وزير الخارجية في مجال  
الاستيلاء بالكمال وراء سياسات الغرب.

ومع أن صراع الرئيس والحكومة لم ينصح  
عن نفسه بعد، إلا أن القوى المرافقة يلتسين  
في الإعلام، أساسا صحيفة إزغسيفيا وقناة  
«أوستيانكيو» التلفزيونية، وصحيفة  
التلفزيون (المستقلة) شرعت منذ فترة في شن  
هجوم سياسي على رئيس الوزراء  
تشيرنوميردين، كما أن الناطق الصحفي باسم  
الرئيس يلتسين لا يكف من وقت لأخر عن  
الإدلاء بالتصريحات التي تعبر عن رفض  
الرئيس يلتسين لسياسة الحكومة ورئيس  
وزرائها، بينما يدرك تشيرنوميردين صعوبة  
وضعه بين مؤسسة الرئاسة والبرلمان، ومن ثم  
يحاول بكل الطرق تحسين وتوطيد علاقاته مع  
البرلمانيين خاصة من كتلة الزارافين، وكتلة  
الاقليمية الجديدة، بل ووصلت الأمور حد أن  
سيرجى شاخراى أعلن عن ضرورة تشكيل  
اتصال لدعم الحكومة وتقوية مراقبتها  
وحمايتها من الهجوم المستمر عليها. ومن  
المنوع أن يلق مجلس الفيدرالية - أو قسم  
كبير منه على الأقل - مع تشيرنوميردين  
طالما أن خلافات الحكومة مع الرئاسة لم تصل  
إلى حد الخطيرة بين بعض المراقبين أن  
الرئيس يلتسين قد يلجأ لإكالة حكومة  
تشيرنوميردين، الأمر الذى لا يحتاج إلا  
للغة مناسبة وذريعة وجيهة. من ناحية  
أخرى فإن الصراع بين مجلس الدوما، ومجلس  
الفيدرالية مازال كامنا، لأن الدوما لم يصدر  
بعد قرارات تستلزم التصديق عليها من  
مجلس الفيدرالية، ومن ثم تزج الخلافات،  
مجلس اختلاف طبيعة التكوين السياسى  
للمجلسين توشى بأن المشكلات قادمة على  
الطريق.

إن مراكز القوة الأربعة التي أشرنا إليها،  
وصلاحياتها، وتنافسها من أجل تعزيز  
مراقبتها، مع اختلاف رؤى كل منها للخروج  
الأنسب لروسيا من أزمتها، لا بد وأن يقضى  
لتواصل عمليات الشد والجذب بينها، ما يهدد  
باندلاع النار من الجمر الذى يبدو ساكنا تحت  
الرماد، وقد يغرق ذلك روسيا إلى حكم فردى  
عسكري يمثل الورقة الأخيرة على متفردة  
الأزمة، في ظل الصلاحيات الهائلة التي  
تتبع بها مؤسسة الرئاسة، وأخيرا فإن هناك  
قوتين لم تطرق إليهما: الناس، والجيش،  
ولكنه حديث آخر.

بين الحزب الاشتراكي الديمقراطي وحزب الاتحاد المسيحي الديمقراطي ، والمسيحي الاجتماعي المتصور وجوده على مقاطعة بافاريا). ولكن النتائج التي ستحقها الأحزاب الصغيرة (سواء الحضر أو احزاب اليمين المتطرف) وحزب الاشتراكية الديمقراطية المتصور تفوقه على شرق ألمانيا سيكون لها اثرها سواء على مستوى المحليات والمقاطعات وايضا على البرلمان الاتحادي، خاصة بالجانب السياسي الذي ستحدثه.

الشعور السائد عند الكتلة الكبرى من الناخبين هو ان التحالف الحاكم ليس هذه ها بلادسة لهم ، كما يصرح قادة المعارضة ، بدلا من ان يقدم برنامجا انتخابيا يعطي للناس آفاقا حقيقية بشأن حملة لتطبيع المناهضين بالاذونات ، والمراقب لتطور الصراع السياسي في ألمانيا لا بد ان يستوقفه التناقض الصارخ بين الثقافة السياسية الرسمية الهابطة من جهة ، ومن جهة اخرى الجهود الملققة للنظر التي تقوم بها اوساط علمية وتقنية وعربية من اليسار والحضر للبحث الجدي عن سبل عصية ديمقراطية للخروج من الأزمة . الصف والمخاطبات السياسية الأكثر انتشارا لا تدخل في حوار جدي مع الرأي الآخر ، الكلمة السحرية التي تستخدم تجاه المناهضين في الشرق «شغافزى - شغافزى» بالاشارة الى الجوراد المنتشر لاجرة مخارنا دولة ألمانيا الديمقراطية في الشرق والغرب سابقا ، وتظهر اللغات التي تستخدم لانهايم السياسيين من الشرق واحيانا الغرب بالاتصال بتلك الاجهزة دائما في الوقت المناسب ، ولا يهم ان تبين التحقيقات بعد فترة انقاء صحة الاتهامات ، اذ تكون قد فعلت مفعولها والقت بشخصيات سياسية في حاية العزلة والنسيان.

وقادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي (بروانتس) ورو المارش لرتاسسة الدولة ، وروالد شاربينغ رئيس الحزب ومنافس كوزل رئاسة الحكومة المقبلة) وغيرهم يتبعهم حزب المستشار كوزل الآن بانهم كانوا يعمانون مع ألمانيا الديمقراطية، اي انهم ببساطة غشنة ا وكسان الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، ووعيسهم الرامل ليلي براننت بالمصميد المبادر في مطلع السبعينات بخطة سياسية جديدة تجاه بلدان أوروبا الشرقية، فأسهم في تطبيع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وفرنسا، ومع ألمانيا الديمقراطية معترفا بواقع وجود دولتين المائيتين. هذه السياسة المعروفة باسم

ألمانيا ١٩٩٤ :

## الانتخابات في ظل الأزمة

بيل يتوب

### رسالة برلين

المرشح الشيوعي لتصب محافظ العاصمة بوتسدام على ٤٥٪ من الاصوات في مدينة كانت مقر ملوك بروسيا سابقا، ولها أهمية سياسية واضحة، ضاعف من لزج الاحزاب التقليدية التي كانت واسعة الانتشار بنهاية الشهرية واليسار. وأكثر ما تفتشاه هذه الاحزاب هو ان يتبع اليسار في تحقيق نسبة مؤثرة في مقاطعات ألمانيا «الشرقية» كما يغير موازين القوى في قسم ملتهب بالمشاكل، كما تخشى ان يتبع هذا اليسار ان يحقق نسبة الخمسة بالمائة التي تسمح له بدخول البروندستاج\* البرلمان الاتحادي.

ولكن اليسار يميل لاعتبار ان النتيجة التي حققها في براندنبورج استثنائية. وهي رغم ذلك تعد مؤشرا على ان وعى الناس بالحاجة الملحة لسياسات بديلة في المجال الاجتماعي والاقتصادي ولتتوسع اكثر ديمقراطية يمكن ان يتغلغل في تأثير حملات الدعاية الشرسة التي لم تتوقف ضد اليسار منذ عام ١٩٨٩. ولا شك ان الانحسار العام للشفة في الاحزاب التقليدية - الظاهرة التي تمكسها نتائج استطلاعات الرأي- قد لعب دورا هاما في ان يعطى الناخبين في هذه المقاطعة الألمانية الشرقية اصواتهم لمرشحين يمثلون مصالح الشعب في شرق ألمانيا. ويجري التناهي الرئيسى في عموم ألمانيا

ألمانيا منهزمة الان في سلسلة من المارك الانتخابية التي بدأت مع نهاية العام الماضي، ولان مسلسل الانتخابات سيستمر حتى قرب آخر السنة تطلق اجهزة الاعلام على العام الحالي اسم عام الانتخابات السوبر.

وستعقد نتائج الانتخابات تشكيل هينات الحكم المحلي والهيئات النيابية والحكومات في المقاطعات والبرلمان الاتحادي ، وتأتي الحركة الانتخابية في ظل أزمة تشمل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية، يضاعف منها انتقاد حكومة المستشار كوزل المحافظة لحظ بناتة لمواجهة الالتزامات المترتبة على الوحدة بين قسمي ألمانيا، ومهمة صحافة استرناجية اقتصادية وسياسية جديدة لواجهة متطلبات الحاضر وبدايات القرن المقبل ، في الصراعات السياسية الجارية تلعب مجمل قضايا السياسة الداخلية والخارجية دورا، مع غلبة الانقسام بالسياسة الداخلية ، ويمنسا تسمى القوى المعارضة المختلفة لوضع قضايا الحاضر والمستقبل في مركز الاهتمام . يمكن التحالف الحاكم بأوراق الماضي.

وقد كانت الانتخابات في مقاطعة براندنبورج اولى ١٩ عملية انتخابية في ألمانيا ستجرى كلها خلال عام ١٩٩٤. بعد انتخابات الرئاسة في شهر مايو ، ستجرى انتخابات المقاطعات والمحليات ، ثم في شهر أكتوبر البرلمان الاتحادي.

عام الانتخابات «السوبر» ام عام المحلات القلدة؟ ولا زالت اصدا الحركة الانتخابية في مقاطعة براندنبورج والمناخات التي مفتتها للحكم ولأجهزة الاعلان التي يسيطر عليها اليساريون تتسرد. فسقد حصل حزب الاشتراكية الديمقراطية (اليساري) هذه الانتخابات على المركز الثاني بعد الاشتراكي الديمقراطي. محققا نحو ٢١٪ من الاصوات ، ومتفوقا على حزب المستشار كوزل في هذه المقاطعة ويحصل



هلبرت كول

يستند اليها القاتمون بهذه الحملة تسجل على كول وصعوبته للشرق التلويح بوعود مشابهة لما يتهم به الاشتراكيون الديمقراطيون ، ومن الحقائق التاريخية المعروفة أن الحكومة والمعارضة في ألمانيا الغربية كانتا يمثلان هذه الوجودتين بمعزل عن الحزب الاشتراكي على تنازلات معينة تسجل في وصود المحاربات كل منهما خاصة قبل الانتخابات.

تكن سخرية القدر في أن قادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي مع بعض الاتجاهات الخفية في هينتهنا كانوا من أشد معارضي التوصل إلى اتفاق تغلق بوجهه الملفات السرية لدولة ألمانيا الديمقراطية، حتى لا تستخدم في تلوث الحياة السياسية، وفي أذهاننا ، هذا مطلب دعا إليه العداوت بين المواطنين. هذا المطلب دعا إليه ساسة من مختلف الأوساط بما فيهم المستشار كول، عزل عن الحياة العامة بقتضى هذه الملفات أو التلويح باتهامات بناء على ما يدعى وجوده فيها دون إثبات صحة ما جاء فيها آلاف المواطنين من ألمانيا الشرقية، ويطبق منع ترفيف مئات الأكراف في الحملة العامة. السيدة ريتا زيمزوت رئيسة البوندستاج وعصبة قيادات الحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم، والمعروفة باختلافها مع كول في العديد من القضايا ، بعد أن أصابها هي الأخيرة الاتهام ، تسالطت عندها على الأوامر بإجرا البحث في هذه الملفات ولاي غرض ، الآن بعد أن انقلب السحر على الساحر دخل الاشتراكيون الديمقراطيون في عداد الضحايا ، وهم رغم هذا يواصلون أسلوبا مشابها تجاه كل من عبر في الماضي أو لا زال يعبر من ولائه للأهداف السياسية والاجتماعية لدولة ألمانيا الديمقراطية ، وأكثر من يشن الاشتراكيون الديمقراطيون حربهم السياسية ضده هو حزب اليسار في شرق

وأوست بوليفيا (السياسة تجاه الشرق) كانت من أهم معالم الانفراج بعد الحرب العالمية الثانية . ونجح براندت في سلوك هذا الطريق الذي خلف من احتمالات وصول المعارضة بين المعسكرين إلى المواجهة العسكرية، وكان لهذه السياسة جانب آخر انطلاقا من الاستراتيجية التي صاغها قادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي وكان لها أكبر الأثر على مجمل التطور العالمي كما تبين فيما بعد ، وجوه تردت كثيرا بعد انهيار المعسكر الاشتراكي : التفجير بواسطة القنابل durch Annäherung بمقتضى ان العلاقات الطبيعية مع الدول الاشتراكية هي الأقدر على زعزعة انتمائها وليس سياسة المواجهة وحدها.

### عندما ينقلب السحر على الساحر

يستند اليها الحملة على الحزب الاشتراكي الديمقراطي إلى بروتوكولات المحادثات السرية بين الوزراء الاشتراكيين الديمقراطيين آنذاك وساسة ألمانيا الديمقراطية، والوعود التي لوح بها الاشتراكيون الديمقراطيون للسور بالتطبيع مع ألمانيا الديمقراطية حتى الاعتراف الكامل بالدولة بما يشمل قوانين المواطنة فيها مقابل تحقيق ألمانيا الديمقراطية لشروط معينة مثل التخفيف من قيود السفر للمواطنين وغيرها . الأمر الذي يساعد الاشتراكيين الديمقراطيين على رفع اسمهم لدى النخب في الغرب. ولايسلم الحزب من الحسملة إلا بذات مسجلة «دورفبيل» ، استنادا إلى أرشيف المخابرات السوفيتية ، ثم ارملة فيلي براندت استنادا إلى تفسير معين لأوراق زوجها المتوفى، بحملة على هيرت فيهر أحد أهم شخصيات الاشتراكية الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية ، وتصور الاتهامات في اتجاه أن سياسة الانفراج التي نفذها فيلي براندت كان موهي بها من عسلا ، أ. ك. جي. بي. السوفيتي والشعاري الألماني الشرقي

ولكن ما يسمى بالايست بوليفيا صارت بعد فيلي براندت سياسة مستمرة لألمانيا الغربية ، بل أن التطورات الهامة في العلاقات مثل القروض الضخمة لألمانيا الشرقية والاعتراف بها كدولة - كما شهد العام في زيارة هونيكور للغرب بناء على دعوة كول له عام ١٩٨٧ - تمت في عهد المستشار كول ، ولا يشك أحد في أن مقدمات الحزب الاشتراكي الألماني الموحد ذاتها ، والتي

ألمانيا.

كل هذا الذي يجري يدفع الناس أكثر للناس ، ويعتق من ظاهرة «قرف الناس من السياسة والحزب التي يحسرت بها السياسيون من مختلف المعسكرات. وقد حذر منها رئيس الدولتافونميرر علنا منذ نحو عام بما أغضب كول وحلفاءه ، في انتقاده المثير للحزب الكبير وصفها الرئيس بأنها تتعامل مع الدولة كغفوة وأن جشع السلطة يسيطر عليها ، مستغفرا اليسين المتطرف من الحكم عن حل القضايا الملتهبة . ومن تردى الاوضاع الاجتماعية ، ومن فضائح الفساد التي لا ير اسرع دون أن يطلع الجليل منها على السلطة ، وأكثر من هذا تستفيد الحزب اليسين المتطرف من الجراف الاحزاب المحافظة المحرط نحر الشعارات واللغة السياسية القومية الديمقراطية والتي تجعل النخب في وضع يقفل عنه «الاصل» الذي يتفق بأنه يارس الديمقراطية الاجتماعية وأنه لم يلوته الحكم بعد ، هذه التطورات تقدم لهذا الأصل التنازي المجهد الحجج والادلة لينشر نفوذ بين جماهير الماغلين والفتات البرجوازية الصغيرة. وهو يسعى في دعاياته القومية الشعبية لتوجيه سخط الجماهير للأجانب ومشروع الوحدة الأوروبية واليسار. أكثر من ذلك التنازل في يعرفون اليوم من أشد معارضي تقتهم في الانتخابات المقبلة ، أو أن كانوا سيذهبون أصلا لراكن الانفراج ، رغم الانتقاد المتواصل واتحاد الذي يوجهه الحزب الاشتراكي الديمقراطي لسياسات الحكم إلا أنه لا يقيم حتى الآن بديلا يختلف عن هذه السياسات في الجوهر.

### نهاية «الدولة الاجتماعية»

مساحة الصراع بين العمال وأصحاب الأعمال أخذت في الاتساع ، بعد أن تجاوز الرقم الرسمي للمعطلين في العمل الأربعة ملايين ، وهو أعلى رقم منذ الحرب العالمية الثانية ، أشد هجرم أصحاب الأعمال والدولة على المكاسب التعاقبية للماغلين ، مستوى الأجور ، وسدة العطفة الضمنية ، والمكافئة المرتبطة بها ، وضمان مكان العمل ، والمبلغ المخصص للمعطل عن العمل ... الخ ، وتكبح خطط الدولة لتخفيض المعاشات ، والعديد من بنود الدعم الاجتماعي ، ماذا تريد الدولة وأصحاب الأعمال بهذا ؟ يصيب جرمجور جرمجور رئيس الجمعية الألمانية لحزب الديمقراطية الاشتراكية في البوندستاج في بيان أعلنه مؤخرًا قائلا: الرسالة التي يعلنونها علينا كل يوم بسيطة جدا : نحن ،

الذين تعيش في ألمانيا مهددين ، اليابانيون أو على سبيل المثال الكوريون الجنوبيون يهددوننا لانهم قد يقبلون علينا في المنافسة ، مما سيقترنا ، لهذا يجب ان تصبح مثلهم حسبا بحسري ولسفهم ، وبالألمانية بمعنى هذا استعابازات ضريبية للاجئين ، وتخليص الدم الاجتماعي للراة ، وقرص عمل اقل وغير مضطرة ، اما النساء فلم المطبخ ، والبيئة سقتل العناية بها ، والاجانب يرحلون ... نحن مهددون من روسيا من الاسلام اذ يمكن ان يصيروا الى حروب جديدة. لهذا يجب ان نحمي أنفسنا بالدرع ، بأسلوه الساخر لخص جيزي الخطاب السياسي الألماني الرسمي الحالي.

روسيا في بيان مشترك أصدره الاتحاد الألماني ، والاتحادات المستأجرين ، والجمعيات الخيرية في نوفمبر ١٩٩٣ ، وان الحكومة الاتحادية عازمة على اجراء تخفيض لا مثيل له في تاريخ جمهورية ألمانيا الاتحادية في الاتحاد الاجتماعي.

إن مشروع القانون الميزانية الاتحادية لعام ١٩٩٤ (الذي قرر - ٥ - ١) يريد تخفيض اعباء الميزانية بنحو ٢٩ مليار مارك ، منها ١٦ مليار مارك ، أي نحو الثلث اربع ارباع ، من باب الميزانية الاجتماعية ، وبهذا تواصل الحكومة الاتحادية سياستها المستمرة طوال سنوات لانفا التضامن الاجتماعي.

وتلخيص الخدمات الاجتماعية: وحصل الاعلام يومها صا معناه ان «الجميع» مطالبون بالتحمل ، وان ألمانيا ان لم تخفف تكلفة الانتاج ستخسر الأسواق، وستخسر موقعها الانتاجي ، اذ ستهاجر الصناعات الألمانية إلى بلدان الاجور المنخفضة ، ويصل هذا المنطق إلى ان الحل لتفاد الوضع هو: عمال اقل باجور وحقوق اجتماعية اقل ، ومساكنات اقل للمقاعدين. اصحاب الاعمال جبروا هذا المنطق في الاسابيع الماضية في المفاوضات مع نقابات الصناعات المعدنية التي تضم ٣٧ مليون عامل ، وصرغان ما ترفتت المفاوضات حول تمريئة الاجور بسبب موقف اصحاب الاعمال الذين يريدون تخفيض الاجور بنسبة ١٠٪ والغاء مكافئة العطلة السنوية ، التقنيات ترفض هذا بالطبع وتطالب برفع الاجور بنسبة ١٪ (ي تعنى عمليا زيادة حليفية لا تزيد عن ٢٪ لان معدل التضخم الرسمي ٤٪) ألمانيا مقبلة الآن على سلسلة من الاضرابات العمالية، وقد تواصلت طوال

الشهر الماضي مظاهرات شارك فيها مئات الاف من عمال الصناعات المعدنية ، ولكن وضع النقابات صحب للفتاة اذ يصعب تحقيق التضامن اللازم بين العمال مع وجود هذا الجهش الجرار من الباحثين عن عمل، وتحش الحركة النقابية نقاشا هاما بين انها امام خيارين: اتخاذ موقف جهمري بطرح بدل يمكن في تقليل ساعات العمل من اجل تشغيل عمال اكثر الى جانب مطال أخرى تتصل بالضرائب والسياسات المالية والاجتماعية عموما ، أو تقديم تنازلات اكثر تقلدها اعضاها وتندع بها نحو الهاش.

اعلن تقرير مكيبر أصدرته الفصادات الجمعيات الخيرية والنقابات بعنوان «تقرير عن التفكير في ألمانيا ان هذا البلد الذي يمد من اغنى بلدان العالم يعيش فيه ملايين للراة ، فقط الاطفال الذين يعيشون في ظل الفقر بلغ عددهم المليونين ، بالرغم من هذا تتخلى الدولة عن تطبيق سياسة نشطة لخلق فرص العمل. والتناقض المذهل يظهر كل مرة يترده فيها الكلام الرسمي عن كثرة الشغل الذي يحتاجه انهاء الاقتصاد الألماني في نفس الوقت الذي يتصاعد فيه عدد المتطلعين والباحثين بلا جدوى عن عمل. لهذا التسري في الازواض الاجتماعية صلة وثيقة ببنهاج الخصم الاضخري واستفراء الرأسمالية بالاعمال بل ان هذه الردة في السياسة الاجتماعية تحمل شيئا من ملاح النظام العالمي الجديد ، «الدولة الاجتماعية» التي اعتبرها منظور الرأسمالية في السابق تحولوا كحيفا في النظام كان لها مواصفات محددة : اتساع وظائف الدولة وتدخلها في تشكيل حياة المجتمع لتعزز استقرار اسس النظام الاجتماعي وكسب ولا غالبية المواطنين للنظام السياسي القائم ، وزيدك انتظار الراهن ان الظاهرة التي اطلقها عليها اسم الدولة الاجتماعية او اقتصادات السوق الاجتماعية في الرأسمالية لم تكن مجرد نتاج يدهي لتقدم القوى المنتجة في دول الغرب الصناعي ، بل كانت في الاساس ردا على عاملين سياسيين ، احدهما تأثير نموذج الاشتراكية القائمة آنذاك بما قدمه من ضمانات اجتماعية غير مبروقة في التاريخ للملايين ، مما شكل عامل ضغط سياسي على حكومات البلدان الرأسمالية ، ومثل فكرة قوة

في يد النقابات ، والعامل الثاني الذي لا غنا عنه لتحقيق أي تقدم اجتماعي هو تضال العاملين الباشر من اجل حقوقهم. وقد شهدت ألمانيا الغربية ومعظم بلدان الغرب الصناعية الفنية بعد الحرب المالية الثانية في إطار التطور الرأسمالي ، ومع استمرار الاستغلال وتكتيفه ، تطبيقا لسياسات توسلت من اجل إعادة توزيع الدخل القومي إلى تأمين حد معين من مستوى معيشة مرتفع لنسبة كبيرة من السكان (مرتبات ، معاشات ، معونات للارسل الفنية بالاطفال ، عطل سنوية تراعى تجديد قوة العمل ، رعاية صحية متقدمة ،... ، النقابات لها كلمة مهمة تقترها باستخلام حق النقاض للجماعى وعن الاضراب ، استقلالية نظام تمريئة الاجور...)

كل هذا يعيد الرأسماليون الان النظر فيه ، منذ افول النظم الاشتراكية كانت حكومة المحافظين في بريطانيا بقيادة المرأة الحديدية تاتفرق كل بدات بغير كير والدولة الاجتماعية ، والان بعد نهاية تلك النظم تتارع على نطاق واسع الانتقال الصريح للرأسمالية التي تواصل تطورها طبقا لقرائنها الخاصة دون ارجاع مناسب ، يعلق الفيلسوف الألماني اوست فير هيت على هذا قائلا: ان التحول في الاتجاه المحافظ يؤدي إلى الابتعاد عن الدولة الاجتماعية ويعنى تطبيق حق القوة الرأسمالية ... في تحويل الرعاية الاجتماعية الى القطاع الخاص ، وتحصيل الشطب كلفة دين وطروري المجتمع.

منذ أسابيع قليلة صرح بركسود وزير الاقتصاد الألماني قسانا : السلام الاجتماعي مهم ولكن هناك ما هو اهم والسؤال الذي يرد على ذهن الان- هل حلت نهاية الفترة التي صاد فيها في الحكم الرأسمالي اسلوب المساومات والتنازلات؟ وقد شهد التاريخ اسلوبين لهذا النظام غالبا ما تراكفا او تناخلا : اسلوب فرض المصالح بالقوة ، او اسلوب التنازل في الجسم- من اجل الاحتفاظ بالكل. رغم كثرة التنازلات السياسية في ألمانيا هذه الاسابيع والشهور الا انه لا يزيح الكثير من غموض المستقبل.

لكن يصل حزب من شرق ألمانيا إلى نسبة ٥٪ من الاصوات في الانتخابات العامة للبرلمان الاتحادية عليه ان يحصل على نحو ٢٢-٢٣٪ من الاصوات في شرق ألمانيا ، وذلك بسبب نسبة سكان الشرق لسكان الغرب ، والتي تقارب الربع اقلطاعات الراي بينت ان حزب الاشتراكية الديمقراطية /قائمة اليسار قد قارب الاربعة بالمائة بعد ان كان عند حدود ٢٪.



# ثورة فراعنة المكسيك نتاج ٥٠٠ عام من الصراع

امبراطورية شاسعة غنية بمصادرها. وأغنى بإمجاداتها. والضيوف الفؤاد هم الأسبان.. الذين كانوا قد خرجوا إلى الدنيا كلها يريدون السيطرة عليها بعد أن تحقق لهم الانتصار النهائي على الدولة التي أقامها الإسلام في بلادهم لأكثر من ستة قرون في عام ١٤٩٢.

.. وتصوروا لو أننا كنا لاتزال نعيش تحت سيطرة أولئك الذين أسروا وسمسوا الثاني وقتلوه واستمحلوا على بلادنا. وقسروا معملتنا.. وقلبوا باليهائن منا في الأركان النائية من بلادنا..

هذه هي وضع الهند المحصر في المكسيك اليوم.

وهؤلاء هم الذين حملوا السلاح في انتفاضة أول يناير الماضي.. وإن نجح أحدا من المؤرخين يهز نفسه بمحاولة حصر عدد الانتفاضات المسلحة وغير المسلحة التي قام بها هؤلاء الفلاحين أبناء حضارة «الآزتيك» القديمة منذ أن وقع ذلك الغزو.

لهم لأن انتفاضة الفلاحين المكسيكيين هي في جسدورها انتفاضة ضد هجمة الرجل الأبيض، والانتفاضة ضد الاستغلال المحاربي.. وبالتحديد نفسه هي انتفاضة ضد الحكام وضد الفقر والفوضى عليهم والقهر الذي اصعد منذ ذلك الوقت حتى الآن.. حتى بعد أن استرجع الفؤاد وأبناء البلاد في وطن واحد لأكثر من أربعة قرون.. وحتى بعد أن أصبحت لغة الفؤاد هي لغة البلاد وثقافتهم الغربية ثقافتها الرئيسية.. بل إن أول الانتفاضات المسلحة بدأت ضد الفؤاد والملك مونتزوفا في الأسر.. وخلاها أجيال الأسبان على التراجع حتى اضطرت إسبانيا لتجريد حملة ثانية وثالثة واستغرق تحقيق السيطرة على المكسيك عشرين عاما من القتال المستمر. ارتكب الأسبان خلالها من المذابح الملايين المؤرخين.. وغير المؤرخين من الروائيين والشعراء والفنانين -يحسدون عنه

سبحان

## رسالة واشنطن

البحث- انتفض هؤلاء الرافدون على كل شيء يخضعونه لسيطرتهم. استغناهم الملك العظيم في قصره الهائل فأخلوه أسيرا. وعندما أرادوه أن يدخل في دينهم رفض.. فقتلوه. قتلوا وسمسوا الثاني بعد أن أذلوه وأذلوا الأمراء والقادة والكهنة، وكيروا الجميع بالسلاسل الحديدية.

يبقى هذا مجرّد تصور خيالي.. طالما الحكاية عن مصر. أما بالنسبة للمكسيك فإن هذا هو ما حدث في الواقع.

المكسيك فيما بين عام ١٥٠٢ و ١٥٢٠.

ملكها مونتزوفا، وكان حكيما من طراز رفيع. وقائدا عسكريا من طراز نادر يحكم

زعمت في ختام مقالتي السابق عن الانتفاضة المسلحة في المكسيك أنه لتلك الانتفاضة عمق تاريخي يمتد لآلاف السنين. يعنى تاريخ المكسيك وحضارتها القديمة. وأزعم أن فهم أبعاد انتفاضة الفلاحين المكسيكيين من الهند في أول هذا العام يستوجب ربطها بتلك الجذور التاريخية. وللحقيقة فإن هذه مهمة مؤرخ.. ولست مؤرخا، ولا يمكن استيعابها في أقل من كتاب ضخم.. ولست بصدد تأليف هذا الكتاب، فالهمة الأساسية لاتزال تركيز الضوء على الانتفاضة التي وقعت في ذلك البلد والثاني- التريب- باصطبغات كثيرة أخرى سوى الاعتبار الجغرافي.

لكني سأضع نفسي لفرصة لتقريب معنى الهمد التاريخي للانتفاضة المكسيكية عن طريق تقريبها للوجدان المصري بالذات. لتصور أن الحضارة الفرعونية المصرية عظيمتها- التي لاتزال تبهر العالم إلى يومنا هذا- كانت لاتزال قائمة ومتمدة ومستمرة ثقافتها وثقافتها وأساليب حياتها حتى أوائل القرن السادس عشر.. وفي عصر ملك عظيم يبراز في قامة وسمسوا الثاني- مثلا- تعرضت لغزو من جانب دولة لم تسمح بها مصر من قبل. أناس لم تر مثل ملاحهم ولا ملاحهم ولا أسلحتهم، هبطوا فجأة على شواطئها وتغلروا في أراضيها.

لتصور أن مصر اعتربت هؤلاء القادمين من عالم آخر ضوفا لاغزاة.. جاوا للتعرف على مصر والصربين وإمجاداتهم وتقاليدهم. فاستقبلتهم بهذا المعنى. اندلعت عليهم من خبرها وعلمها أحسن ضيافتهم. وبدأت تتعلم لغتهم حتى قبل أن يفكروا هم في تعلم لغتها. فلم تأخذ بأي نية سيئة إقدامهم على استغلال هذه الضيافة التي أنصت جديدها.. لأن الاستغلال أو السيطرة لم يخطر ببال حكام مصر أو كهنتها أو مواطنيها.

ثم- ولاتزال في إطار التصور الافتراضي

\* صحيفة المال الأولى  
في أمريكا تقول:  
الانتفاضة هزت أسس  
النظام المكسيكي.

الى اليوم.. مشاهد لا تحصى من جثث النساء والأطفال المزرقة والجسام التي تحولت الى كتوس.. وصغور النساء التي صنع منها السجاد..

لقد ألغى الأسبان امبراطوريتهم في أمريكا اللاتينية كلها - وليس في المكسيك وحدها - على الأرباح. جعلوا الرعب سلاسلهم الرئيسية. ولا أنسى ولا يمكن أن أنسى أبداً ما قرأته منذ سنوات طويلة في كتاب عن الانتحار بعنوان «الاله الوحشي» لـتولف اللانجلير. أ. ألفاريز من أن الهندو الحمر في المكسيك أخذوا يمارسون «الانتحار الجماعي» بالألاف هربا من وحشية الأسبان وقسوتهم المتناهية بعد أن دانت لهم الهللا.. وبدأ الأسبان يشرحون بأن هذه الظاهرة تعود الى تناقص الأيدي العاملة. لم يؤد بهم ذلك الى تعذيب قسوتهم على الهندو الحمر. ألفا أخذوا يؤكدون لهم أنهم سيخلطون جهنم لأن الدين يحرم الانتحار وفي جهنم فإنهم سيحرقونهم هناك.. وسيكونون أيضا أسبدا لهم (...)

#### انتفاضة هيدالغو

يقال أن المكسيك - ونحن نتحدث الآن عن المكسيك التي لم تعد جزءا من إسبانيا - تقاسمها كبا الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد جزءا من الامبراطورية البريطانية - هي البلد الوحيد في العالم الذي يحتفل بعيد استقلاله في ذكرى اعدام زعيم قروي، والزعيم القروي الذي يشار اليه هنا هو «مهنويل هيدالغو» الذي يطلق بـ «ابو الاستقلال المكسيكي». لتسبب من قرية صغيرة تزعم انتفاضة فلاحين مسلحة في عام ١٨١٠. منتهزا فرصة هزيمة إسبانيا وسقوطها تحت حكم نابليون فاطلق «صرخة الأكم» بادئا بدق ناقوس كنيسة داعيا إلى الثورة ضد إسبانيا.

وقد نجحت الانتفاضة بقيادة القس هيدالغو. لكنها لم تلبث أن تمثت على يد الحكام الأسبان واقتيد هيدالغو الى تشليد حكم الأعداء فيه روسيا بالروس عام ١٦ سبتمبر عام ١٨١١. ولقد هذا يوم عيد استقلال المكسيك.. مع أن المكسيك لم تستقل عن إسبانيا الا عام ١٨٦٩ بعد إعدام هيدالغو بثمانية وخمسين عاما.

وعلى ذكر هيدالغو فإن قليلين يعرفون أن إسبانيا نقلت نظام محاكم التحقيق (التي تسميها خطأ محاكم التفتيش) من بلادها الى العالم الجديد.. ونفذت أحكامها في كل بلاد القارة الأمريكية التي خضعت لحكمها. وقد حرك هيدالغو وأدين وأعدم

أمام واحدة هذه المحاكم الدينية -مع أنه رجل دين مسيحي- عتصمها بالكفر لأنه دعا إلى استقلال المكسيك عن إسبانيا. وقد أثار الحكام الأسبان أنه «جند» أكثر من أرمسانة من التساوسة من كنائس المكسيك في انتفاضه المسلحة. لقد تين لهم أن التساوسة كانوا يلتصمون منشورات الانتفاضة «المتطرفة» وأديباتها القوية التهاما.. وكانوا يجادلون قسما بينهم كتبات الثوريين الفرنسيين والأمريكية كالمشورات السرية. ويكن هؤلاء التساوسة من كسب الفلاحين لتضية الثورة.

ومع أن هيدالغو كان ينتمي لأسرة موسرة إلا أنه كان من أصل هندي أحمر. وفي شياهي اختار مع السلك الكهنوتي طريق السعي الى العدالة الاجتماعية، وكان ذلك مدخله إلى إدراك أن العدالة الاجتماعية مستحيلة دين أن تستقل المكسيك عن الحكم الأسباني. وقد قاد في البلدة الصغيرة التي كان راعيا لكنيتها حركة من أجل التصنيع. وأدى ذلك إلى تعرضه للاستجواب من سلطات محاكم التحقيق الدينية حتى قيل أن يطلق «صيحة الألم» داعيا للاستقلال. وخلال الاستجواب شهد ضد بعض التساوسة بأنه رجل يشك في عقائد الكنيسة ومن بينها العقيدة الكاثوليكية بأن البابا معصوم من الخطأ.. وأنه كان يهاجم النظام الملكي ويعتبر الملك كحكما مستبد.

لكن جرعة هيدالغو التي لم تغتفر لم تكن «الهرطقة، الألفاد، الزيع عن الدين وانتكار عذرية مريم، المادية، التحرر، الضلال واتباع آراء الثورة الفرنسية العلمانية» - وهي الاتهامات التي وجهت إليه أمام محاكم



## \* كيف غيرت المكسيك أفكار كارل ماركس؟

\*\*\*

## زاباتا من فلاح أمي إلى قائد ثورة.. إلى أسطورة لا تموت..



التحقيق الدينية - ألفا كانت جرعة انتحار مدينة «جورالدا لايلا» المكسيكية على رأس جيش من القصرين من الفلاحين المسلمين، وتزع صور الملك فريدريك ملك إسبانيا (وكل تملكاتها فيما وراء البحار) من على الجدران وأصدر مرسوم بإلغاء «العويذة» (عصويذة الهندو الحمر) ومصادرتها سلع الأوربيين، وأنها «قوانين القديسة الممروضة على الهندو إعادة أراضيهم إليهم.

بعد ٤ سنوات فقط من إعدام هيدالغو وقع في أيدي الأسبان الرجل الذي خلفه في قيادة الانتفاضة الفلاحية من أجل الاستقلال.

طوره موريلوس كان أيضا قسيسا. وكما حدث هيدالغو انتصارات عديدة وازمات عديدة، حدث قرويلوس الشن نفسه.. الى أن «أصطاد» (وكان هذا هو التفسير الأسباني عن أسر واحد من الهندو الحمر) وكان فارا في المناطق الجبلية، يترق الثياب، لم يتناول طعاما لعدة أيام. ويحكي الكاتب اللاتيني (من أبورجراي) ادواردو جاليانو أن الضابط الأسباني الذي أسره سأل.. ماذا كنت تفعل في كل كنت أنا الذي رقت في أسرك؟ فرد عليه موريلوس «أعطيك ميلة ساعتين لتعترف أمامي كقسيس ثم أطلق عليك الرصاص». وعلى القوي أصره على الركوع على ركبتيه.. وعندما أصدر الأمر للجنود بإطلاق النار عليه لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك أمام وجهه.. القوا من الخلف وأطلقوا النار عليه من ظهره..

كان ذلك عام ١٨١٥. ويقول جاليانو: وقتها قال الجديري (الذي كان يحكم المكسيك مثل الوالي عن امبراطور إسبانيا) أن المنتصر مات نادما تاتيا.. لكن الفلاحين المكسيكيين لا يزالون يعتقدون الى اليوم أن البهيرة التي أعدم موريلوس بصورها سميت سدي طلقات الرصاص فاضت بياهاها لكي تحمل جثته بعيدا عن جلاديه (...)

ليس هذا سوى التفسير «الأسطوري» لاختفاء جثمان زعيم الانتفاضة.. لكنه تفسير يمكن مدى تقدير الناس له ولوره، وتفسير يلقى بطلته. لكن الجدير بالذكر أن واقعة قتل موريلوس جرت بالقرب من مدينة سان كيريتو.. المدينة نفسها التي كانت مركزا لانتفاضة أول يناير الفلاحية المسلحة هذا العام (...)

وتلك كانت المكسيك تحت الحكم الأسباني التي زارها العالم المستكشف الألماني الشهير الكسندر هومبولث وهاله أن يلاحظ أن «أساتلة اللاهوت (الذين يدرسون العلوم

الدنية) يتقاضون مرتبات تعادل خمسة أمثال مرتبات أساتذة الطب والفلك.. أن الأرض الزراعية مهملة ومحتكرة وفقر الشعب يمنع تطوير الصناعة. والمكسيك هي بلاد اللامساواة إن اللامساواة الرهيبة في الحقوق والثروات تصنع المرء على وجهه منذ الولادة الأولى.

ملامحة هامبولت عن اللامساواة في الحقوق والفروات لاتزال صحيحة إلى اليوم بعد انقضاء ١٩٠ عاما عليها (...)  
(رملامحة هامبولت لا تختلف كثيرا عما كتبه العالم البريطاني توماس هالفوس- صاحب نظرية السكان الشهيرة- في كتابة ومقال في السكان» عام ١٨٩٨. أي قبل ٦ سنوات من هابويلث- عن أحوال مصر.. وهذه أيضا لاتزال تصدق على مصر تسعينات القرن العشرين!

\*\*\*

خلال السنوات التالية، من بدايات القرن التاسع عشر كان أصحاب المكسيكيين المتعصبين إلى الاستقلال وإلى العدالة الاجتماعية مما بالثورة الفرنسية ومبادئها قد تصاعد كثيرا، بالأخص بين المثقفين. ويقول المؤرخ المكسيكي صيريل راموس أن ذلك كان ينطوي على رغبة في التحرر... لكنه كان ينطوي في الوقت نفسه على شعور بالنقص إزاء الأوربي خاصة بالنسبة للشعبان المكسيكيين أبناء المدن المتضررين الذين كانوا يبعثون عن المبادئ الضرورية لمحاربة الماضي.. لمحاربة القهر بالبيروقراطية. لمحاربة الدولة الملكية بجمهورية ديمقراطية.. لمحاربة سيطرة الكنيسة بالعلمانية.

وخلال تلك السنوات أيضا كانت المكسيك قد اقتربت من التحول إلى دولة لاتينية الثقافة، تدهورت فيها ثقافة الحضارة اللدنية، الأزتيك والمايا. كان الفرو قد تم... لكن بقي الفلاحون في معظمهم من الهنود

**\* الفلاحون تبناوا الأفكار الاشتراكية.. تحت قيادة وتأثير رجال الدين في سبعينات القرن الماضي**

المحمر أبناء تلك الحضارة كما هم، ضحايا للفقر والقهر والاستغلال. ويجدر بالملاحظة أن كلمة «يهلادو» ومعناها الإسبانية فلاح تستخدم في المكسيك من البداية للدلالة أيضا على معنى فقير.. وحفير.. إلى آخر تلك الملاحظات الطبقية التي تذكرنا باستخدام كلمة «فلاح» على ألسنة الأثرياء عندما كانت مصر تحت السيطرة العثمانية.

واتت سيطرة فرنسا على إسبانيا بأكثر من تأثير أفكار الثورة الفرنسية على المثقفين المكسيكيين. لقد أتت بالحكم الفرنسي عندما غزا جيش نابليون الثالث- وكانت فرنسا قد خانت ثورتها وعادت الملكية إليها- وهذا ألج حكام فرنسا إلى جعل المكسيك والجزائر الأمريكية.. إشارة إلى تحويل الجزائر إلى «جزء من فرنسا».

أنهم الفزاة الجديد. لكن هذه المرة انضم الهسبين المكسيكي المحافظ بقواته إلى الفرنسيين. عشرين ألف جندي مكسيكي انضموا إلى ثلاثين ألفا من الجنود الفرنسيين الذين كانوا في خطوة أخيرة من حملة طويقة اجتاحت خلالها الجزائر والقرم والاستغال. وبعد الفرنسيون سنة ١٨٨٤ المكسيك

الأسير ماكسيميليان، الذي لم يكن سوى أحد الأمراء العاطلين في أوروبا الذين وزعهم فرنسا قبل ذلك في أنحاء أوروبا و كان نصيبه النمسا قبل أن يولي عرش المكسيك. ويعتقد مؤرخ مكسيكي آخر هو المؤرخ الاشتراكي «جاسكون جارويا كاتغو» أن غزو نابليون الثالث للمكسيك كان علامة النهاية في فكر كارل ماركس، الذي كان يعتقد قبلها أن الفروع الاستعماري من جانب الدول الأكثر تقدما هو انحصار للتقدم على التخلف. فقد كان هذا رأيه عندما غزت الولايات المتحدة المناطق الشمالية من المكسيك قبل ذلك بنحو ١٥ عاما، وكتب يقول أن ذلك سيحول الفلاحين المكسيكيين إلى بروتريتياريين ويؤدي إلى إسقاط الإقطاع وطفاته من رجال الدين (...)

خلال المراحل السابقة- ما بين الفزود الإسباني وبداية حركة الاستقلال- كان عدد الهنود المحمر المكسيكيين، قرابة المكسيك، قد جبط من نحو ٢٥ مليون نسمة إلى أقل من مليون واحد (...). ويقول الروائي المكسيكي الأشهر في الوقت الحاضر كارلوس فوينتيس في كتاب له صدر قبل أشهر قليلة بعنوان «المرابي المدفونة: تأملات عن إسبانيا والعالم الجديد» أن العوامل التي تصافرت على إبادة هنود المكسيك لم تكن

فقط العمل القسري والأمراض التي وفدت مع الأوروبيين إلى بلادهم والمذابح التي ارتكبت ضدهم في كل مناسبة بدأ فيها استعدادهم للتزود.. إنما كان هناك أيضا عامل «الصدمة الثقافية». فلقد حوّل الفزاة المستعمر من هذه البلاد من «جنة أرضية إلى قارة للعداء. وقد استمر هذا العداء على مستويات مختلفة. وكان أساسه طريقة معاملة الفزاة للهنوديين..»

كانت النتيجة الطبيعية لهذه الإبادة أنه عندما بدأت حركة الاستقلال في المكسيك لفصلها عن إسبانيا لم تكن حركة استقلال بقفهم القومي أو الوطني التقليدي. كانت قد نشأت في المكسيك طبقة من الحكام الذين ينتمون هم أنفسهم لإسبانيا. ولكن فكت معهم إلامهم في الاستقلال بهذه البلاد من النتائج الإسباني. ولهذا فإن الغالبية الساحقة من حركة الاستقلال في منتصف القرن الماضي كانت من ال «كربوليس» وهو التعبير الإسباني الذي يشير إلى المكسيكيين من أصل إسباني الذين ولدوا في وإسبانيا الجديدة... أي في البلاد التي احتلتها إسبانيا في العالم الجديد.

لهذا يمكن وصف استقلال المكسيك بأنه كان أقرب إلى انفصال مصلح هلي مصر عن «الباب العالي» العثماني.. وأن كان ذلك لا يقلل من قيمة هذا التطور.

وقد استمرت في المكسيك الجمهورية المستقلة معظم مظاهر وظواهر قهر الهنود المكسيكيين وكل العناصر الأخرى غير الأوروبية في المجتمع. وكان نصب الفلاحين والفقراء من القهر دائما الأكبر. مع ذلك فقد كان هناك دائما المدافعون عن الفلاحين والفقراء من ينتمون إلى أصل أوروبية أو أصول مختلطة. وهذا كان هؤلاء كانوا الاشتراكيين. أحد أوائل الاشتراكيين المكسيكيين، كان كولونيل في الجيش اسمه «البرق سانتاني» في كتب من داخل السجن عام ١٨٧٩: «من المزم حقا أن يقال هذا لكن لابد أن نقوله: لقد كان الهنود أسعد حالا تحت الحكم الإسباني. فالهنود تصفهم- زيدا- بأنهم أحرار بينما هم في الواقع عبيد».

كان الكولونيل سانتاني في قد أودع السجن لأنه قاد انتفاضة لهنود المكسيك في منطقة وادي «تكيلوكان».. وكان يؤمن بأن أراض المكسيك كلها ناشئة من فقر الشعب. وفقر الشعب ناشئ عن تركيز الأرض في أيدي حفنة قليلة وعن نقص الصناعة..

وذلك أن كل شيء يأتي من الحارجر بينما تستطيع أن نضعه بأنفسنا». وكان السؤال الذي أطلقه دائما قبل السجن بعده: «هل من الأفضل أن نقتل استقلالنا ونضع مستعمرة لأمريكا الشمالية (الولايات المتحدة) أم أن نغير النظام الأسباني الذي خربنا». (داودو وجالانتي، وجوه واقفعا).

اشترى المكسيكي أخيرا - صحنه هذه المرة - هر خوان دي مائا زيفيرا، كتب يطالب بحد أراضي الهندو، إلى الفلاحين، اليهم «فليس هناك قانون يمنع الحق للصوم في ثمار العنف والشر».

في تلك الفترة - بالتحديد في عام ١٨٧٩ - نشر أول برنامج اشتراكي مكسيكي، وضمه فلاحو منطقة سييرا جويرا وأكدوا فيه ضرورة القضاء على الملكيات الشخصية وحكومات الأقاليم التي وضعت الهندو تحت رحمة سلاك الأرض وفي خدمتهم، باعتبار تلك هي جذور البؤس السائد، وطالبوا بتعديل القرى التي سدن، واستعادة الفلاحين ملكية الأرض ومصادر المياه والأخشاب، والمراعي.

في عام ١٨٨٥ كان الهندي المكسيكي المخلط **تهودو فلوريس**، الذي يوصف في تاريخ المكسيك بأنه «بطل ثلاثة حروب» إشارة إلى اشتراكه في انتفاضات للفلاحين على الحروب ضد الفرنسيين وضد الأمريكيين. يفتح مدرسة يعلم فيها أبناء الفلاحين. كان يقرئ لهم «ودود ورايتي: الكلك ملك للكل، الأرض والماء والأخشاب والبرهان والمحاصيل للجميع». ماخذه الله وما يخلقه الإنسان على السواء. ملك للجميع... لقد ولدنا متساويين عراة تماما. كلنا أخوة. ودودو ورايتي» (جالانتي).

\*\*\*\*

## زاباتا.. الثورة

شهدت نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي: توالى عدد من الرؤساء الذين فرضوا على المكسيك حكما دكتاتوريا طاعيا. أشهرهم **بوريويو** دهال الذي بقي رئيسا من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٩١١، وكان من أشهر أقواله وهو رئيس قوله «إن أفضل هندي هو المدفن على عمق ستة أقدام تحت الأرض، ومع أنه كان هو نفسه من والمخلطين، نضفه هندي ونصف أوروبي، فإنه كان يدعو إلى قتل الهندو قرا إذا شاركوا في أي ثور.. دون حاجة لحاسكة أو حتى استجواب. ويقال أنه في عهده كان الزواج في البرهان يصوتون إلى جانب كل قانون يتقدم به

دهال. ولكن بالأهمية فقط.. لأتهم بفحش في الجلسات.. وعندما يقف رئيس الجلسة على منتهى تسقط رؤوسهم على صدورهم. فيؤخذ هذا على أنه موافقة بالأهمية»..

وقد انتشرت نكت أخرى كثيرة عن دكتاتورية دهال منها أنه إذا سأل «كم الساعة الآن؟» يرد عليه مساعده «كما تشاء يا سيادة الرئيس»... وهو نوع من النكت ينتقل من عهد إلى عهد، من رئيس إلى رئيس، لا يغير سوى بالأسماء، لكن عهد دهال لم يزل يتنازع نفوذ الولايات المتحدة واستعماراتها بدرجة لم تحدث قبله.

في هذا العهد بدأت الانتفاضة الأكبر في تاريخ المكسيك.. الانتفاضة التي تضمنها إيجياليانو زاباتا.. وهي الانتفاضة الوطنية التي يطلق عليها في التاريخ المكسيكي وصف «الثورة المكسيكية». عندما تذكر عبارة «الثورة المكسيكية» يكن المقصود الحركة التي قادها زاباتا، ابتداء من عام ١٩١٠، وذلك على الرغم من أنها انتهت، بعد سنوات نجاح لم يشمل أنحاء المكسيك كلها، باغتيال قائدها في عام ١٩١٩. أما لماذا أصبحت هذه «الثورة المكسيكية» دون غيرها، للآثر العميق الذي تركه على أفكار المكسيكيين ومفاهيمهم عن الثورة والعدالة والأرض والقانون.. لقد أعادت الثورة التي قادها زاباتا إلى المكسيك وعيا بأنها ليست بلدا أوروبيا، وأن خلاصها ليس في أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة) واستثماراتها. ولا في القوانين التي ورثتها عن الملكية الأسبانية أو عن الثورة الفرنسية أو الميراث الفرنسي لحركة الاستقلال.

ولعل من أغرب حقائق التاريخ أن صانع هذه الثورة وقائدها لم يكن في بداية حركته سوى «فلاح أمي». وأن وسائله في التنقل بين قرى المكسيك ومدنها لنشر الثورة، - وقد تخطى بها كل الحدود التي انتقلت على انتفاضات الفلاحين السابقة - لم تعتمد جواده، الذي أجاد كفايرس قيادته. وقد تخلف عن زاباتا تراث شعبي ثرى للغاية. يقول الفلاحون عنه إلى اليوم أنه «أبقت الأرض

من سباتها.. كان رجل الصحة... تحدث كثيرا وهو صامت.. وثق به الفلاحون كما لم يفقدوا بأحد من قبل إلى حد أنهم لمسوه أرواقهم التي هلت في حوزتهم منذ أيام الحديوية. الأوراق والوثائق التي تثبت امتداد جذورهم في هذه الأرض إلى ما قبل أن تها قدم أسباني أرض المكسيك. أما الآن فإنه لم يعد لديهم من مساحة الأرض ما يتسع لدن صراتهم. كانوا يقرولون لهم إذا أردت أن تزرعوا فائزوا في قدر الفخار. (ذلك أن ملاك الأرض كانوا يزرعون المحاصيل التي تدر الملاك الذي يجلب لهم الثروة.. بينما كان الفلاحون يربون أن يزرعوا القرفة التي يصنعون منها خبزهم).

كان الدكتاتور دهال قد انهار فجأة ونفى بعد ٣٠ عاما مضاعفة «على العرش».. وجاء بعده **فرانيسكو ماديرو** الذي يدرك أن ثمة حاجة إلى التغيير. لكنه اعتقد أن كل التغيير المطلوب «تشرعي» لأكثر. كان شعار «الاصلاح القانوني». بينما كان شعار زاباتا - الذي بدأ ثورته مع صغره ماديرو إلى السلطة - **الاصلاح الزراعي**. ولم يكن الاصلاح الزراعي بالنسبة لزاباتا والقوات الفلاحية التي أعقت ولاها له مجرد قانون.. لم يكده عام ١٩١٤ يبدأ حتى كانت قوات زاباتا تتخطى القرى وأجدة بعد أخرى من الجنوب متجهة شمالا نحو العاصمة. وصحف المدن تتكسب «الأشغال البالية تكسب الحرب». وبعضها يجلب صفحته الأولى بالسراة. حاددا على.. سقوط «النظام» وانهاير «القانون». ويعاق زاباتا «ساسة» الشكولاته يربون أن يكسبوا الحرب دون أن تتسبب أيديهم.

مع اقتراب قوات زاباتا ترجف «ميكسيكو العاصمة». قبلت اعتادات أن تتسبب ميكسيكو يظفون عليه أوصافا من نوع «هولوكو المكسيك».. وبعد ذلك بأشهاد دخلهم. هذه المرة ليسوا متسولين يظفون رغيب خبز أو شربة ماء، لما دخلوا تحت قيادة زاباتا مع قوات بانشر فيللا القائد العسكري الذي أطاح بالدكتاتور دهال.. يحيط بهم في

**\* استقلال المكسيك حور المكسيكيين من أصل أسباني.. وأبقى على كدل القهر الذي عاش فيه الهندو منذ بداية الغزو.**

المدينة التي كانت تسمى نفسها آنذاك «باريس الأمريكية» واستمزاز مشروب بالحرق». ولقد اكتشف الفلاحون - القسرا - الهنود - المنبردون - المختلطون - مركز السلطة في البلاد ، واحترقوا . لم يبق للبلد ثم يتغير ، كما لم يتغير . لم يتغير زاباتا أبدا بأنه يتغير إلى هذا المكان . حتى ليبلغه الأولى في العاصمة لم يرض أن يقضيه في قصر الرئاسة . قضاه في فندق من الدرجة الثالثة على مقربة من محطة السكك الحديدية ، حيث القطار الذي يحمله إذا أراد عائد إلى قرية في الجنوب . الجميع كانوا توافين إلى مسفارة هذه المدينة . كان هذا الانتصار الكبير شيئا فوق العادة بالنسبة إليهم . ويتغيرهم شيئا لهم الأسفل إلى ترك العاصمة بعد أيام - بعض اختصارهم - ليعودوا إلى حيث يمكنهم أن يتحركوا دين أن يتحركوا... (جولي أدولاف ، الثورة المتقطعة - صادر عام ١٩٧١).

وكما هو الحال دائما كان هناك من يتصرف بانتظار الفرصة السانحة . انتفض على مركز سلطة جنرال هو فكتور ساجو كارانزا . من يتصرف انتظارا للفرصة سانحة . انتفض على سبعة زاباتا جويي من المؤرخين حورلوا حوادث فردية ارتكبتها بعض الحروب أمام اتهامات للثورة كلها بالفساد والانحلال . ولعل التفسير الأقرب للمنطق أن زاباتا آمن أن الحياصة في مدينة مثل «مكسيكو» يمكن أن تحول جيشه إلى معجزة من الرجال لا يمكن السيطرة عليهم . فائز الثورة بهم إلى مناطقهم الريفية قاتلا ، إن العاصمة لاتصلح لسكي البشر (...).

أقام الجنرال كارانزا في العاصمة مقرا أن يتجاهل زاباتا وجيشه في الجنوب . بالأحرى أراح نفسه من هموم الجنوب وقرهه وهنره... لكنه اضطر لمواجهة مشكلة بانقرو هبلا وقراته النظامية في شمال البلاد . وبعد هجرمين ناجحين ضد قوات فيلا حصل الجنرال كارانزا على اعتراف الرئيس الأمريكي ويلسون به ونهسا للمكسيك في صيف عام ١٩١٥ . وكان هذا أهم له بكثير من اعتراف الشعب المكسيكي أو عدم اعترافه بسلطته . وهي سياسة تأكدت وفرضت نفسها على حياة المكسيك السياسية... حتى الآن . ولم يكن أسهل من العثور على ذريعة عسكرية لتدخل أسهل في الشمال ضد قوات فيلا... وكانت أن وجدت منها عبرت الحدود الجنوبية للولايات

المتحدة وقتلت ١٨ أمريكيا . وقد سبب وجوه القوات الأمريكية حرجا شديدا للجنرال كارانزا وحكومته . مع ذلك فقد بقيت حتى بداية عام ١٩١٧.

أما في الجنوب فإن قوات زاباتا تكثرت من أحكام سيطرتها - وفي الحقيقة نظامها - على مناطق الريف المكسيكي ، وليس في الجنوب وحده ، مع بدايات عام ١٩١٥ . وشهد العام نفسه وأحلى وانتصارات الزاباتية العسكرية على قوات الحكومة . وبدأوا يقيمون نظامهم الطوباوي (الخيالي) هذا بالإصلاح الزراعي ومحاولات إحياء الصناعات القائمة والتأميم وتوزيع الأرباح... غير أنه لم يبق وقت طويل حتى كانوا يندلمون غاليا ثمن تنازلهم الاختياري عن مركز السلطة في مكسيكو العاصمة . بعد أن عزز الجنرال كارانزا مركزه بالرجوع العسكري الأمريكي في الجنوب وحل نصر مناطقهم... وأخذ يحقق انتصارات وراء آخر ، ورواها كان يعود أصحاب الأملاك . بين يدهم الأجانب الذين أرادوا استعادة ممتلكاتهم للفلاحين الزاباتيين وأعين بأن «معيدوا بناء ما خربته هؤلاء المتشردون». وكان رد الجنرال عليهم: «لارقت للحدث عن عملية إعادة البناء». فبدأ عملية التدمير لم تنته بعد (جوناثان كاندلر ، الحياصة - صادر في عام ١٩٨٨).

وبعد أن انتخب والجنرال كارانزا رئيسا بصفة رسمية في عام ١٩١٧ أصبح همه مطاردة زاباتا للقبض عليه أو قتله... فقد كان بين عدويه (الأخر بانقرو فيلا) أقدمها خطرا عليه . وفي أوائل عام ١٩١٩ كان هذا المسمى قد أدى إلى قتل أكثر من ٤٠ بالمائة من سكان ولاية موريلوس التي كانت أهم مراكز قوة الزاباتيين. «ولكن للتصديق والا الاعتماد ضد أنصار زاباتا ، ولا المكافآت

## \* الخلفية التاريخية لانتفاضة «المايا» - هندو المكسيك - من بدايات القرن السادس عشر إلى نهايات القرن العشرين

والعروض الباهظة من حكومة استطاعت أن تزود إلى القبض على زاباتا ، ولعل هذا الوقت على الرغم من أنه كان وقتا عصيبا لزاباتا وأنصاره هو الذي شهد تحول الرجل من قائد انتفاضة فلاحية واسعة النطاق لكنها محاصرة إلى أسطورة يصحبها الاصمحاء بها... وفي أسطورة لا تزال حية بين هندو المكسيك وقرائنها من كل عرق وجنس وضمعة ، حيث لا يزال الناس يفتخرون أن أجدادهم زاباتا لا يزال حيا ، وأنهم في الغالب القرية يشاهدونه على قمة الجبل فوق حصانه يلوح لهم بقميصه المكسيكية الكبيرة...

وعندما وقع زاباتا... فانه وقع ضحية عملية خداع استغل فيها طبيعة الفلاح الفائر الطيب... دسرا عليه ضابطا من رجال الجنرال كارانزا زعم أنه سمره على الجنرال وأنه مطلوب من قوات الحكومة لقتلهم الأعداء فيه... وظل حماية زاباتا له... وكانت مثل هذه الخرافات مألوفة طوال سنوات الثورة الزاباتية. وفي اليوم الذي كان فيه موعد القفاز مع الضابط ورجاله على شروط انتقامهم إلى صرف الزاباتيين لئلا يوافقوا حاجتهم ، رفض زاباتا أن يصحبه أكثر من عشرة من رجاله إلى مكان اللقاء... على الرغم من ترحس معاونيه ، ويحكى هؤلاء الحراس العشرة أنه ما أن اقترب القائد العام (أي زاباتا) من عتبة الباب الذي كان مقبرا أن يذله ليعتصم اللقاء حتى كانت صلاتان للثلاثين من طلقات الرصاص السبعة فتقتل عليه... لم تكن لديه فرصة حتى لسحب صمغه من جانيه... وسقط قائدنا الذي لا ينسى زاباتا سلطته التي لم ينهض منها أبدا.

مات والرجل الذي علمنا أن الحياة ليست فقط خوفا من المعاناة ورجاء في الموت... هكذا تقول أغانيهم حتى اليوم «برودونها كانهم يقتضون الكلمات كما يقتضون كيزان الذرة (أجاليانو: ذاكرة النار - صادر عام ١٩٨٨). ويقتل جاليانو أغنية من زاباتا تقول:

يمكن أن ذهب مع أحد رفاقه إلى الجزيرة العربية  
بأه زاباتا هذا لاشيء... يخيئه.  
لقد شوهه فريق تلال كيلا مولا.  
أعبر أنه تائم الآن في كهف في سيمو  
بريتو.  
شاهد حصانه يشرب الماء من النهر.  
إنذا سألت زهور الحقول  
والوردان في موريلوس  
عن زاباتا.

قل إنه ذهب لتسلق حالة القمر  
ماذا علمتكم عقيدة التناسخ  
إنها تقول أن الرئيس لم يمت  
أن زاباتا في طريقة اليك. »

\*\*\*

لكن الحركة الزاباتية ليست مجرد أغنية  
للزراعة أو الفلاحين تحرك الوجدان الانساني  
والوطن.

لقد أثبتت الانتفاضة المسلحة التي  
قادتها هذه الحركة في أول يناير الماضي  
ومآلقها من تطورات سلطات الأضرحة مجدداً-  
وما كسا لم تسلط منذ رحيل زاباتا عن هذا  
الصحراء - على أوضاع هذه المكسيك وكل  
فلاحاتها وكل فقرائها. أن الزاباتية حركة  
مستمرة - أنها لم تمت بمرت زاباتا. كما لم  
تتحول إلى مجرد أسطورة أو حكاية شعبية.  
ولعله من الجدير بالملاحظة أن انتفاضة

جيش التحرير الزاباتية في إقليم شهاباس  
المكسيكي الجنوبي قد أعادت - حتى إلى  
الصحافة الأمريكية - اسم «المايا» .. تلك  
الحضارة القديمة العظيمة التي يتبنى اسمها  
هذه المكسيك. فقبل أيام كانت صحيفة  
«واشنطن تايمز» تضع في عنوان تحقيقها  
الهمومي عن تطورات المكسيك «ثوار المايا»  
ويصور الحكومة بيد أن معاداة السلام،  
وكان الاسم قد اخضع طويلاً لإهمال كنيش  
وهرشوا الأثريولوجيين وعلماء الآثار..

ونجاة أصبح عنواناً للثورة المسلحة تخوض  
معركة سياسية ويظهر في تعليقات وتحليلات  
يلعب بعضها إلى حد القول بأن انتفاضة  
هؤلاء الهنود المكسيكيين ستحدد تطورات  
الأحداث في أمريكا اللاتينية كلها وما إلى  
وقت طويل بعد بداية الركن القوي على حد  
تصغير صحيفة «وول ستريت»  
جورنال» صحيفة المال والأعمال الأولى في  
الولايات المتحدة. وقد كتبت هذه الصحيفة  
(في ٧ فبراير الماضي) تحقيقاً مطولاً عن  
أوضاع المكسيك بعد انتفاضة ثوار «المايا»

قالت فيه أنه مع اقتراب موسم انتخابات  
الرئاسة المكسيكية فإن الانتفاضة تهر الحياة  
السياسية في المكسيك من أساسها.. وبعد  
نحو سبعة عقود من العمليات العسكرية التي  
كان يسهل قامة التنزيم بإساراتها في ظل  
الشعارات الطائفية للحللات الانتخابية وسيطرة  
الحزب الواحد يوشك موسم انتخابات الرئاسة  
المكسيكية أن يصحور إلى شيء مفسر  
للإهتمام. فإن انتفاضة الهنود في ولاية  
شباباس الجنوبية قد أثبتت مشكلات قديمة:  
الفقر المدقع، التفاوت الشاسع في الثروة،

القضاء السياسي. - وأتى ذلك في وقت حرج.  
والنتيجة في موسم سياسي مقترح بصورة  
تدعو للندوة، موسم يختلف بدرجة هائلة عن  
موسم الانتظار الملوك المتصادم لمرشح الحزب  
الحاكم وهو يتخبط، وهو ما كان عليه الحال منذ  
العشرينات..

وتضيف الصحيفة الأمريكية - التي  
لا يمكن اتهامها باليسارية أو التعاطف مع  
انتفاضة مسلحة يشارك فيها اليساريين  
والشيوعيين المكسيكيين - وهذه المرة لم  
تخفف أحزاب المعارضة، لقد عاد الحزب  
اليساري إلى الظهور فوق السطح فجأة،  
وبدأت براد الانتقادات تظهر في الحزب  
الحاكم الذي كان دائماً كقطة موحدة.

وعنى لفرانز مرسع الحزب الحاكم في  
انتخابات أغسطس القادم، وهي نتيجة لا تزال  
هي الأراج، فإن عملية البحث عن الروح  
الجارية في الحملة الانتخابية الراحة ستعنى  
تفسيرها في أولويات المكسيك.. ستعزز  
المكسيك الآن على كيفية توزيع الثروة  
بطريقة أكثر تكافؤاً. وبعد أن ترك النظام  
السياسي طويلاً دون أن يس من أجل الحفاظ  
على الاستقرار في وجه تغيرات اقتصادية  
واسعة يستحصد الهل بطرق أكثر  
هجومية للقضاء الذي أصاب البلاد بطاعونه  
لعشرات السنين..

لو افترضنا أن انتفاضة ثوار المايا .. لن  
تحقق ذلك فأنها تكون قد أحرزت انتصاراً  
بالحرف.

يقول لويز كولونو مرسع «حزب  
المؤسسات القوي» الحاكم في المكسيك  
للصحافة الأمريكية «لقد أثبتت انتفاضة  
شباباس ضميرنا الاجتماعي اجتماعياً، الآن  
أكثر من أي وقت مضى من المهم أن نتعرض  
المكسيك لتغيير اجتماعي عميق.. أن علينا  
إن نتجه إلى المناطق الفقيرة وإلى البرامج  
الاجتماعية وإلى الديمقراطية»

عندما أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية  
تقريرها السنوي عن أوضاع حقوق الإنسان في  
العالم في أوائل شهر فبراير الماضي (وكان قد  
مضى على الانتفاضة المكسيكية شهر واحد)،  
جاء الفصل المخصص للمكسيك فيه مختصاً  
جزءاً عن السكان الأصليين - وخاصة في  
إقليم شهاباس وهو مالم تكن تقارير السنوات  
الماضية توضحته. وفيه تقول الخارجية  
الأمريكية أن هنود المكسيك يتمتعون بمعاملة  
في ظل القوانين المكسيكية - تتراوح بين حق  
امتلاك الأرض جماعياً وفق الترجمة لهم في  
الحاكم (إلى اللغة الإسبانية التي لا يتحدثون

بها) كما أنهم يفتقرون «عسا من البرامج  
الاجتماعية وبرامج المساعدة الاقتصادية. مع  
ذلك فإن سخطاً عميقاً بين الهنود ينبع - من  
جانب منه - عن عدم قابلية السلطات  
القانونية والرعاية الاجتماعية في.. تحقيق  
الأهداف التي يتوقعونها».

وكما هو واضح فإن هذا تناول باره ورؤية  
لا تتسم بالوضوح لأوضاع السكان الأصليين «  
كما تصورها وزارة الخارجية الأمريكية نفلاً  
عن تقارير سفارتها في المكسيك. لكن هناك  
على الأقل هذا الاعتراف بوجوده سخط  
عميق.

بل أن مفكراً أمريكياً، هو نعوم  
شومسكي، لم يتردد في وصف الانتفاضة  
بأنها انفجار الأول في سلسلة انفجارات قنابل  
زمنية من المؤكد أن تقع على التوالي نتيجة  
لاوضاع الاقتصاد العالمي الجديد.

وكتب ألم مفكر المكسيك وشاعرها  
العظيم أوكافافور بالي الحائز على جائزة نوبل  
للآداب، (١٩٩٠)، لقد فاجأنا الأحداث في  
شهاباس جميعاً - مكسيكيين ومراقبين أجانب  
على السواء - وبالتأكيد فإننا بصدد انذارات  
بصراعات اجتماعية خطيرة وصدامات متكررة  
بين القوى المختلفة في المنطقة.. لقد كنت  
أستحوذ على الثقافة التقليدية والمراتب  
القديمة ذات التشكيل الهرمي لفلسفة  
التفاوتات الاجتماعية والفقرية. أن السكان  
الفلاحين، الذين ينفذون أساساً من واحد  
لنتم أسجد الشرب السابقة على الفوز  
الاسباني، شعب المايا - قد أخضعوا للمعاملة  
والتمييز والإذلال لقرون طويلة. لم تسع  
صرخاتهم سنوت وراء سنوات من جانب طفقة  
الذين، وهم الأطراف المستولة مباشرة عن  
الدمار الزمن الذي لحق بالفلاحين من جانب  
الحكومة.. أن ما حدث هو انثار للمكسيك  
كلها بأن إصلاحات اجتماعية وسياسية  
اقتصادية وأخلاقية أصبحت ملحة..

حتى آخر يوم قبل الانتفاضة لم يكن أحد  
يتصور أن ترغب حكومة المكسيك وادها  
التأييد الأمريكي على التدخل في  
ومسارسات من أجل السلام مع على  
الانتفاضة التي قسام بها «فراغنة  
المكسيك، المايا، أحفاد هيد المجر  
ومورفوس وروثة ثورة زاباتا.. الذين  
يعرفون جيداً - كما أعلنوا في بياناتهم  
الأخيرة - «نحن نجا ٥٠٠ عام من الصراع»  
هل تقول أن «المايا» - هنود المكسيك -

دخلوا التاريخ من جديد؟  
الحقيقة أنهم لم يقدروا أبداً.

## ظاهرة العسكرية .. قراءة جديدة (٣)

# من الدولة "المعسكر" الى الدولة "النروية"

(نفسه) بما كانت ترفعه حركة الجيش في البداية من شعارات ديمقراطية . رأي الكسبرون الانقلاب العسكري وكأنه ثورة ، وإن كان أحمد حمروش أقل تطرفاً إذ اعتبر بان الحركة انقلاب عسكري تحول فيما بعد الى ثورة . وقد أبرز د لويس عوش طبيعة النظام العسكري في عهد ناصر ولفسفه . حيث نقل عن الرئيس ناصر قوله أنه وزع زملاء الضباط على الإدارات الحكومية وعلى المؤسسات والشركات العامة لتسييرها من ناحية ولرعاية أمن الدولة فيها من ناحية أخرى . «وهذا كانათهم على تضحياتهم وخدمت جيش مصر بتقنيته من الضباط المشغلين بالسياسة .. فأتانا لا الزمن بأن من حق الجيش الاشتغال بالسياسة» .

إن الدولة المعاصرة (راسالية او شيوعية) هي دولة ادارية بيسوقراطية تكنوقراطية عسكرية يقود الجهاز الاداري البوليسي فيها اقوى سلطات الدولة ، إذ تتجه الادارة الى التدرج والمركزية والسرية فانها تتصحر من الطابع الانساني وتلك ظاهرة عالمية مفروضة في كل النظم بغض النظر عن خلافاتها المذهبية المجرية : وقد كان من شأن التقدم التكنولوجي اشتداد قبضة السلطة على المحكومين باحدث الاساليب العلمية سواء في الصياغة الفكرية او اعادة البناء البيولوجي او القولية الكاملة للانسان الطبع الذي يصنع في معامل المختبرات . ومن شأن هذا التطور القهظير ان يعكس على وضع البوليس . فبمهما كان البوليس في الدولة الليبرالية تعميراً عن تنظيم الحوار بين الفرد والدولة ثم بقدا تجميعاً عن تنظيم الحوار او التناقص بين



واختصاصاتها الى الحد الذي دفع الرئيس ايترهاور الى التحذير من خطر هذا التحالف غير المقدس بين المعسكر وكارتيلات الصناعة العملاقة وتهديداتهم بالهافة للحريات والعملية الديمقراطية فضلاً عن سحق افاره الاقتصادية والسياسية بل والروحية .

اما نحن كدولة من دول العالم الثالث فقد دخلنا في زمرة الدول العسكرية منذ حركة يوليو ١٩٥٢ فإن الغالبية الساحقة لمفكرنا وسياسيينا لم تراثهم الضجاعة او الصرامة الديمقراطية ، وربما انخدع البعض (الرخدع

منذ اكبر من اربعين عاماً تنبأ عالم الاجتماع السياسي الاسيركي «هارولد لاسويل» بقدوم دولة الدكتة العسكرية منذراً بأن روح العصر لم تعد تتفق مع سيطرة رجل الاعمال ، ولكنها مع سيادة العسكرية . وإن ثمة مراحل مختلفة سابقة لهذا التطور فهناك دولة الديمقراطية الحزبية التي تكون فيها الريادة لرجل الدعاية والاعلام ، ودولة الحزب البهرقراطية التي يسيطر فيها ورجال التنظيم الحزبي ، كما وان هناك اشكالا مختلفة تشارك في السلطة قيادي الحزب وملوك الاقتصاد . وكان « كورنت وسميتس» بصفة خاصة قد اشار الى نموذج الدولة العسكرية ، الا ان مفكراً من مفكرى السياسة لم يد يد بغلده ان يشهد العالم موجه غالبية لنظم حكم عسكرية برأسها متخصصين في العنف .

وكان الاتجاه السائد في دول العالم الثالث (امريكا اللاتينية واسيا وافريقيا) أن يحكم العسكري شعبهم ، الا أن الفقه السياسي الغربي استبعد ان يصاب العالم الغربي والمتحضر (وخصوصاً ديمقراطياته التقليدية) بهذا الداء الوهب . مستصراً ان تقلد الديمقراطية تزود بمناعة ضد المرض . غير ان التطور التكنولوجي الرهيب في ادوات الحرب واسلحتها ، وقيام الامبراطوريات العاقدة الحديثة ، وحالة التوتر الدائم في العلاقات الدولية .. الخ ، كل هذه اسباب ضغظت بشدة على ما تبقى في العالم من نظم ديمقراطية ، وطرح فيها بعنف مشكلة الصلة الدستورية بين سلطة عسكرية معنافية وسلطة مدنية ترى كل يوم تقلصاً في اخطار حقيرتها

الجماعات والدولة، انتهى الآن كل حوار ولم يعد البرليس تنظيماً لأوجه نشاط خارجي للرد أو الجماعات وإنما صار الإنسان نفسه مادة للبرليس وغرضاً وقد صار نوعاً من قروح أو نشاط من أنشطة السلطة العسكرية القابضة والتي زودتها التكنولوجيا المتقدمة باختر القدرات على الرقابة والفر والتك.

وبكذلك لم يمتد الحكم العسكري لتقضا التكنولوجيا العسكرية تقضا للفلسفة الماركسية وحدها وإنما صار تقضا للفلسفة الديمقراطية كذلك بل وللأفكار السياسية والعقلية بوجه عام. فكل ما ابتدعه المبرية السياسية خلال قرون من قيود السلطة والنسورية وحقوق الإنسان مهدد بالزوال في ظل الدولة الادارية العسكرية التكنوقراطية، حيث تصل الى السلطة الشرائع الاجتماعية الجديدة غير المستقرة سياسياً رغم هيمنتها المطلقة.

وإذا كانت الدولة التطبيقية (أيما كان نوع الطبيعة الحاكمة أي المآل أم أرباب المآل) هي النموذج الذي الفعه البشرية عدة قرون في الدولة الادارية العسكرية بشرائحها الاجتماعية الحاكمة قد لا تقوم على اساس طبقي، غير ان قيام الشخصية العسكرية أو الشخصية التكنوقراطية الحاكمة في ظل دولة برلمانية قاهرة سوف يكون بدون شك نموذجاً غير مسبق، اما خصائص هذا النموذج وما تختلف فيه عن خصائص النموذج التقليدي للحكام فانها تفل عرصة تاريخية هامة ومحمية تقع فيها خصائص الهيروقرراطية بأعراض الحكم العسكري العنيف والتسلط التكنوقراطي المجرى من كل عاطفة انسانية أو حس آدمي. وإذا كانت هذه هي المشكلات الملحة التي يحساول الفكر الانساني إيجاد حلول لها في العالم المعاصر

فلن دول العالم الثالث لا تزال غارقة في مشكلات قرونين سابقين من التخلف الفكري والحضاري.

وقد زاد في تقاسم هذا التخلف حكم العسكرية في معظم دول العالم الثالث وطالما كان الانقلاب هو السبيل الوحيد للحكم فقد كان طبيعياً ان يكن الحكام العسكري حكاماً قاهرين لا يتروعن عن استخدام قطع اسلحة الارهاب، ومن لا يتهم منهم شعبة مادياً أو معنوياً فانه يذف ويغيب ويسلب فكره وأرواده.

#### الشرائح الاجتماعية الثلاثة وظاهرة الدولة الادارية

لا يكتفي لوصف طبيعة الدولة المعاصرة وما تجرزه من سلطة وما تضفيها عليها هذه السلطة المتميزة من خصائص ان يقال كما قال تشايفان ان الدولة البرلمانية اللامركزية، لأن هذا الوصف لما ينصرف الى اقوي جهاز في الدولة فحسب، وهو أكثر من ان يكون شبكة لاعصاب في الجسم السياسي . انه هذه الشبكية مضافا اليها العقل المفكر .. ورغم ان هذا الوصف وصف محصور من أخطر أجهز السلطة الحديثة ومجالات نشاطها ، الا انه مع ذلك يقصر عن وصف طبيعة الفري الحقيقية التي تتكون منها سلطة الدولة الحديثة .. وحسبنا ان نقول- وفي أجهز شديد - ان ثمة عوامل هامة هي التي اعطت الدولة الحديثة نوع السلطة التي تتسلع مع ظروف العصر وأحداثه . فكلد كان من شأن اتساع مهام الدولة الادارية ، وطفان الاعتبارات العسكرية ، والتقدم التكنوقراطي ان ادت هذه العوامل الثلاثة الى ظهور شرائع اجتماعية في المجتمع تتولى بالفعل مراكز القيادة فيه وهي:

- شريعة الهيروقراطيين (سوفسط)
- شريعة العسكرية
- شريعة التكنوقراطيين

(المكاتب)

وان كان هذا التمايز بين الشرائع لا ينفي انها كلها في نهاية الامر شرائع هيروقرراطية التفكير.

ومن الملت للنظر ان لكل شريعة من هذه الشرائع فلسفة أو مذهباً في الحكم له دعائه وصنعه . غير ان البداية كانت بالدولة الادارية .. وهي دولة تختلط فيها الادارة والسياسة اختلاطاً تاماً ، حتى صارت الادارة فيها واجهة الحكم ، وهذا التطور في شكل الدولة أو طبيعة السلطة فيها ) تما لتغيير وظائفها ومهامها ) يؤكد وجود ظاهرة ادارية مستقلة عن كل مذهبية سياسية أو ايديولوجية اجتماعية. وتتميز هذه الظاهرة الادارية (أيما كان النظام السياسي أو الاجتماعي) بان الجهاز الاداري يقدو اقوى سلطات الدولة وان الادارة (أي الجهازها) تقيز المراتب ، الصلج الرئاسي ، والمركزية، واليسرية) تتجر من الطابع الانساني.

ان ظاهرة تجرد الدولة أو السلطة بوجه عام من النزعة أو المشاعر أو للنسبة الانسانية حقيقة مؤكدة ، لم يتناولها علماء الاجتماع والسياسة فحسب ، وإنما عالجها وأبرز خطورتها علماء الادارة العامة ... وإذا كانت هذه الظاهرة تبلغ ذروة الخطر في البربرية كملد من مذاهب الحكم أو مصدر لتفريخ حكام المستقبل ، فإن الخطورة البربرية لهذه الظاهرة تتمثل في مسلك الدولة الادارية فيما أطلق عليه علماء الادارة الفرنسيون الظاهرة الادارية PHENOMENE

ADMINISTRATIF. فالمدارس الفكرية الفرنسية تشير الى ان معظم الجماعات المعاصرة قد اعتقلت من الطابع القديم الى الطابع المجرى وفقاً لمبادئ تدخل الدولة، سواء أكانت جماعية أو مجرد توجيهية أو تخطيطية. وأن هذا التطور يؤكد وجود ظاهرة ادارية غدت مستقلة عما كان التراكيب الاجتماعية أو بالأقل تصح الى ان تلند ذاتية متفاداة تأثير التراكيب الاجتماعية أو متضرة منها!

وأخطر خصائص هذه الظاهرة الادارية الحديثة (التي تقوم في الشرق والغرب على حد سواء) هو تجردها من الطابع الانساني ، كما وانها تنسى وظيفتها الاولى وهي انها مجموعة من المرافق في خدمة الشعب ، وذلك لمصلحة ما قاله ، «سان سيمون» من قبل عن ادارة الاشياء.

دلالة بروز الشرائع الاجتماعية الثلاث

غير ان ما هو أهم في مجال النظرية

## جهاز التمع والتفر .. هو الذي يميز بين أنظمة الحكم

### البيروقراطيون والعسكريون والتكنوقراط

#### القيادات الفعلية للمجتمع..

(٦٤) اليسار/العدد التاسع والأربعون/ مارس ١٩٩٤



السياسية والحريات ، هو تقلد الشرائع الفنية الفلانة (بيروقراطية، عسكرية، تكتوقراطية) للسلطة فعلا..

وقد كان من شأن تقلد هذه الشرائع للحكم ليزيق الاطوار التقليدي للدولة ، فالدمسحور الذي يلمس السلطات ، ويعزل الاختصاصات .. هذا الدمسحور غدا قصاصة ورق ذلك ان السلطات التي صارت تمارس في المجتمع لم تعد سلطات سياسية وانما غدت في الحقيقة سلطات فنية او مهنية ، وهي حتى اذا استمرت تأخذ الشكل او الطابع السياسي فانها لم تعد تلك السلطات السياسية المحددة قانونا بالوثيقة الدستورية ، وانما يوجد فوق الدمسحور الرسمى وضع فاعلى يدير التنظيم السياسي إن لم يصحبه او ينجبه كلية .. فعلى الرغم من قيام سلطات شعبية وسياسية للفروض ان تمارس حقوقها او اختصاصاتها الدستورية الا ان السلطات الحقيقية قد انتقلت الى الشرائع الاجتماعية الجديدة . ووجه الخطر في ذلك ، ان هذه الشرائع تمارس السلطة دون اية مسئولية دستورية حتى لقد طابعت البعض بالقيمة السياسية تحترف لهذه الشرائع بوضعها السياسي المصاح حتى لا تمارس السلطة دون مسئولية.

ولقد جربت البشرية - خلال تاريخها الطويل - حكم شريعتين من الشرائع الاجتماعية الثلاث، فجربت حكم البيروقراطية (في صورتها القديمة) كما جربت حكم العسكريين ولكنها لم تجرب بعد حكم التكتوقراطيين وهو هذا الحكم الذي يهش به دعاء التكتوقراطية القديمة والنظريات التقليدية وهو قد جعل لغة العلوم السياسية لغة غير مفهومة ... فتنقسم الحكومات على اساس حبيسة بين السلطات بين السلطتين التنفيذية والتشريعية لم يعد مجديا بعد ان صار مبدأ الفصل بين السلطات نفسه محلا للهجوم المرائيل ومهجورا تماما في التطبيق . فعلا عن ان غير العالم بالتكتوقراطية زاد من أهمية الجهاز القمعي للحكم بوصفه العامل الحاسم في تغير أنظمة الحكم بعضها - بعض .. فلقد عادت البشرية - بعودة التكتوقراطية - قريبا الى الوراء من حيث تعهد السند لشرعية السلطة . وقد كان في الماضي القوة المادية لصار اليوم قوة الردع أو جهاز الردع في الدولة . فصار صار يهيم دولة أو

نظام حكم عن دولة أو نظام حكم آخر هو جهاز القمع والقهر.. أليكن البروليس لم الجيش ام اساليب تكتوقراطية أو تكتولوجية يستعملها التكتوقراطيين .. وما هو أهم من ذلك حل لا تزال سلطة التمتع والقهر تحت إمرة السلطات التقليدية لم انها انتقلت الى شرائع اجتماعية لا تلتزم بأن تؤدى حسابا الى أحد! وأعود فأكرس ان الدولة الاداريا كانت التهديد المأساوى للقهر التكتوقراطى.

من الدولة المعسكر الى الدولة النووية

غير ان حكم المكاتب (أو البيروقراطية) ليس مجرد ظاهرة متمزلة تتمثل في الدولة الادارية، وبالتالي في تسلط هذه الشريعة الاجتماعية للتسيير . وانما يتجسد بهذه الشريعة - أو تتدرج في عرونها - شريعتان اخريان لا تقلان خطرا ولا أهمية مما شريعتنا المعسكر والبروليس ... وان كان لهما في المجتمع يتجسد اندراجهما في الوصف العام الهيروقراطي. فالمعسكراتيا حكم بيروقراطي وان كان عسكريا .. وكذلك الحكم البروليسى. اما الحكم العسكري فهو يعنى - دون مبالغة أو الدخول في تفاصيل - الأهمية القصوى التي يلقها العسكريون في العالم المعاصر في شؤون الحكم ، على الأقل في الدولتين العظيمتين والولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي ، وليس من شك في ان حالة التوتر الدولى والصراع الايديولوجى هما المستلان عن ذلك.

لقد خلقت حالة التوتر الدولى ظاهرة سياسية جديدة وصفها لاسويل Lasswell المعسكر Garrison State الدولة الفتنة ، وهي دولة تتحصر كافة نظمها على نحو ما يجعلها شبيهة بشبكة عسكرية . ولذلك لم يعد من شأن حالة التوتر اشاعة القلق في حبيسة



## التسلح النووى

يدمر

الحياة المدنية

والحكم المدني

الشعوب ، أو في معاني القيم التقليدية التي تؤمن بها فحسب ، بل ترتب عليه ان صارت حالة التعمية الكاملة أو شبه الكاملة أمرا يسره جميع الدول الديمقراطية وغير الديمقراطية.

وما لا تدمره التعمية تدمره نظم الطوارئ أو الحكم العرفى!

قلل ان نجد دولة من دول العالم اليوم لا تعيش في حالة حكم استثنائي جزئى ان لم تكن حالة حكم استثنائي كاملة يعترضه العشري الضال ، لأن المفروض انه حالة موقوتة ، فانها تعيش حالة حكم استثنائي مقنن ومنصوص ولكنه اشد خطورة من الحكم العرفى المقتل لانه قد يكون ضابطا على بعض الحريات الاساسية بصفة دائمة طبقا لجزء من التنظيم القانونى العالمى . وقد انتشرت في عالم البرد اذن حالات الطوارئ او الاحكام القردية المعلقة - سراة - ذلك ببطريقة كاملة وموقوتة او بطريقة جزئية ودائمة - ووجه الخطر في هذه الحالات هو انهيار الحكم المدني ، لانه بمجرد التسليم بقيام حالة من حالات الطوارئ ، يخسول التوازن في الخطر سريع للسلطة حيث تظهر القوة العسكرية سلطة للنشأة سراة في مجال الادارة أو مجال القضاء .

غير ان ما هو اخطر من «دولة المعسكر» التي تحدث عنها لاسويل ، هي الدولة النووية ، ذلك ان اخضع انقلاب في الاساليب العسكرية هو استخدام الطاقة النووية كسلاح حربي . ولا يقتصر اثر التسلح النووى على تدمير اصول الحياة المدنية والحكم المدني - في الدول المتحيزة للسلاح النووى - ولكنه يهدد كالمريض السرطاني ، الى كافة الدول التي تعلم ان الحرب النووية لا يمكن ان تكون محصورة وانما هي حرب شاملة ، واحتمال هذه الحرب أو حتى مجرة التخريف بهذا الاحتمال من شأنه ان يمسك اي صوت يرتفع مطالبا بصيرت لمواطنيها!

بل انه بعيدا عن الحديث حول حرب نووية فان مجرد دخول الدولة النادى النووى - ولو استخدمت الطاقة النووية لاغراض سلمية - سيؤدى حتما ان تكون الدولة النووية . وهو ما يوجب حتما تحقيق ضمانات عديدة لحماية عملية الانتاج النووى ، وهي احتياطات يراها الخبراء متعاضدة مع الديمقراطية وسوف تؤدى باخطر مكنتها وهي الحريات.

# العلم والتحديات الثقافية الذكاء .. ثورة ثالثة يشهدها العالم

ككل وعلى استمراره داخل المنظومة الشمالية، ومن ثم فعلها، الإثنيات يقومون بالدراسات اللازمة لسد تلك الفجرات.

نحن إذن في الشمال بصدد منظومة بحثية بالمعنى البحت للكلمة، يصب إنتاجها في تكنولوجيا متقدمة، ومن ثم في الاقتصاد القومي لتلك الدول. وأيضا بصدد منظومة بحثية في الإنسانيات يصب عائداتها في تقدم وتطور الإنسان ذاته: الإنسان كمنشئ في المنظومة القومية والإنسان كقادرة إبداعية.

فماذا عن الجنوب؟

إن الجنوب في حالة تلمذة مستمرة، أي الاكتفاء (بالكاد) بهضم أو معرفة ما أنتج في الدول المتقدمة مع عدم وجود منظومة بحثية قومية معترف بها لها العلم، تقف على قدم المساواة مع الشمال، أي مع منظومات قومية أثبتت نفسها بالمجازاتها وإسهاماتها في التطور العلمي ومن ثم انتجت إلى ما يمكن تسميته بالمنظومة العلمية العالمية.

ففي العلوم البحتة نجد أفرادا يشابه عناصر متخارجة لا تربطهم بعضا ببعض خفة قومية تكفل لهم المكتبة والمعمل والهدف الجماعي الذي يجعل أبحاثهم تتكامل في اتجاه تراكم المعرفة وتراكم الإنجاز على المستوى القومي.

ولأنهم أفراد ولأن بعضهم ينتج فإن هذا الإنجاز الفردي يصب في استراتيجية الغير. فتجد هذه الصفوة تذهب إلى بلاد الشمال لإنجاز مهمة بحثية أو تنشر أبحاثها في إحدى دوريات الشمال. وغالبا ما تكون تلك الدوريات غير متاحة محليا فلا يستفيد من

## لعل الشريفي

برامج وحاسوب (الكسبيوتر) وخدمات حاسوبية وعلى العديد من المجالات كالطب والتعليم واللغويات (مثلا) فقد أثر أيضا على الإنسان ذاته في المجتمعات التي ولدت وطورت هذا المنتج الذهني.

وبعد... إن نوعية العلوم التي تميز هذا العصر هي التي تجعله يختلف عن العصور التي سبقتة، فبرغم أنه تطور منطقي لما سبقه، ورغم أنه يأخذ جنيوه منه إلا أنه يعد ثورة عليه.

ففي عصر الطاقة درست هذه - درسها الإنسان بذكائه - أما في عصرنا هذا فيدرس الذكاء ذاته. لذا تنصب الدراسة على أهم خصوصية للإنسان. أي أن المادة المدروسة تتخلق إختلافا جوهريا عنها في عصر الطاقة

لانفالي إذن إذا قلنا أن الذي يحدث في تلك المجتمعات هو نوع من الطفرة (التفلة) الحضارية التي تؤدي إلى الانتقال من عصر الطاقة إلى عصر الذكاء، وهي نقلة ليست فقط في المنتج لكنهما - وهذا هو الأهم - في المنتج أيضا. وتكون تلك الطفرة في الجوهر أي في مستوى التفكير فالقرد المتعلم أصبح يعي الزمن. والمجتمعات المتقدمة تقيس هذا الزمن ليس فقط بما يحوزه من تقدم حضاري. لذا نجد أنه رغم وجود الرأسمالية والاحتكار ورغم انقسام المجتمع إلى أكثر من فئة في هذه البلاد فالانتاجية تقي أن وجود طبقة دونية خارج العصر بشكل عيبا على تقدم المجتمع

يلعب العلم والتكنولوجيا دورا أساسيا في تقسيم العالم إلى شمال وجنوب. وقد أخذ الاستعمار شكلا جديداً بمقتضى التطور العلمي والتكنولوجي، فلم يعد مجرد احتلال للأرض أو احتكار لرأس المال (نقسط) بل أصبح أيضا احتكاراً للعمل والتكنولوجيا، والمضى قدماً في ابتكار الجديد واكتشاف الحديث منها مع حجب هذا التطور عن دول الجنوب وعدم تقيتها من الإسهام فيه. هذا ما يجعل دول الجنوب في حالة تلمذة مستمرة واعتماد دائم على دول الشمال.

من ناحية أخرى يحاصر الإنسان في نهاية هذا القرن ثورة علمية تسمى أحيانا بالثورة الثالثة، فالأولى كانت الزراعة والثانية الطاقة وقد ارتكزت عليها الصناعات المختلفة، أما

## الثورة الثالثة فهي الذكاء.

في إطارها درس الذهن البشري، وتطور الحاسوب، وتولدت نظرية المعلومات وماتيجها من تطبيقات في أفرع مختلفة: علم الوراثة، علم النفس، علم الاجتماع، اللغويات وأساساً الاتصالات. وقد طورت نظرية المعلومات هذه الأفرع. ثم جاءت الهندسة الوراثية وأصبحت هناك صناعات عدة تعتبر إنتاجاً ذهبياً.

وإذا كانت الزراعة قد ولدت الانقطاع والصناعة الرأسمالية، فالثورة الثالثة كانت أشمل في تقسيمها للبشر. أدت إلى وجود شمال يحكم الإنتاج العلمي والتكنولوجي، وجنوب يجرّد تدريجاً من إمكاناته وقدراته على المشاركة في هذا الإنتاج الذهني.

فبعد الخمسينيات، بعد هتير وهائون، كان المحور الأساسي للدراسات هو الذكاء. وذلك إن كان قد أثر في نوعية الإنتاج من

هذه الأبحاث إلا في الشمال.

أما في العلوم الاجتماعية فالمسألة أخطر. فالباحث الذي يصف في استراتيجيته الغير ليس مجرد بحث علمي نظري ليس من المصيب الإسهام به في تطوير العلم حتى وإن لم يكن هذا التطوير لصالح المنظومة البحثية القومية .. إنما هو بحث تطبيقي يتضمن المعلومات والبيانات غير النافعة لأي باحث بشائي.

ولأن الباحث لا يعملون في إطار منظومة قومية لها استراتيجية واضحة من النهوض بالمجتمع وبالقدر. فغالباً ماتصعب تلك الدراسات أو هذه الأبحاث المتجاوزة في استراتيجية من كلفوا الباحثين المحليين بالدراسات والأبحاث.

هؤلاء الغير تتجمع لديهم المعلومات والبيانات التي تنتج لهم الاستنتاج بعد دراسات في مستحضرات أعلى، ولأن هذه العلوم - علم الإنسان - تطورت تطوراً خطيراً في نهاية هذا القرن، ولأنها أصبحت أداة قهر علمية فهي إحدى الركائز التي ترتكز عليها استراتيجية الشمال في تفخيت المجتمع الجنوبي ونزير الفردية.

وختماً ... في الوقت الذي نجد فيه علماً ذاتي التخصصات العلمية البحتة محرومين من عمل أبحاث تطبيقية حديثة تجعل علمهم أداة من أدوات تطوير الصناعة. نجد الإنتاج الذي وصله من تطبيقات تجعل دخول المجتمع في العصر أمراً شبيه معدود. فالتدني حدث في مجال المنتج الذي هو نوع من الطلاء الخارجي MAKE UP وليس دخوله فعلياً في حياة الانتاج. تماماً مثل سيدة ذهبت إلى باريس تشتت شمورها على أحدث الموضة واتخذت أحدث الثياب لكنها لم تذهب إلى المتحف ولا إلى المسرح ولا إلى ندوة، فهي إذن لم تتلصص بالإبحار الحضاري واكتفت بالشكل

وفي ذات الوقت نجد علماً إنسانيات محرومين من الأداة النظرية الحديثة ذات المستوى الرفيع، التي تجعل من دراساتهم المختلفة مادة لمضى تحرر النهوض بالقدرة والإزدهار به، وتشبيث الروابط الاجتماعية والصعود إلى المستوى الحضاري الذي يتطلبه القرن الحادي والعشرون.

إننا إذن في عصر الذكاء لم ندخل المباراة. إن أحد الأسباب وليس كلها هو عدم وجود منظومة بحثية لها استراتيجية واضحة النهوض بالإنتاج الإزدهار بالقدرة.

فما هو الارتقاء بالقدرة على مشارف القرن الحادي والعشرين: يظن البعض أنه الاقتصاد. لكن الاقتصاد

لا يأتي من فراغ - إن الإنسان بدخله معركة العصر وإنتاج العصر يصنع الاقتصاد فكيف يدخل تلك المباراة؟

إن الانتاج الذهني يحتاج إلى مهارة إبداعية فكل يفرسها التعليم في مواطن المستقبل؟

وما هو التعليم؟ بقدر صالم الذكاء الصناعي لهونارة أوفر إنه القدرة على إعادة تنظيم المعلومات في الذاكرة Restructuration، فالإبداع لا يأتي من فراغ فهو يعتمد على المخزون بالذاكرة، ويأتي منه بالجديد بعد إعادة تنظيمه، إذن العملية التربوية يجب أن تعلم تصنيف المعلومات وتنسى أسلوب التعامل معها.

وقد لا تضيق شيئاً إذا قلنا: إنه نظراً لكثرة المعلومات وتلاحقها فإن التعامل معها أصبح سمة العصر: تحليلها فجمعها نقداً، يعني إنه ليس المهم قراءة كتاب ما، أو مقال ما، إنما المهم هو الخرج منه، ليس فقط بالمادة المتضمنة، إنما الرعي بهذه المادة وعيا واكمه تحليل روحاً نقد. ففي غالبية الأحيان سويجد كتاب آخر يقول معلومات أخرى في نفس المضمون، وميزة البحث ليس فقط في السببية لكن أيضاً في أفرع عدة مثل النقد الأدبي والاقتصاد أو علم النفس أو علم الاجتماع. أو في عوالم الصحف.

إن العصر الحديث قد علمنا أن المعلومة ليست مطلقة. وهذا لا يرجع فقط لتعدد المتابع إنما يرجع أيضاً لتلاحق المعلومات وتغيرها بمتقاض التطور السريع التي جاءت به بسهولة الاتصالات ووجود شبكات المعلومات.

إذن التعليم يجب أن يعتمد على التعامل مع المعلومات تعاملاً ذكياً تحليلياً أو نقدياً.

مطلبا  
إن دور درس الكيمياء أو درس الفيزياء ليس فقط في استحباب المادة من حيث هي علم يشمل معلومات عن الظاهرة الطبيعية، إنما أيضاً، وهذا هو الأهم، هو مادة للتدريب على التعامل مع المعلومات تعاملاً يأتي بترجمة الظاهرة، إلى معادلات تعبر عنها تعبيراً منطقياً يعود على الدارس بربوة لتلك الظاهرة. وفي ذات الوقت يكتسب خبرة الدارس مهارة مهم دراسة طواهر أخرى والتعامل معها عبر المعادلات، على سبيل المثال الاقتصاد أو اللغة. إن دراسة الرياضيات لا تكمن فقط في حل المعادلات أو مسائل الهندسة إنما تكمن أيضاً في التدريب على

التجريد وعلى المنطق مما يجعل الدارس مؤهلاً قسماً بعد لعدم تقبل معلومة لمجرد إنها وردت في كتاب أو في مقال ما لم تدعها حجة منطقية.

هذا يعني أن درس الرياضيات أو الفيزياء كما يعطى الآن بعيداً عن تحقيق هدفه التربوي، إذ أنه يعطى نماذج لمسائل تغطي المنهج فيحترف التلميذ على النموذج يرم الاستحسان ويأتي بالحل الجاهز في ذهنه بطريقة شبه آلية. ومن ثم فالمجهود المبذول في هذا التلميز هو التصرف على نوع السؤال ana- global perception وليس تحليله lytic perception والتبحر على حل منطقي له مستخدم فيه قدراته الإبداعية.

أما الكمبيوتر فقد دخل هو الآخر ضمن العملية التعليمية فبدلاً من تعليم الطالب التصريح والتحليل عبر درس الحاسوب، تعطى له برامج جاهزة ليستعملها.

إن التلميذ يفتقد متطلبات العصر بعد ليسبق أستاذه ويجب أن يعد لهذا التجاوز، فالمعلومة ليست مطلقة والأستاذ ليس سلطة لذا يجب تدريب التلميذ منذ البداية على المشاركة في الدرس ما يحرم إعادة النظر في العملية التربوية بشكها لأن وفي المدارس، يعني أن التعليم كما هو الآن يعد للتلميذ المستمرة وليس لتعلم المسؤولية علمية كانت أو اجتماعية، فهو يحرم طالب العلم من تنمية قدراته ومكانته ثم إن الإبداع والإسهام في صنع العصر مما يفرض عليه التبعة والبقاء في وضع المساعد على أحسن الفروض. كيف لنا إذن في الماصرة العلمية والحضارية والانتها. لتلك الطفرة التي جاء بها القرن العشرين في نهايته والتي ترسم مصير البشرية.

إننا نحتاج إلى ثورة، والثورة هنا ليس المقصود بها الكفاح المسلح لطيفة ضد طبقة أو جنوبي ضد شمال، فالاستعمار أخذ شكلاً جديداً، وقاهر اليوم غير قاهر الأمس. وسلاح اليوم غير سلاح الأمس.

إن التصديق المسببة لم يعد لها مبرر فالغزو أصبح غزواً ذهنياً والقهر أصبح قهراً ذهنياً أيضاً بهدف إلى تجريد الفرد من قدراته ومكانته التي تجعله بمناصر التقدم.

ورشع القهر الذهني هذا الطبقات الحاكمة في الجنوب سواء في الدول الفيسقية أو في الدول الفنية، فكلاهما يقر تبعية علمية وتكنولوجية وتخلط حضاري يجعل هذا وذاك لا ينشئ إلى عجلة التقدم ويقت منها مرفق المتفرد.

# ارتقيف اليسار

## عبد هـ دهب حسين

### مصر - السودان

### الكفاح المشترك

الاسم: عبده دهب حسين  
تاريخ الميلاد: ١٩١٧  
اللقب: حامل في حمام سباحة-  
محترف ثوري- تاجر

كان حزب مصر الفتاة يحاول في الثلاثينات أن يؤكد وحدة وادي النيل بكل السبل، ومن بينها محاولة إقامة فروع له في السودان، لكن السودان لم يكن حينها حسب بل كان أيضا تحت وطأة الحكم الإنجليزي المباشر الذي كان يشطب بحالة من العداء الصراخ، ليس فقط بسبب حماسها ضد الاستعمار الإنجليزي لمصر والسودان، وإنما بسبب توجهاتها المتسمة بالاشتراكية في الفاشية.

وبقدر ما حاولت يد مصر الفتاة أن تمتد، فقد وصلت فقط إلى وادي حلفا.. وهناك وصلت فقط إلى شاب فقير ككل الناس هناك لكنه تميز عن الجميع بحالة من العداء المتفجر ضد الإنجليز.

وارتددي «هدهد» القسيس الأخطر الذي انحاض بالنظام شبه العسكري انحاض مصر الفتاة، وراح يزوره في حواري وادي حلفا محرضا الجميع ضد الإنجليز، ومن أجل وحدة وادي النيل، سرورا أيضا ببعض المقولات شبه الفاشية.

واستدعاء حاكم البلاد الإنجليزي وأمره بأن يخلع القسيس الأخطر فرفض، فبدأ باضطهاده اضطهادا أجبره أن يهاجر شمالا إلى القاهرة.

نحن الآن في عام ١٩٣٥، والثقتي الأسمر النحيل كحيات الضمير التي اعتيد لم يزل في الثمان عشرة من عمره.. يأتي إلى القاهرة

دهب في حواري معه (ناقشته في منزله بالخرطوم في ١٨-١٩٩٩) و سألني ماريو لماذا أنت متحمس ضد الإنجليز؟ فقلت لأنهم يستعصرون بلادنا. فقال: ولماذا تحب إيطاليا؟ فقلت لكي تخلصنا من الإنجليز. وضحك ماريو وبدأ يحدثني طويلا عن فكرة الاستعمار، وكيف أن الإيطاليين يحاولون طرد الإنجليز من مصر ليحلوا محلهم، ويواصلوا استعمارها.. وبالتدريج بدأ ماريو يدرس لي الماركسية.. وبدأت ألقى جديدة وغريبة تتفتح أمامي، وكان يحدثني عن الاتحاد السوفيتي بانهيار، وبدأت أشاركه انبهاره.

وفي سنة ١٩٣٩ بدأت حملة اعتقالات واسعة طالت الغالبية الساحقة من الإيطاليين، وعندما جاء البوليس ليقبض على ماريو ونيسما بدعني قال هامسا: اتصل بهنري كوريل أو ماريو سول اسواليل. ولم يعطني رجال البوليس فرصة سؤاله عن كيفية الاتصال بهم، ولأنهم «م».

أخذوا «ماريو» وتركوا عبده دهب وقد عصفت به فكرة جديدة متألقة تزوره وتوقد بداخله نارا مشتعلة دوما وتقر بهنري «مصر الفتاة» خلافا لانتهمي.

#### \* كتلة الشباب المصري

أصبح ضد «مصر الفتاة» ولم يجد سهيلا للوصول إلى هذه الأسماء الغريبة التي همس بها «ماريو» في أذنه، وتساعد صراعه.. وانتقم من مصر الفتاة هو وعصام عبد المعطي وهنري عقل وحسن كمال وآخرين من الكوادر الأساسية للحزب وكويزا تنظيميا أسماء «كتلة الشباب المصري» وأصدروا مجلة اسمها «الجلاد».

الثقتي الذي أصبح رئيسا لكتلة، وهو بحاجة لأن يثقف نفسه، وبدأ يتابع الثورات والمناظرات التي كانت متعاقبة في هذه الأيام وفي يوم من أيام ١٩٣٩ سالتني قديما ليستمع إلى مناظرة بين سلامة موسى وزكي مبارك حرك والمرأة المصرية والمرأة الأفريقية، في النادي الديمقراطي، والثقتي المتفجر دوما، يتفجر بحكم العادة في نقاش حاد مع زكي مبارك. وبعد المناظرة جمع أطراف جلبيته الأبيض، وعدل عصامته السودانية الطراز، ولما بهم بالخروج تصدى له خواجه ليسانة، «أنت عبده دهب» فأجابهم بـ «كانت الرد «إحنا بنفوق هليك من زمان».

#### د رقت السعد

ولاحظ فيها سري حزب مصر الفتاة فاتصل بهم.

ونستمع إليه يحكي لنا أيامه الأولى في القاهرة وبعد أن غادرت وادي حلفا اتصلت في القاهرة ببعض قادة مصر الفتاة، وسبب حماسي الشديد حاولوا الاستفادة مني في خلق جسر مع الفاشية الإيطالية، وظلوا مني أن أبحث عن صل عند الإيطاليين.

وفي القاهرة الصاخبة تحول الثقتي الذي إلى شعلة نشاط، وهو يمتلك حيوية فطرية، وبساطة جذابة، وحمية ثورية وقدرة فائقة على اكتساب الصداقات، وعلى حل أية مشكلة تعترض.. بهجارة وانطلاق وباتسامة مرحة. وفورا وجد عملا في حمام سباحة مملوك لأحد الإيطاليين.

ينظف الخسماش وشرف على ملته وتفرغ.. وشتم الإنجليز بتناسية وبلا مناسبة. ويظهر في ذات الوقت تماطيا مع إيطاليا.. كان وفق تعليقات «مصر الفتاة» يلتقي بشهاكه بحثا عن فاشستي إيطالي يتقمم معه علاقة سياسية. لكن الشياك -ويا للدهشة- لم تصطد فاشيا بل شورعيا.

واصطفا عبده دهب عكس المطلوب. «ماريو» سرورف إيطالي في ذات الحما، أعجب بحوية الثقتي النشط، الجذاب، المتفجر حماسا ضد الإنجليز، وبقول عبده



### \* الفن الشعبي

ولكنني اعجز أني أصبحت شعوبيا، عندما فهمت الماركسية، ولعل هذا الفهم قد ترسخ عندهما حضرة أول مدرسة كادر جلي مع الكرادير المصرية الشابة. هروا براهيم العطار (طيار)، سيد حافظ وسيد سليمان وفاهي (ميكانيكى طيران) مختار العطار وكمال شعبان (طالبان) بكيلة اللثون (المجيلة) عيد الرحمن العلقى (طالب بالأزهر)، أما المدرسين

القاضى.. وآخرين، وجرى حوار غريب حول أهمية إقامة تنظيم ماركسى، ويرغم إنفاق الجميع على ضرورة ذلك إلا أنهم اختلفوا اختلافا شديدا حول أشياء محددة مثل دور الأجنبي في القيادة، وتوجهات التنظيم. ويقولون لم أفهم شيئا، فقط فهمت أنهم مختلفون، لكنه بالسليقة اتجه مع كوربيل، وبدأ يشاركه في تأسيس تنظيم «الحركة المصرية للتحصيل الروطنى» (ح.م).

إنه هليل شوارتز أحد مؤسسى النادى الديمقراطى. وفي غرفة خاصة بإدارة النادى الخف حسوله عسدد من قصادته وهنرى كوربيل، يولا الصلايلى ماروسيل اسرائيل، وجرى نقاش طويل حول الأوضاع فى السودان.

وفي نهاية المناقشة أعطاه كوربيل موعدا. كان كوربيل قد قاس بمهارة قدرات الرجل وعرف أنه «رجل المهام الصعبة»، وفي المقابلة قال له أنه يريد أن يصدر مجلة لتشر الوعي بين المصريين، لكن البوليس يرفض أن يعطى أمثاله ترخيصا، كما أنه يعرقل إمكانية استجراهم لترخيص إحدى المجلات، ولأن عبده ذهب لم يحضر بعد فإنه يمكنه أن يفصل ذلك. وفي أيام حلق عبده ذهب المطول عسر على شخص اسمه «رهبى أحمد» يتكلم ترخيصا لمجلة ذات اسم ملام جدا هو «حرية الشعب» والإيجار جنيه ونصف شهريا، زادت جنيهها بعد أن بدأ البوليس مضايقاته.

والأجانب والمستفسون أبناء الثورات المرتبكون دوما فى الممارسات السليبية، المهاذنون قاصا فى مجال الفكر وجدوا فى عبده ذهب فوجعا فريدا قادرا على حل أية مشكلة عملية. وسرعان جدا كانت «حرية الشعب» تمارد صدورهم فقط أضالفت إلى الاسم عبارة عامة المضمون.

ومجلة مصرية سودانية عالية ثقافية. وجمع له كوربيل عددا من العمال الذين كان يقدم علاقات معهم مثل: «سيد قنديل ووكى أبو الخير» وهما من أهم الكرادير النقاية بما يرمى أن كوربيل كان يعرف أين يضع يده، واستطاع هو أن يضم إليه طالبا سودانيا اسمه «محوى الدين صابر» (ذاته د. محوى الدين صابر المعروف لنا جميعا) وأنضم إليهم عدد من أعضاء النادى القلاسى الذين يجيدون العربية.

ونسمع إليه وكان كوربيل يلتقى به على انفراد ليدرس فى الماركسية ويستعنتي دوما على كسب عناصر جديدة، وأذا لا أبدأ وكنت أكسب كل يوم شخصا أو أشخاصا جدا.

ثم تفرقت السبل فى «النادى الديمقراطى» لتلقى دعوة إلى اجتماع فى منزل «جوعا لثون» وحضر عدد من الأشخاص الذين رأهم فى النادى الديمقراطى. جريج حثون- هليل شوارتز- ماروسيل اسرائيل- يولا الصلايلى- عصام الدين حلقى ناصف- د. عبده القناع

فهم كورييل، زكي هاشم (وكان وكيلًا بالنسبة) وأحمد وسوداش توني) الشخصية الأولمبية الشهيرة فيما بعد)، تحسين المصري (مهندس)، ومن المدرسين والطلاب تشكلت أول لجنة مركزية وكان لها طما عهده. وهب. وبمساعدة الدافع اندفع في تجديد عديد من التربين والسودانيين وبسرعة استطاعت ح.م. قسما واسعا للتربين وآخر للسودانيين. القسم الثرى ضم الكشرين منهم «زكي مراد، محمد خليل قاسم، ميالك عهده فضل»، والقسم السوداني ضم أيضا الكشرين ومنهم «عبد الرهايم زين العابدين- محمد أمين حسنين- عهده الزعيم قوده- عز الدين على عامر- عهده الماجد أبو حمير- وكان الاسم الحركي لهذا القسم «شركة الملح والصودا».

وفي عام ١٩٤٣ كلفه التنظيم بالسفر إلى السودان لتجديد رفاق هناك. وهناك تعرف على طباط الخليلين اسمه (استورى) وكان شوبيا، واشتكى له من صعوبة العمل وسط السودانين، خاصة وأنه من قوات الاحتلال، وقال أنه لن ينجح إلا في تجديد شخصين ما أحد هذين العالين (طالب). أصبح وزيرا بعد الاستقلال (وصين الطاهر زروق (مدرس) وكان «استورى» يلح على أن أقوم علاقات بينه وبين مزيد من السودانيين بهدف تكوين تنظيم سوداني تحت إشراف الحزب الشيوعي الإنجليزي.

وأقام عهده هب شهرين في الخرطوم ولحق في أن يجتهد المهندس حسن أبو جيل وضه على الاثنين زين العابدين زروق فأصبحا ثلاثة وعاد إلى القاهرة متحمسا لتصعيد النشاط وسط السودانين وبالفعل أولت القيادة اهتماما خاصا بقسم «شركة الملح والصودا» واتسع اتساعا كبيرا، وقد كلف ح.م. بشدة أن يفتح التنظيم السوداني الحزب الإنجليزي، وصمت على استقلاله تماما.

ومن كسوداد هذا التنظيم تأسست «الحركة السودانية للتحريض الوطني» (حستر) التي أصبحت فيما بعد «الحزب الشيوعي السوداني».

..والتي انتخب لها سبعة أعضاء.

فصير علاقاته بالطلاب السودانيين المتحرزين في مدرسة حلوان الثانوية (حيث تجمع أغلب الطلبة الرافدين) تصرف على طالب أثيري اسمه «علاء يوجوي» وأصبح «ملاي» شوبيا، وتسلم كورييل

شخصيا ليدرس له كورسات مكثفة عن الماركسية وأسلوب التنظيم السري، وسافر «يوجوي» ليسهم في تأسيس تنظيم شيوعي في أثيريا وليصبح واحدا من قادته.

وقبول عهده هب وغسل ملاي يوجوي براسي لفترة طويلة، وظلنا نرسل له كتبنا بالإنجليزية ومساعدات مالية وتوجيهات تنظيمية. ومن مدرسة حلوان التقط أيضا بعض الطلبة السنيين وعن طريقهم تصرف بمجموعة من السنيين أتوا للتدريب على أعمال البريد وجتد عديدا منهم وسافروا أيضا محملين بمسوعات من الكتب الخضر... وتوجيهات لتأسيس تنظيم شيوعي هناك.

وفي ذلك الحين كان هناك في القاهرة شاب تونسي محسن لفضية وطنه هو «الحبيب بورلييه» واتصل به عهده هب وأقام علاقة معه، ولقدت له ح.م. مساعدات كثيرة. وبالإضافة إلى ذلك أصدر عهده هب «مجلة أم درمان» ولتسعى منه إلى تعنتها: وكان هناك صراع دائم في ذلك الحين بين شعار رفعة كل الأحزاب البرجوازية، هو «وحدة وادي النيل تحت النضال المصري» وشعار برهمة الشيوعيين هو: «الكفاح المشترك بين الشعبين- مع حق تقرير المصير للشعب السوداني» وكان شعارنا يفضى البرجوازية ويغضب السراي.

وعلمنا أن القصر الملكي سيصدر مجلة اسمها «السودان» وسيرأس تحريرها «علي البرير». وقررنا إصدار مجلة لنا. وتقدمنا بطلب ترخيص باسم «الكفاح المشترك» ورفضت وزارة الداخلية، فطلبنا ترخيصا باسم «أم درمان» ورفضت أيضا. لكن أحد «مدراس توني استطاع أن يفتح صهرا محمدا محمدا جلال بك وكان عضوا مجلس النواب. بأن هذه المجلة ستحمل لواء الدعوة لهادي- الحزب الوطني، وقدم جلال ضمانته للمجلة أمام السلطات. وبنا على توصية من قايبت رئيس الوزراء، وبنا على صوري في كروب محمد علي والبلنسي مرافقته على الترخيص وقال ضاحكا: «وان كنت متأكد أن اسمها الحقيقي سيكون «مركو» وليس «أم درمان».

ولعبت «أم درمان» دورا هاما ليس في مصر وإنما في السودان أيضا. وأقلت السراي بصراعها المرير مؤكدة شعار الكفاح المشترك. وذات يوم فرسي- عهده هب

«محمد حسن» وهو ثرى كان شماسرجيا عند الملك فاروق وكان يلعب دورا هاما في السياسة الفرجي، به وهو يمرض عليه أن جبهده ثرى بعمير هذا الزمان) مقابل أن يلقى «أم درمان» ويترك مصر إلى السودان. وإلا فإن مزلانا سيأمر باعتقاله.

ونأشئت: بماذا أجبت؟ ضحك وقال: وشعته وجريت وراءه لأهيه. ودعش أناس في القاهرة عندما رأوني وأنا أجرى وراء ألى شخصية نربية وشخص قريب جدا من الملك محاولا أن أضربه بالشلوث. «.

أما حكومة السودان (الإنجليزية) فقد أصدرت قرارا بمنع «دخول» «أم درمان» إلى السودان لكنها كانت تهرب إلى هناك لتعاج بأكثر من عشرة أعضاء منها.

## « السجن ثم الإبعاد

وفي صام ١٩٤٦ برهه اسماعيل صدقي ضربه البوليسية ضد كل الثرى التقدمية. ويقلل كل المناهة التقدمية أيضا ومنها «أم درمان» ويقتض على عهده هب، وبعد أن يخرج يلقى دورا هاما في مراملة إصدار «الجمهورية» بعد وحدة ح.م. مع اميركا.

وفي عام ١٩٤٨ يصدر «سرة أخرى- أمرا باعتقاله، ويخرج عام ١٩٥٠ ليرسل إلى السودان.

وعندما أصدرت الطبعة الأولى من كتابي «اليسار المصري ١٩٧٥-١٩٤٠» في عام ١٩٧٢ نشرت فيه محضر النقاش الذي أجريته مع عهده هب كاملا. ولقيما أراجع بروفات الكتاب أدهشني هذه الحركة الدائبة والتحركات المتشعبة، والانطلاق، ووجدتني مدفوعا بحس الخورخ الأكاديمي أسك بالقلم لأخر القاري...

وكشيت في الهامش: «من الواضح أن عهده هب يبالغ كثيرا في دوره الشخصي».

وبعدما سافرت إلى باريس لأقابل شادها على نضال عهده هب، هو هتري كورييل الذي كان لثرا على غير عادته، معاتبها بقسوة، مؤكدا أن ما نسيه عهده هب إلى نفسه من نشاط هو أقل بكثير مما فعل فعلا، وأنه إما يسبب التضاض، أو يسبب التسيان قد أسقط عشرات من الأنشطة والأعمال الكثيرة الأهمية والتي فعلها هو شخصيا..

فألى العزيز عهده هب أقدم اعتذارى.



## صندوق النقد وبِلْدَانِ الْجَنُوبِ

كتاب يرد على "الوصفة السحرية" للصندوق

لويس جرجس

التفسيرية الصحيحة على فهم وتشخيص مشكلات هذه الدول واقتراحها أيضا إلى الكفاءة التطبيقية للخروج بها من أزمتها. ميزة أخرى للكتاب وهي مناقشة قضايا الجنوب على أرضية فكرية تختلف عن أرضية السلفية الاقتصادية (المدرسة النيوكلاسيكية) التي تستند عليها رؤى الصندوق والتي تؤمن أيمانا أعمى بليبرالية السوق، وتطمس الفروق بين الاقتصادية المتقدمة والمتخلفة، وتعادي كل أنواع التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي، وتعت أي نوع من التحميل الاجتماعي والسياسي الذي يربط بين المخبرات الاقتصادية والقرى الاجتماعية التي تتأثر وتؤثر في هذه المخبرات. يأتي هذا الكتاب إذن ليرد على الخطاب الاعلامي الايديولوجي الزاعق الذي يصور «وصفات» الصندوق كما لو كانت تعويذة سحرية لا يبدل عنها لعلاج الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية في دول الجنوب.

وإذا جاز لنا أن نقفز من المقدمة إلى النتائج التي يضعها أمامنا الكتاب قاتنا نجد الحصاد الذي ألهم تجنيده دول الجنوب على اختلاف مواقعها ومسمياتها - من اتباع

تبعش بلدان الجنوب الفقيرة - ومن بينها مصر - وضعا أساسيا ناهجا عن أزمة اقتصادية حادة تسبب بخفاها منذ السبعينيات، وتأتي «وصفات» صندوق النقد الدولي - الذي تقع معظم دول الجنوب تحت وطأته - لتزيد من جرعة إفقار الطبقات الشعبية داخل هذه الدول، وعن حدة الفجوة الطبقة وانعدام العدالة الاجتماعية بها. من هذه المعادلة الثنائية - الجنوب والصندوق - تأتي أهمية كتاب (صندوق النقد الدولي وبلدان الجنوب) الذي صدر مؤخرا عن مركز البحوث العربية واتحاد المحامين العرب... وإذا كان موضوع صندوق النقد قد عاجلته أبحاث وكتب كثيرة، فإن ميزة الكتاب الذي بين أيدينا تكمن في كونه تابعا من داخل مجتمعات الجنوب نفسها، وأقلام نخبة متخصصة من أبنائه ممن لهم وزنها في المحافل الدولية.

يقول د. رمزي زكي في مقدمة الطبعة العربية ولم يقتصر المساهمون في تحليلهم للتبعية على العوامل الخارجية فقط وإنما حللوا أيضا العوامل الداخلية مثل المصالح الطبقية وعلاقات القوى بين الشرائح الاجتماعية، والتقاليد الموروثة من الفترة الاستعمارية... يقدم الكتاب دروسا غنية عن الحصاد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لبرامج التكيف الهيكلي التي يفرضها الصندوق، مشينا اقتفاء هذه البرامج للقدرة

وصفات الصندوق - يأتي على رأس هذه النتائج انتقال أعداد السياسات الاقتصادية من المؤسسات الوطنية إلى المصادر الأجنبية، وينظر الكتاب إلى عملية التكيف الهيكلي باعتبارها هزيمة للمشروع الوطني بواسطة رأس المال العالمي، فكانت المحصلة ازدياد سلطة ونفوذ وتأثير البائتين والمستعمرين الأجانب في صنع السياسة الوطنية.

نتيجة أخرى هي ازدياد أثر المجموعات المحلية العاملة في قطاع الاعمال الخاصة الذين على صلة برأس المال والسوق الأجنبي، مع تضائل قدرات وقوة الطبقة العاملة وأجزاء من الطبقة الوسطى في صياغة السياسة الوطنية (نلاحظ دور رجال الأعمال في مصر في وضع السياسات الحكومية وأخرها اشتراكهم منفرد في وضع اللوائح التنفيذية لقانون الضريبة الموحدة).

أيضا ضعفت قوى الدولة نتيجة خسارتها الموظفين المؤهلين وتدنى مستوى اخلاقيات الموظفين العموميين، وازدياد النعرات والتزعات الدينية والعرقية والجهات والعنف... وترى فصول الكتاب على أن الاتي التراجع لسياسات التكيف هو نقل البترول لصالح رأس المال ضد مصالح العمال أي من المصالح التي تتقاضى أرباحا ومزتها إلى المضاربين والتجار، وهكذا ظهر الصراع الاجتماعي ضد الجماهير العربية دين أن يربط ذلك بترامم وأسمالي منتج حيث فسحت الاسواق والاستثمارات للأشطة الترفيهية والخدمية. وإذا تحدثنا بلغة الأرقام نجد في منطقة أمريكا اللاتينية والكاريبي أن استهلاك الفرد في طبقة الملاك في السنوات الأخيرة ارتفع بنسبة ١٦٪ بينما انخفض استهلاك العمال بنسبة ٢٥٪.

وقد ازدادت حدة التوترات الاجتماعية، والاحتجاجات العمالية نتيجة تنفيذ سياسات التصريح والاستفتاء عن العمال باعداد كبيرة، وتخفيض المزايا الاجتماعية مثل العلاج ومجانبة التعليم، إلى جانب تجريد الأجور والارتفاع الهيب في الأسعار. وهنا لجأت الحكومات - استجابة لضغوط الصندوق - إلى اجراءات قسرية شديدة ضد قيادات العمال والنقابات المعارضة لاجراءات التسقيف، قاربت وصفت الصندوق في الأغلب بضرر الديمقراطية والحرة النقابية.

يقول رئيس جامعة ليهون بفانا: ليس

عشية أن يؤكد ممثلو رأس المال الغربي على أهمية وحكومة قوية، وأن يثبثوا على العزيمة السياسية والشجاعة لتلك الأنظمة القادرة على الإسراع بعمل التعشيف والتي لا تتنجح من تأييد الجماهير الشعبية.

### برنامج بديل

ولكن، هل لدى العمال وبقية الطبقات الشعبية المتضررة بدائل تقدمها حتى لا تكون معارضتها مجرد حركة معوقة لبرامج الإصلاح الاقتصادي كما ينظر إليها من جانب الصندوق ومفليد سياساته المحليين.

هنا يقدم لنا المؤلف الخاص عن **تجهيرها** تصورا بديلا لسياسات الصندوق يمكن اعتباره حالة (نموذج) قابل للتطبيق في غيره من الدول مع الأخذ في الاعتبار الاختلافات الوطنية، والظروف المحلية لكل دولة، وقد تزامنت صعوبات المفاوضات بين الحكومة التجهيرية والصندوق مع اتباع سياسات قمعية واصدار قرارات مقيدة للحريات المدنية وحقوق العمال الذين قدموا الدليل للسياسة المتبعة.

على ١٩٨٥ أعلن كولنجريس عمال نيجيريا برنامج أزمة بديل «من أجل الانعاش الوطني» وكان برنامجا موسما يخصص حماية وترسيخ التعويض لتجنيب تهديد الموارد البشرية، وتميز الطلب والنمو العام، وأن يأتي التحصيل من طريق تخفيض التكاليف في العقود المتضخمة بصورة مبالغ فيها، ومحاربة الفساد وقرض الضرائب على الأغنياء، ومنع التهريب الضريبي وتسريع الاستثمار الصناعي خاصة في قطاع السلع الرأسمالية، وتخصيص الموارد بالعملية الأجنبية بطريقة تؤكد الاستخدام الكفء، للطاقات الصناعية المتوافرة، واعطاء الأولوية للمواد الخام ومخلفات الإنتاج الصناعية الأخرى على الاستهلاك البيضي، وأن ينتظر المستثمرون تحويل الأرباح حتى يأخذ الانتعاش المستعجل مساره، ووضع سقف ٢٠٪ من عوائد الصادرات لتسديد مدفوعات الدين الأجنبية، وأن تأخذ الدولة وليس المحفظة القبلية في توسيع الانشطة الانتاجية، وفي الزراعة يجب التركيز على المزارع الغلالية الصغيرة والتعاونيات.

### دور الدولة في آسيا

يتحدث الكتاب عن بديل آخر لمشروع وطني في تجربة بعض أقطار جنوب شرق آسيا حيث اجريت تغييرات مؤسسية حاسمة وضعت

الاطار للتراكم المنتج في **تايلاند والصين الشعبية** وفي **الكوريين** سواء بواسطة برجوازية صناعية (كوريا الجنوبية) أو بواسطة مؤسسات الدولة (كوريا الشمالية)، في كل تلك الأقطار فإن النقلة المركزية لتلك التغيرات المؤسسية هي الإصلاح الزراعي «الأرض لمن يعلقها». هذا المبدأ ذو مدلول مزدوج حيث تم توزيع الملكيات الإنتاجية للأغلبية ثم خلق سوق داخلي كبير في سلع الاستهلاك الجماهيرية كما يعمل كمحفز للمنتجات الصناعية.

وفقا لمصادر صندوق النقد نفسة فإن لدى **كوريا الجنوبية** توزيع دخل أكثر عدالة مقارنة بأغلب دول العالم الثالث، ويرتبط الإصلاح الزراعي بصورة وثيقة بدولة نشطة ذات سياسات اقتصادية مزدوجة الوجهة: حماية السوق الداخلي لصالح الصناعيين المحليين، وتوجيهه رأس المال المحلي في استثمارات ضرورية، من وجهة نظر التنمية الاقتصادية طويلة الأمد.

### نموذج نيكاراغوا

نموذج آخر من البدائل بعيدا عن نصائح الصندوق قدمته **نيكاراغوا** حيث عملت حكومة **الساندينيستاس** بعد استلام السلطة في يوليو ١٩٧٩ على وضع برنامج اقتصادي لصد به إعادة تنشيط الاقتصاد ووضع أسس الانتقال إلى الاشتراكية، إلا أنه ومع بداية الجاهز التحولات الضرورية في النموذج والتي شملت إصلاح زراعي، وإعادة توحيد سعر الصرف وتلقية السيطرة المصرفية. في هذا الوقت توسع نطاق جهود الولايات المتحدة لزعزعة الاستقرار الاقتصادي، وتحول الاقتصاد فجأة من مرحلة إعادة البناء الاجتماعي إلى مرحلة البقاء العسكري.

أثر هذا التدخل على برنامج الحكومة الاقتصادية وتذكر الأرقام أنه بدون هذا التدخل فإن عجز الحساب الجاري كان مفرقا له أن يبلغ ١٨٪ فقط من الواردات بدلا من نسبة ٦٢٪ المجلة عام ١٩٨٧.

في ١٩٨٤ وعندما تصاعد التدخل العسكري الأمريكي إلى قمته تقدمت الحكومة النيكاراغوية بقضية ضد الولايات المتحدة إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي وقضت المحكمة بقبول القضية، واعطت حكما ضد الولايات المتحدة في ١٩٨٦ وأكدت أن الهجوم المباشر ومساندة الكونترا هما انتهاك لمبادئ القانون الدولي وأن المقاطعة التجارية هي انتهاك للالتزامات اتفاقية ١٩٥٦، وأقرت

الحكومة حق نيكاراغوا في التعويض عن خسائرها من جراء هذا التدخل.

إن مدلول هذه القضية أمر هام جدا فهي تشكل سابقة هامة لحقوق الأمم الصغيرة في اختيار تفرجها الخاص لتنظير الاقتصادي والاجتماعي السياسي، ولتفكير تعريض الخسائر التنموية الناتجة عن **والهزة الخارجية** المقصودة، إن المفهوم القانوني للدخل الضائع هي نقطة جوهرية في هذا الحكم.

وأخيرا فإن القضية واحدة مهما اختلفت اسما، الدول، فالهمم الذي تصاني منه دول الجنوب واحد وهو تآكل مواردها أمام تضخم وتوحيش الرأسماليات العالمية، وتكالبها على استنزاف مواردها وفي ظل الانخفاض المستمر في مستوى أسعار المواد الخام التي يعتمد عليها اقتصادها مقابل ارتفاع الربح في أسعار المواد الصنعية الواردة إليها من الدول الرأسمالية الكبرى.

### الاعتماد على الذات

يقول المصغر مافتتير نائب رئيس جامعة الوست ألدن في مقدمة الطبعة الإنجليزية، أن المشاركين في الكتاب أدركوا ضرورة الاعتماد على مقدرات الجنوب، وأن جهودا كبيرا يجب أن يبذل من خلال التعليم والتدريب لرفع مستوى كفاءة الموارد البشرية حتى تسهم بانعاش في الإنتاج والتجارة العالمية وفي التقدم العلمي والتكنولوجي.

من المهم أن نذكر في النهاية أن الكتاب هو حصيلة أبحاث قدمت إلى مؤتمر عالمي عقد في ١٩٩٠ شارك في تنظيمه معهد الامم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية بجنيف ومعهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية التابع لجامعة الوست الذين **بهاياكا**.

أما المشاركون في تجربة لهم ١٤ خبيرا من عدد من الدول النامية على رأسهم دواوم جاي مدير معهد الامم المتحدة للتنمية الاجتماعية، وكينيث هامبرت دي الكافرا (مكسيكية) وهي رئيسة مشروع الأمن الغذائي في المعهد، ومن أوغندا منصور عماماني استاذ العلوم السياسية بجامعة **ماكروبي** بكامبالا، ومن البرازيل جوس ماركيز كاماراجا استاذ الاقتصاد في جامعة بورتو ريبوسا كاثوليكا، ومن نيجيريا يوسف باجوروا الباحث في معهد الامم المتحدة، ومن الأرجنتين جومبي شطراو الذي عمل سابقا في برنامج الامم المتحدة الثاني.



## كراسات السجن



ترجمة  
عادل غنيم

# أنطونيو جراسي كراسات السجن تشاؤم الذكاء.. وتفاؤل الإرادة

«يفرض تجسر الأزمة الهيكلية العامة للرأسمالية والإشتراكية وانهيار النظام العالمي، التجديد الثوري للفكر والممارسة الإشتراكية» أي إعادة بناء النظرية العامة للماركسية وإبداع نموذج حضارى جديد للإشتراكية، وأنظرونه جراسي هو أول المنظرين المجددين للماركسية بعد لينين الذى رفض بناء اقتصاديا وسياسيا بشكل «كشائورية بلاهيمية» أى قيادة تقع الغالبية العظمى من الجماهير الكادحة والحليفة أنها تحمل مصالحها وتدافع عنها، ورفض كذلك الماركسية اللينينية للمعهد الستالينى وبين حدودها السلطوية القهرية.

وأخذ يستكشف سبل الثورة الإشتراكية فى الغرب المأزوم بعد زوال الديكتاتوريات الليبرالية التقليدية، وأشكال للاشتراكية قادرة على التوسع والانتشار، يخلق أشكال جديدة لهيمنة المنتجين والمبدعين على شروط إنتاج حياتهم المادية والروحية.

وتتمثل خصوصية «كراسات السجن» فى تصويرها للتغيير الثوري فى تلك المرحلة فى ضوء الجمع بين مفهومى «الأزمة العضوية» و«حرب المراتع» والكتلة العضوية الإشتراكية

يكن للبلبل أية نظرية تحاول إغترزال الماركسية إلى علم وضعي... وهو قد سعى دائما لمراعاة «الدقة والأمانة العلمية والإخلاص الفكرى، دون تصورات مسبقة أو مصادرات أو تحيز، وهو يفعل ذلك لأنه على ثقة أن الفلسفة الماركسية فلسفة مستقلة وأصلية محتوى فى ذاتها على العناصر اللازمة لتطورها وتحولها من فلسفة للتاريخ إلى فلسفة عامة.

يقع الكتاب الذى نشرته دار المستقبل العربى فى ثلاثة أقسام وثمانية فصول، هى قضايا التاريخ والثقافة وينقسم إلى ثلاثة فصول «المثقفون» حول التعليم «ملاحظات حول التاريخ الايطالى»، والقسم الثانى «ملاحظات حول السياسة» ويتضمن ثلاثة فصول هى «الأمير الحديث»، «الدولة والمجتمع الحديث»، «الأساليب الأمريكية والفردية»، والقسم الثالث هو فلسفة الممارسة (أى الماركسية) وكان جراسي يستخدم هذا التعبير لتضليل الرقيب وينقسم إلى فصلين هما دراسة الفلسفة ومشكلات الماركسية. وجيب عادل غنيم فى مقدمته للترجمة على سؤال أساسى لماذا جراسي؟ تسالا

كراسات جراسي فى السجن التى ترجمها مؤرخا الباحث عادل غنيم ليست مجرد كتاب مذكرات للفكر ومتاحل سياسى شيوعى وضعه الناشون فى السجن إلى أن مات فكانت الكراسات «بؤرة حسياتى الداخلية»، ولكنها إلى جانب ذلك وثيقة فكرية ونظرية مليئة بالمفاهيم التى يمكن أن يتعلم منها الثوريون فى كل مكان والمعنيون بتغيير واقعهم إلى الأفضل، لا لأنها تقدم وصفات جاهزة وطولاً سحرية فى برشامة، ولكن لأنها فى الأساس تستخدم المنهج الجدلى التاريخى إستخداما خلافاً فى رؤية وتحليل الواقع الإيطالى - بلد جراسي- وفى علاقة هذا البلد المعقدة لتاريخه وحده وأما بالتاريخ الأوروبى كله مع الاستفاضة فى شرح وتحليل الدور الأمريكى أو الطريقة الأمريكية فى الحياة، وتأثيرها على الحضارات القديمة فى أوروبا.

كذلك، هو كتاب فى علم السياسة يرقى إلى أهميته لمستوى الكتابات التأسيسية لكل من ماركس ولينين فى زمانهما. ولد كانت ماركسية جراسي تلبية فى جهرها، ولهذا السبب لم

الجديدة القائمة على التحالف الطبقي الراسخ ودور المثقفين فيه ودور الحزب كمثقف جماعي

كانت ثورة أكتوبر آخر ملحمة والحرب الحركة باعتبارها هجوما مباشرا على الدولة. وقد فرضت القاشية وعزلة الاتحاد السوفيتي الانتقال الى أسماء جرماني «حرب المواجه» وهذا هو عند جرماني مغزى الثورية بين الشرق والغرب ، فالدولة في الشرق والاشتراكي في كل شي ، والمجتمع المدني لا يزال هلاميا أما في الغرب فلا يمكن اختزال الدولة الى جهاز للقمع ، فهي أشبه بقلعة محاطة لنظام دفاعي من الحصون والحدائق التي تتصل في مؤسسات المجتمع المدني الأحزاب السياسية وال النقابات والجمعيات والكنائس والمدارس والصحافة... التي تمارس الطبقة الحاكمة من خلالها هيمنتها على الطبقات الحاكمة وعلى الحياة الرئسية الاجتماعية والثقافية.

«وحرب المواجه» هي استراتيجية اجتماعية استثمار الطبقة العاملة لمؤسسات المجتمع المدني لتحقيق هيمنتها أي قيادتها للطبقات التابعة.

على الطبقة العاملة أن تخلق أولا ما يمكنه تقييدها، أن تخلق بقيادة أجهزة الهيمنة أي المجتمع المدني قبل أن تستولي على أجهزة القمع، ويقتضي أن تتغلغل هذه القيادات في طرائق الحياة اليومية للجماهير، وأن تتصدى لإصلاحها والإصلاح الفكري والأخلاقي، وبهذا تخلق الطبقة الحاكمة هيمنة أزمنة عضوية مركبة حيث تقعن الأزمنة الاقتصادية بأزمة سياسية وأخلاقية وثقافية.

لقد نخل جرماني بؤرة التحليل الاجتماعي والتاريخي في الماركسية من البنية الاقتصادية الى البنية الفكرية التي لم تترك التيارات الثلاثة ، بأهمية دورها في التاريخ في التيارات الماركسية عامة ، وفي المادية التاريخية خاصة حيث سادت النزعة الاقتصادية الميكانيكية (بوخارين وستالين) ، وقد أفردت الكراسات مساحة كبيرة لنقد النزعة الاقتصادية الميكانيكية لدى بوخارين في الكتب الشمسي الذي أصدره عن الماركسية

ويرجع إهتمام جرماني بقضايا البنية الفكرية الى اعتقاده أن «المشكلات الثقافية» تكسب أهمية



خاصة في مراحل الجزر الثوري وعلى مثل هذه الأوقات لا تكون هناك معارك طبقية مباشرة، ويصعد الصراع الطبقي الى حرب مواقع لتصبح الجبهة الثقافية هي الميدان الرئيسي للصراع.

وفيما يخص وضعية المثقفين ودورهم يرى جرماني الذي قسمهم تقسيما واسعا ولغا للناب الفكرية والاجتماعية والسياسية والطبقات التي جاها منها- أن تطور المثقفين كقوة اجتماعية معززة ومستقلة عن الطبقة ليس إلا خرافة.

فكل الناس يمكنهم أن يكونوا مثقفين، بمعنى أن لديهم ذكاء ، وأنهم يستخدمونه. ولكنهم ليسوا جميعا مثقفين من حيث الرتبة الاجتماعية. وينقسم المثقفون من الناحية الرتبوية الى جماعتين، فهناك أولا المثقفون المحترفين «الثقاليين» كالأدباء والمعلمين وغيرهم الذين تحيط بهم حالة من الحياء بين الطبقات تخفي وضعهم الحقيقي الناشئ في النهاية عن علاقاتهم الطبقيّة السائدة. والرائدة، كما تخفي تلقفهم بالتكرينات الطبقيّة التاريخية المختلفة. وهناك ثانيا المثقفون العضويون ، ذلك المنصر المذكر والمنظم في طبقة اجتماعية أساسية معينة، ولا يتميز هؤلاء المثقفون العضويون بهمهم، التي قد تكون أية وظيفة تصمم بها الطبقة التي ينتمون اليها، بقدر ما يتموزون بروحيتهم في توجيه أفكار وتطلعات الطبقة التي ينتمون اليها عضويا..

وهو يعالج قضية الحزب السياسي ارتباط وثيق بمسألة المثقفين «فليس الحزب السياسي بالنسبة لبعض الجماعات الاجتماعية

إلا طريقته الخاصة في تكوين وتطوير فئة مثقفيها العضويين في الحقل السياسي والفلسفي مباشرة، وليس في حقل تكتيك الانتاج وحده، هكذا يتكون هؤلاء المثقفون، ولا يمكن أن يتكونوا بطريقة أخرى، مع أخذ الطابع العام للجماعة الاجتماعية وشرط تكوينها، وحياتها وتطورها في الاعتبار..

كذلك فإن القول بأنه ينبغي اعتبار كل أعضاء الحزب مثقفين، قد يكون مدعاة للسخرية والتندر، ولكننا إذا أضعنا فيه النظر تبينا مبلغ دقته. وبالطبع هناك مستويات لا بد من التمييز بينها.. وأي حزب لا بد أن يكون له نصيب كبير أم صغر من المثقفين من أعضائه من المثقبات العليا والدنيا، غير أن هذه ليست هي القضية. فما يعتينا هنا هو الرتبة سواء كانت قيادية أو تنظيمية أو ثقافية أو فكرية فلا

التمايز ينضم الى حزب سياسي لهزاول الأعمال ولا ربح الصناعة لينتج أكثر بكتلة أقل ، ولا الفلاح ليعلم أساليب جديدة في الزراعة، حتى أن وجودا في الحزب يمايلي بعض هذه الحاجات ففي الحزب السياسي وتتجاوز عناصر الجماعة الاقتصادية تلك اللحظة من تطورها التاريخي. تصبح عناصر فاعلة في أنشطة أهم ذات طابع قومي ودولي ، ويستصبح وظيفة الحزب السياسي هذه أكثر وضوحا من خلال التحليل التاريخي المعنى للمثقفين المعاصر بين التقليديين معا في السياقات التاريخية الرئسية التي يختلف من بلد لآخر، وفي سياق مختلف الجماعات الاجتماعية

الرئيسية في كل أمة.. ومن هذا السياق أنشأ جرماني مفهومه الجديد للحزب كمثقف جماعي.

ويدعو جرماني لمعالجة قضية الدين معالجة صحيحة في ضوء تباين فئات المجتمع المختلفة واختلاف طرائق فهمها ومارستها لنفس الدين، وخاصة بين رجال الدين والمثقفين والشعب، ولا بد في هذا الصدد من التسليم بوجود ثلاث مراتب في الدين الواحدة كبار رجال الدين والزهاد، ورجال الدين العلمانيين، والشعب.

ولعل هذا التقسيم أن يكون مفتاحا لنا لدراسة التطور اللاحق والذي أدى لولادة



مجموعات من العناصر الرئيسية.

١- عنصر جماهيري يتكون من أناس عاديين متوسطين تضم مشاركتهم في نشاطه بالانضباط والولا.

٢- عنصر التحاسك الرئيسي الذي يركز القوى على المستوى القوي ويجعل منها مركبا قويا وفعالا. أما لو تركت هذه القوى وشأنها فلن يكون لها قيمة تذكر.

٣- عنصر وسيط يربط مابين العنصرين الأول والثاني ويحافظ على الاتصال بينهما ماديا ومعنويا بل ولكريا ومتى توفرت هذه الشروط بأن الحزب يصبح مستعصيا على التدمير بالطريقة العادية.

والعنصر الخامس في أي وضع هو تلك القوة المنظمة ذاتها. وأحد منذ زمن طويل التي يمكن وضعها في الميدان عندما يتقرر أن الوضع أصبح مواتيا، وهو لن يكون مواتيا مالم توجد مثل هذه القوة، وتكون مفعمة بروح القتال.

كذلك فإن إهمال مايسمى بالحركات والتلقائية، «بالأسوأ من ذلك» اعتقارها، والفشل في توفير القيادة لها، والارتقاء بها الى مستوى أعلى، وانغراطها في السياسة غالبا ماتكون له نتائج بالغة الخطورة، وكثيرا ماتصاحب الحركة التلقائية للطبقات الحاكمة حركة رجعية للجنح اليميني للطبقة الحاكمة لأسباب لصيقة بها .. وهو يسمى الثورة المضادة بالثورة السلبية.

ولعل أهم مايتضمنه الفصل الخاص بالأساليب الأمريكية والفردية هو إستخلاصه أنه:

«ليس لأمريكا تراث تاريخي وثقافي عظيم، ولكن ليس لديها أيضا المبدأ القليل الذي عليها أن تتعلمه، وهذا هو أحد الأسباب الرئيسية (وهو بالطبع أهم من الشرارة

لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية من التساق ورجال الدين العلمانيين والشعب، وللدراصة مظاهر النصر البطيء لإسلام علماني يخوض معركة فكرة ضاربة الآن في مصر. ولعل أهم مايمكن إستخلاصه من فصل التعليم هو قول جراسمبي: ولقد كان النضال ضد نظام التعليم القديم على حق ولكن احصائه ليس- كما يبدو- بالأمر الهين، فليست المشكلة مشكلة المنهج الدراسي النموذجي، وإنما هي مشكلة البشر وهم في حالتنا المدرسون أنفسهم، بل هي مشكلة التركيبة الاجتماعية بأكملها التي يعمرون عنها.. كما أن مشاركة التعليم الإيجابية الحقيقية في الحياة المدرسية لن يكون لها وجود مالم ترتبط بالحياة.

كذلك أدت الأزمة المحلية للثقافة التقليدية وريزها للحياة وللتناسل الى الانعطاف المضطرب للتعليم (الحالي) هو طيما يتحدث عن زمانه ولكن من يتابع وقائع المناقشات الجارية حول التعليم الآن في إيطاليا سوف يكتشف أن الخطر العامة من هذا الفصل عن التعليم مازال يحتفظ بجموية فائقة. ودافع جراسمبي عن وضع واحد من التعليم التكويني (إبتدائي ثانوي) يعمد التعليم حتى يصبح شخصا قادرا على التفكير والدراسة والحكم- أو الرقابة على الذين يحكمون».

وفي ملاحظاته اللاحقة حول التاريخ الإيطالي نجد البذور الرئيسية للنظم الثاني حيث وضع الخطوط العامة لنظريته في السلطة السياسية حين قدم قرأ «عصية لكتاب الأمير لماكيافيلي بإسم والأمير الحديث» وظهر فكرته الأساسية عن الحزب القوي الذي لابد له أن يصبح في وحدة جدلية بين المستويين، مستوى القوة، ومستوى الرضا أو التسلول، بين السلطة والقيادة، بين العنف والتخضير، بين الاثارة والدعاية، بين التفكير والاستراتيجية».

والأمير الحديث في نظر جراسمبي هو الحزب السياسي الذي سيكون عليه أن يربط وينفذ والإدارة الجماعية القومية الشعبية ونتمها...  
لأمر الحديث «لا يمكن أن يكون بطلا قويا، بل حزبا سياسيا، ذلك الحزب الذي يكون هدفه في العصور المتخللة، وفي ظل العلاقات الداخلية للأمم المتخللة هو تأسيس دولة من نوع جديد.

ولكن يوجد حزب لابد أن يجتمع ثلاث

الطبيعية» لتتراكم المهول لرأس المال الذي شهدته وذلك بالرغم من فتح الطبقات الشعبية فيها مستوى معيشي مرتفع بالنسبة لأوروبا، لقد أتاح عدم وجود رؤساء طفيلية حلاسية لحرار تاريخها السابقة للصناعة والتجارة بوجه خاص فرصة النمو والتطور على أساس سليم.. وأتاح أيضا تحول الرقابة الاقتصادية للنقل والتجارة ليصبحا في الواقع نشاطا تابعا للانتاج وقد أثرت هذه التغيرات في تكاليف الانتاج، وسهلت زيادة الأجور وتخفيض أسعار البيع، وتم الجمع بين إستخدام القوة (لتحقيق الحركة العمالية) والتفويض على المستوى المحلي (والانتاج) (الأجور المرتفعة ومختلف المزايا الاجتماعية) والدعاية السياسية والادبولوجية البالغة الترسوة. «بهذا نجحت في أن تجعل الانتاج محرر عبادا والهيمنة هنا تترك في المصنع ولا تتطلب سوى عسك قليل من الرضا السياسي والادبولوجيين المحترفين.

وفي القسم الثالث عن الفلسفة الماركسية التي أسماها للفلسفة الممارسة هربا من الرقيب المترجم لتخبيصا بليسا ومرجعا لأنكاره الرئيسية حيث يصفى النظر الى الفلسفة الماركسية ذاتها باعتبارها نشاطا اجتماعيا لا يحصل للأفكار من أعلى فحسب، بل وترسيخ النشاط الفكري النقدي المرتبط ارتباطا وثيقا بالممارسة السياسية لتزود ليشمل قطاعات من السكان تزداد اتساعا، وهذه الطريقة تصمم الأفكار وتصنع أكثر ملاءمة للوضع بل وتحول الأفكار الى قوة مادية حسب تفسير ماركسي.

ولا يمكن لتحليل القوة الفكرية مواجهة فلسفة للفلسفة أخرى، فليست الأفكار وحدها هي ما تحتاج الى مواجهة بل ينبغي مواجهة القوى الاجتماعية التي تولد وراها، وبالتحديد، الاديولوجيات التي أفزتها هذه القوى، والتي أصبحت جزءا مهما يصمم جراسمبي «الحس المشترك»، ويستخدم جراسمبي هذا التعبير بمعنى الطريقة فسر النقدية والاشعورية الى حد كبير في إدراك وفهم العالم والتي أصبحت وعامة في عصر معين.

ويؤكد جراسمبي على وحدة العناصر المكونة للماركسية وتاريخيتها كفلسفة



بل نزوات وأحلام وأشواق عقيمة..

وهنا ينشأ سؤال: ترى إذا ما بقيت الإرادة وتشكلت جماعها فهل يمكننا «عبر فتاؤلها» أن ننشأ بالانتاج؟  
يقول جرامشي:

«إن ما يكتنا التنبؤ به تنبؤا علميا هو الصراع فقط، ولكن لا يكتنا التنبؤ بلحظاته العينية التي لا يمكن إلا أن تكون محصورة للثري المتصارعة في حركتها المستمرة والتي لا يمكن اختزالها أبدا إلى كميات ثابتة، لأن الحكم يتحول فيها باستمرار إلى كلف.

والحق أنه لا يمكننا أن نعشأ الاقتران مانوثر بقدر ما نهدل من جهد طوعي، ومن ثم نساهم صليا في تحقيق النتيجة المتوقعة. لا يتجلى التنبؤ إذن كعمل محض، بل كعصير نظري من الجهد المتفرد إرادة من الطريق الصلبة لحلق إرادة جماعية»..

\*\*\*

ولد جرامشي في ٢٢ يناير ١٨٩١ في «النيس» بجزيرة سردينيا، ونشأ في أسرة بورجوازية صغيرة فقيرة كبيرة العدد ذاق سرارة الحرمان، وعانى آلام المرض الذي ظل يهاجمه حتى وفاته.

وفي جامعة تورينو - شمال إيطاليا - اتصل جرامشي بعالم الثقافة والفكر لأول مرة وتعلم الماركسية.

كان عام ١٩١٧ عام الثورة البلشفية والانتفاضة المسلحة في «تورينو» نقطة تحول حاسمة في تكوين «جرامشي السياسي».

وفي عام ١٩١٩ أسس «جرامشي» وتربلاني، وتيراشي مجلة «أوردين نوفو» النظام الجديد لتكوين مشرا حركة مجالس المصانع. وفي عدده الأول شرح جرامشي فكرة مجالس المصانع وهيكلها التنظيمي على

لتفسير العالم فهي علمة الفكر وذهنيتها المطلقة، وهي فلسفة العصر مع الوضع في الاعتبار أنه لا يمكن لفلسفة أي عصر من العصور أن تكون تيارا مذهبيا واحدا أو ملها منفردا، وإلا هي جماع كل الفلسفات المنفردة والإجهادات الفلسفية، بالإضافة إلى الآراء، الفلسفة والدين والحس المشعرك، والفلسفة الماركسية هي فلسفة متكاملة وأصلية افتتحت طورا جديدا في التاريخ وفي تطور الفكر العالمي وتجاوزت بذلك كل الفلسفات القديمة. وإن تجاوز المذهب الفلسفي ليعني أنها لم تكن في أي وقت من الأوقات صحيحة تاريخيا، إما أنها كانت جديرة بأن سلف فلس حكما أخلاقيا، أو أن حكما عليه التكفير السليم صدر عن وجهة نظر ماركسية، وإلا هو حكم جدي تاريخي. وعلى المستوى النظري لا يجوز الخلط بين الفلسفة الماركسية وآية فلسفة أخرى أو أن تغزلها بها.

ككتاب ترجمة الكتاب أهمية مضاعفة في زماننا لأن أحد مساهوريه الرئيسية هو معالجة شاملة لكونف قبرى الثورة في زمن الجزر... صحيح أن زمن الجزر الذي كان يتحدث عنه جرامشي كان ذلك الزمن بين الحربين العالميتين في أوروبا التي لم تعد إليها الثورة الإشتراكية بعد قيامها في روسيا، ولكن التكتيكات التي ارتبطت بها بالاستراتيجيات العامة والأهداف القصيرة والبعيدة، والقواعد والمفاهيم العامة التي استخلصها وأهم من هذا وذلك منهج الجدل التاريخي نطل جميعا ذات فائدة كبيرة لنا، ولعل دراسته المتأنية لما يسمى بالحسنة

والتي تنبث الآن في إيطاليا مجددا أن تكون مرشدنا لنا في دراسة القضايا الفلاحين الذين لن تقدم قبرى الثورة في بلادنا دون نهزهم. ولم يكن من قبيل المصادفة أن يختار «جرامشي» الذي وضع كتابه في السجن مبدأ «تشال العقل وفتاؤل الإرادة» الذي وضعه «رومان رولان» ليكون شعارا له ظل ثابتا على صفحات الجريدة التي أصدرها في «تورينو» عاصمة الصناعة الإيطالية التي كانت ناشئة في الشمال حينذاك.

وفي رأي جرامشي فإن «علم السياسة مجرد عنصر «الإرادة» ولا يأخذ في الاعتبار العناية التي تتسرعها إرادة محسنة «والطوباوية» فسفة لا تنطبق على الإرادة السياسية عامة، وإلا تنطبق على إرادة بعضها، هي الإرادة غير القادرة على ربط الوسائل بالغايات، ومن ثم فهي ليست إرادة

مستوى المصنع والى والمدينة والقربة باعتبارها المقابل الإيطالي للسولجات وجنين الدولة الاشتراكية المقبلة. وكان جرامشي النحر الأول لهذه الحركة. وإلى عام ١٩٢١ تم سحق الاضطراب العام والإجهاد على الحركة.

وساهم جرامشي في تأسيس الحزب الشيوعي الإيطالي وقاده في الفترة من ١٩٢٤-١٩٢٦ ومن السنة التي صعدت فيها على السلطة وكان جرامشي عضوا في البرلمان، ورفض خطة الحزب لهرويه إلى سويسرا وأصر على البقا. لملاشة القوانين الاستثنائية معتقدا أن التناقضات الداخلية للبطلة الحاكمة ستكون عقيمة أمام القضاء العام على الديمقراطية وكان يقول لرفاقه:

«وإن الزمان ينهي أن يكون آخر من يهادر السفينة الفارقة».

وشر القاضين حملة اعتقالات طالته رغم أنه كان عضوا في البرلمان وحكمت عليه بالحكمة بعشرين عاما وأربعة أشهر وخمسة أيام على أساس ست تهم مختلفة بالغبانة لم يحطم السجن والمرضى إرادته (لقد عول دائما على فتاؤل الإرادة) بل فجر التحدي طاقاته الابداعية وكانت كراسات السجن التي بدأ العمل فيها في فبراير ١٩٢٩ وبلغ منها في ١٩٣٥ وتبلغ ٣٣ كراسة، وترقى جرامشي في السجن حتى في أبريل ١٩٣٧ وتكتت «انسانا» شقيقة زوجته «جوليا» من تهريب الكراسات من جبرته إلى موسكو عن طريق الحقيبة الدبلوماسية.

وها هو «عادل غنيم» يترجعها لنا- مع حلف بعض الأجزاء - ويقدمها في كتاب واحد بعد أن كانت قد صدرت لها بعض ترجمات متفرقة ومجزأة في بيروت لتصبح الكراسات بصورتها الرائعة مرمعا لأغني عنه للمناضلين والباحثين على حد سواء لا يقلل من لاسكها وجمالها بعض الأخطاء والصعوبات اللغوية هنا وهناك.

وهي فسق هذا وذلك تدعونا للمراة الجديدة التنبية لإسهامات الماركسيين العرب المبدعة حول مسألة الثقافة التي اعتنى بها جرامشي عناية بالغة لما أوجهاها لفرقة وعبد الله العربي والطبيب تيزيني، ومهدي عامل ومحمود أمين العالم، وحسين مرارة وصادق جلال الطهم «ميسر أمين» وعشرات غيرهم من الباحثين الماركسيين الشباب في ضوء التحليل العميق الذي قدمه جرامشي للسالة الثقافية وإرتباطها خاصة بتكوين الحزب ودوره.

فريدة النقاش

إذا جردته من اللحم والدعاء الحقيقيين اللذين استطاع الفنان السيمائي أن يكسب بهما العظام العارية.

ومن الحق القول أن كاتب السيناريو **مجدى أحمد على** والمخرج **طارق القسطنطيني** ، حاولا أن يبدو فيلما الأول «**ضحك ولعب وجذب**» كأنه يبحث عن هذا الطرح ، وقد تقسم السبب وراء اختيارهما تلك القصة المستهلكة ، ولعله ادراكهما أنها «**القيمة**» التي غازلت وجدان جماهير السينما العربية ، من البسطاء على نحو خاص ، طوال عقود كاملة ، فعلى الرغم من أنها تبدو للوهلة الأولى غريبة على الرافع العربي ، أو على المفاهيم السائدة فيه إن شئت الدقة ، حيث لا يمكن أن يصدق المتفرج العادي وجود تلك العاهرة الفاضلة ، التي خرجت من

«**سفحات الرواية الرومانتيكية**» وهادة **الكاميليا** (١٨٤٨)، التي كتبها الروائي الفرنسي **الكستور دوما الأبن** ، إلا أن الرواية في أعماقها تضع يدها على تناقضات المجتمع الرأسمالي في منتصف القرن التاسع عشر ، الذي يبدو على سطحه مستقرا أحداثا مرتدبا مسرح الفضيلة ، لكنه يخلق بتناقضاته نوعا من الدعارة الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية ، ويفرض عالم هؤلاء العاهرات اللاتي لم تصنع قدرهن ولم تغرن طريقهن ، بينما يصحح دائما كيشا للعدا.

تنتم إلى «**هادة الكاميليا**» من هذا المجتمع الظالم ، وازدواجية القيم التي يحجبها ، كما تنتم للفقراء المحرومين من الأغنياء عديمي الرحمة ، الذين استبدلوا الخزان الحديدي بقلوبهم النابضة ، وذلك هو السر الحقيقي وراء نجاح تلك «**القيمة**» عند الجمهور المصري والعربي ، ولعل ذلك لم يكن غائبا بأية حصال عن وعي صناع فيسيل **«ضحك ولعب»** ، والذين ربما قد أرادوا أن يقدموا من خلال القصة التقليدية نقدا اجتماعيا مستترا لمرحلة هي في رأيهم تحمل في أعماقها تلك الازدواجية بين السطح والعمق ، والمظهر والجره.

#### البحث عن تاريخ

يختار صناع الفيلم لأحداثه أن تدور في عام ١٩٩٨ ، فهنا هو ما يجلب عنه العنوان المكتوب على الشاشة بعد المشهد الافتتاحي ، وهو ما نطعن عنه بعض القرائع الشهيرة خلال تلك الفترة ، بدءا من ظاهرة رغبة بعض الناس للمراءى مرع تطرف ليلا فوق إحدى كنائس



#### فيلم ضحك ولعب وجذب

لطارق القسطنطيني

## سينمائيون شبان ، وأفلام كهلة

#### أحمد يوسف

تلك هي الأحداث التي بنى عليها فيلم **طارق القسطنطيني «ضحك ولعب وجذب»** هيكله الرئيسي. وأن كنت قد استطعت أن تلمس أنها القصة المقصية ذاتها التي تناولتها السينما المصرية بمشترت بل مئات الأسماء والتجود ، ولم تدعها حتى ذهبت بهافي كل سبيل ، وعالجتها بكافة الأنماط السينمائية بالبيودرامية والفنانية وحتى الكوميدي ، فأتت على حق في تخمينك ، لولا أننا نعيد القول مرارا بأنه ربما بدت المحذرة أقرب إلى التقليدية في بعض الأفلام ، لكن الأكثر أهمية هو للمالجة والرؤية ، ولعل فيلم «**الفرقانة**» **لمحمد خان** بطمرجه في الشكل والمضمون هو خير دليل على ذلك ، رغم اعتماده على هيكل درامي شديد البساطة ، ربما لم يجد فيه بدوره إلا قصة مكروية

يحكى أن امرأة كانت تبيع جسدها لمعية القوم ، وتتمتع بالحياة المرفهة ، وقعت -وهي البغى الفاضلة- في هوى شاب من أبناء الصفوة ، اختارته من بين بقية البشر لأن الحب الحقيقي عرف للمرة الأولى طريقه إلى قلبها ، وحاولت أن تبع في نفس الشاب روح مواجهة الصواب والبحث عن الطريق القويم ، لكن الأب القاسي يظهر في الأفق ، ليغير عاصفة من القلق ، وليهدد المرأة بما يملك من سطوة ونفوذ ، غير أنها تتاند ، وتماهى وتأتى التسليم ، حتى يقنعها الرجل بأنني سون تكون حبيب عشرين في طريق الشباب نصح مستقبلي ، فيعرض بأن تخفى من حياة حبيبها ، وتوس على قلبها ، لكن الفتى لا يفهم دفاعها فيفسر الأمر على أن الحنين قد شدها من جديد إلى ماضيها المورث ، وفي اللحظة التي يبدو أنه لاسميسل لها إلا الافتراق إلى الأبد ، تحبى بهما المحذرة فجأة إلى النهاية السعيدة.



القاهرة، وإندفاع الشباب وراء ماشتهربه  
فيلم أنتونيوني «الفتاح» من احتوائه  
على بعض لقطات جنسية، وسرورا بتلك  
الدروس التي اهتمت بأن يحفظ الطلاب  
والفتاح» عن ظهر قلب وإن كان في الأغلب  
دون فهم حقيقي، ومخصص التربية العسكرية  
التي تهتم بتلقيح بعض المعلومات السطحية  
عن أسلحة متراصة. والمظاهرات التي  
اندلعت بعد صدور الأحكام على القادة  
العسكريين خلال النكسة، وهي الأحكام التي  
رأتها الجماهير أقل بكثير من حجم الكارثة  
التي عصفت بالوطن، بالإضافة إلى لجوء  
صناع الفيلم إلى ما ينشر هذه الأيام من قصص  
عن الممارسات الجائرة لرجال المخابرات في تلك  
الحقبة، خاصة فيما يتعلق بالوصول إلى  
المخادع وغرف الترم، والتضديد بالتضليل  
والثغى «وراء الشمس».

أثار ذلك الاختيار لهذا السياق التاريخي  
بعينه استحسان البعض ممن يرون في حقبة  
الستينيات شرا مستظرا، حتى أنهم ما يزالون  
ينظرون إلى سلبيات الحاضر على أنها أثر من  
أثار تلك الفترة (١)، لكن هذا الاختيار أثار  
سخط البعض الآخر ممن يرون الهجوم على  
الحقبة «التاسعة» نوحا من المغالطة  
التاريخية، وركوب موجة اتهام تلك  
المرحلة بالشورولبية والاستبداد.  
ويجاهل كل إيجابياتها الحقيقية. لكن  
هؤلاء، الممارسين وجدوا أنفسهم متهمين  
بأنهم نقاد أيديولوجيون إن كان في ذلك أية  
تصميم - بينما لم يكن المؤيدون بدورهم أقل  
أيديولوجية بطبيعة الحال!

وفي الحقيقة أنه لا يمكن أن نضع فيلم  
«ضحك ولعب».. بسبب نقده لسترات  
الستينات الأخيرة في نفس المربع الذي تقف  
فيه بعض أفلام أشرف فهمي، وصحن  
كمال وحمام الدين مصطفى، وغيرهم  
من بدأوا منذ عام ١٩٧١ وما يزالون في صنع  
أفلام تصم العهد «البائد» بكل السلبيات  
الراقية والأسطورية. وربما كان نقده لشخص  
ماديليا في بعض الأحيان على حق حقيقى  
تكنه له، بل إن من المؤكد في كل الأحوال أن  
النظرة النقدية للتاريخ هي نقطة البداية لصنع  
الحاضر والمستقبل.

لكن المشكلة الأصلية في فيلم «ضحك  
ولعب».. هي إذا ما كان يملك حقاً مثل هذه  
الرؤية النقدية للتاريخ، فلقد بدأ السياق  
التاريخي الذي اختاره مقصداً على عالمه، أو  
بالأحرى منفصلاً عنه، حتى أنه يمكنه أن  
تنسى تماماً كل الأحداث التاريخية، أو تحذفها  
من الفيلم حذفاً، فيبقى الفيلم على حاله،  
توليفة مليودرامية تتوجه إلى الجماهير،  
بكل ما استطاع صناعه أن يجمعه من تراث  
السينما المصرية التقليدية، وإن كان يحدوهم  
الطمح للحصول على النجاح النقدي، فبدا  
الشكل أحياناً مصقولاً لامعاً، ونحك المضمين  
ببعض الإشارات السياسية التي قد تفتح في  
أفكار تثير بعض الزواجر الصغيرة!

#### قلوب وتقلبات مليودرامية

يبدو فيلم «ضحك ولعب».. من  
البداية حائراً بين أن يكون متنبهاً إلى أفلام  
الحين إلى الماضى، يصنعها أصحابها وهم

يريدون أن يقصروا علينا طرفاً من حياتهم في  
فترة الطفولة والصباب، وبين الأفلام  
المليودرامية كما تعرفها السينما المصرية طوال  
تاريخها. كما يبدو حائراً أيضاً بين أن يختار  
الحبكة الدرامية الألفنية التي تعتمد على  
الاستطرادات والفتورات غير المترابطة في  
ظاهرها، حتى أنها تبدو مثل الحياة في  
تدفقها المستمر، أو أن يلجأ لأسلوب السرد  
التقليدى لكي يروى لنا قصة أبطلها.

على هامش الأحداث ترى الأصدقاء،  
الضاللة الذين جمعهم المراهقة والأحلام  
والآلام، طارق (هشام الملهي)، الذي لا  
تدري أن كان اختار اسمها ذا علاقة ويخرج  
الفيلم طارق التلساني، لكنه على أية حال  
شاب وسم جري يعرف طريقة جيداً لتحقيق  
نزواته مع الفتيات، على العكس من حسن  
(مصدق الفهايم)، النحيل ذى النظارات  
الطبية، المحرول في علاقاته لكنه يستطيع أن  
يختلس بعض اللحظات الجنسية مع خادمتها  
السمر... بينما ترى فريد (هادي  
الهاجوري) الذي ينتمي لأسرة مصرية  
محافظ، لكنه يقسم حاركة حب دافئة مع  
الفتاة مها (هشام توك)، تشر جنبنا  
ليست أمامه فرصة للحياة، فيسعيان إلى  
الاجتهاد خلاصاً من الورطة.

وفي سلسلة الأنتننسى من «مقالب  
التلامذة»، ترى الأصدقاء الثلاثة وهم يدبرون  
المكائد لدرسهم في فصل «المشاهين» الذي  
جمعهم معا، لكن تلك الشخصيات وعالمهم  
تقلد مجرد خلفية لقصة الأبطال الحقيقيين  
للفيلم الذين رسمت مساراتهم بخطوط  
مليودرامية خشنه. فإلى جوار المدرسة تقيم  
عائشة الشهيرة باسم «إش إش» («يسرا»  
التي لا يطلع لها تناول افطارها إلا في شرفة  
منزلها أثناء طيور الصباح، فعشرته لها  
أعنان التلامذة والمدرسين، لكنها ليست أبداً  
ذلك الحلم الغامض بالمرأة في وجدان المراهقين،  
لكنها غانية لعرب بكل معنى الكلمة، تكسب  
عيشها الرغد من علاقاتها المشبوهة برجال  
السلطة والأثرياء، وتلك مسحة للسلاسل  
الأجنبية المصرية، لكن حياتها تخفى مأساة  
مليودرامية، تكشفها لنا من خلال  
مونولوجات طويلة، تحكى فيها عن بداياتها  
الفقيرة، وعن أمها السكيره التي ألقيتها من  
أب مجهول، وتركتها تسير في طريق  
الانحراف، لكن عائشة في رحلة الحياة تنجب  
طفلة تضع منها في الزحام، فتعذب حيث  
يرى بعض الناس طيف العذراء مريم، تنكى  
وتتضرع لها أن تعيد لها ابنتها.





طوبيا، على حساب النجاح الفني، فطلعت لمهرمية يسرا وعمر الشريف وعمر دهب مسيطرة تماما على شخصياتهم داخل عالم الفيلم، كما أتى مثفلون كوميديون مثل حسين الشبريني (ناظر المدرسة)، وأحمد آدم (مدرس الإحياء) وعلاء ولي الدين (مدرس الميثاق)، صلاح عبد الله (المرور الصعيدي معلم القرية العسكرية)، أتوا جميعا بكل لوازمهم المعتادة، ولم يكن من شخصياتهم الدرامية إلا كانتات شبيهة بأهنة عن المحدث التي احتشدت بالفرانج والمجانين في ساحات شخصيات الفيلم وعلاقاتهم، والاستطراء في «غمر» شقاوة الصلاصية، والحديث عن تجسس المخابرات، على الحياة الجنسية للناس..

ليست في الفيلم إذن أية مغامرة انتاجية كما قد يصور أو يتصور البعض، بل على العكس فإن الفيلم مشروع تجاري محسوب بدقة، وهو ما يشير إلى أن قطاعا كبيرا من السينمائيين الشبان أصبح واعيا بأهمية النجاح التجاري، وهو أمر تفرضه ظروف الصناعة السينمائية المتردية، التي لم تعد تحفل إلا بثمانين بالتجارب الفنية الطموح. لكن الجانب السلبى من الصورة، والذي قد تغفل أو تتغافل عنه أحيانا، يقدمنا إلى ذلك الرغبة في دعم هذا الجيل من صناع الأفلام، هو اعتقاد المجهد النائب اللازم لحل المعادلة الصعبة بين الفن والتجارة، وهو المجهد الذى لا يهتم أن تتسم الأفلام بالجمهور واصطناع الجديدة، لكنه المجهد الذى يضيف إلى عناصر التسلية والقرعة عمقا للفهم الصحيح للواقع، ويتبعه عن خفة المعالجة، ويدون هذا المجهد سوف تأتى السينما الشابة حائلة بالتنازلات، وسوف تفقد الأفلام التى يقدمها هذا الجيل تأثيرها الحقيقي فى وجدان الجماهير، فيبدو كأنها الحمر الجديدة اللاذعة وقد وضعت فى الزقاق المشروعة القديمة!

ولصبي.. هو قليل من الطموح الذى الحقيقي، والذي قد يظهر بين أوتة وأخرى فى بعض لقطات تسجيلية لمهر التصوير الفنان كمال هويد العزيز، فى مشهد ما قبل نزول العناوين للقاهرة عند الفجر، أو مصاحبا لمونولوج عائشة عن طفولتها فتري على الشاشة بعض لقطات لاسكتيرة وأحيانا الشهيرة، وهو الطموح الفني الذى قد يزعم أنه يتبنى الدراما الأنشوية (على النحو الذى ذهب إليه على سبيل المثال فيلم «واله يا متفجع»، لكن الحقيقة أن السيناريو كان يتنقل في سره تقليدية فاتر، ليحكى لك أحيانا كيف عاد الأصدقاء «الثلاثة إلى منازلهم، فزاهم واحدا بعد الآخر وهم يتلقون اللوم والتسريح، أو يضى في الاستطراء الذى أصبح اليوم تقليدا تلجا إليه بعض الأفلام للكشف عن تاريخ الشخصيات من خلال المونولوجات الطويلة (مثلا بفعل داود عبد السيد فى أفلامه)، أو يصطنع مرتجبا متوازيا بين أحداث لا رابط حقيقيا بينها، بل إن التقليدية الدرامية تحكم تصرفات الشخصيات الرئيسية، فتراه كما لو كانت قد خرجت تبرا من أفلام أخرى، مثل مشهد اللقاء الأول بين عائشة وأدهم، حيث الماطقة من نظرات الميرن. أو ذلك التشويق المتعمد الذى تشعقه عائشة فتدبر المقالب المرحية لأصدقائها، حتى أنها تلبس قفازا أسود فى الظلام (فى الحقيقة أننا وجدنا الذين كنا نراه، وكنا كنا تريد أن تفرغنا أيضا)، لتحسين المياه بينما يكون أدهم مستغرقا فى حشامه، لتفجير فى «النش» مياها حمر..، بلوم الدماء (١)، أو مشهد الغرام للملحبيب بالرقص بين الشموع، والجري على شاطئ البحر فى ساعة الغروب!

الطموح الحقيقي لفيلم «ولصبي..» هو تحقيق النجاح التجاري بكل الوسائل، وقد نال منه حظا

إن الصداقة تجمع بين عائشة والشباب المستهتر أدهم، الشهير باسم «ليش» (عمر دهب)، فقتل شرارة الحب من النظرة الأولى (١)، تتعلق به المرأة لأنه «طيب وحين وابن حلال... بيتا يمتعه لي... قدر ومكتوب لي» (١)، وهو يجسد لديها المآزى والملاذ، يشفقها أحيانا ويغمر عليها أحيانا أخرى عندما تستبد به الغيرة لممارستها الدعارة التى يعلم منذ البداية أنها كانت مهنتها ولا تزال (١)، لكنه بدوره وهو «الفتوة» الذى يرى فيه أفراد النشلة «رويين هود» معاصرا يعيش مأساة مليونر صاعية محاللة، فهو يتحدر من أم والقصصة، أحسبها الأب (أهم الشريف) فى شبيه، وتزوج بها بالرغم من إرادة أهل الأغنياء، لكنه تركها تحت تهديدهم ثروت وحيدة، لتسبى فى نفس الابن نجاحه مارة لاتزل، حتى أنه يتهادى فى علاقته مع عائشة انتقاما من الأب، أو كأنه يعيد قصته من جديد.

ويبقى الأب، ضابط المخابرات الغامض، الذى لا تعرف الرحمة طوبيا إلى قلبه، لكنه يصاب بحرج عميق عندما يشر عليه الابن ويستمرد، وحتى أنه يسرق منه أمواله وأوراقه السرية ليهدهم بها، فيسقط القناع الجاد من وجه الأب، ويظهر من تحته حنان متدني تجاه ابنه، لكنه لا يتخلل أبدا عن تصميمه على إنها «العلاقة بين الابن وعشيقته، فيختطف عائشالى مكتبة المظلم، يعرض عليها بعض قصصا على أفلام تصورها فى لحظات جنسية مع عشاقها، «أولانىسى الفيلم القياس بعض العلاقات الشاذة عن تسليم بونويل وحسان الشاهراء»، فلا يزيد ذلك عائشة الا استمرارا، لكنهما بعد الزواج من أدهم تتخلص من جنتها لأنها أدركت فجأة (١) أن طريقهما محفوف بالمخاطر والأشواك، وعندما يبدو أن أدهم قد قرر الهجرة ليهب حياة جديدة، فيحصرن له تحت جنح الظلام بعض الصدايك النافسين ويصرعنه ضربا، اعتلا عن أن الفتى قد انتهت فترته، وسطرته. لكن عائشة تظهر فجأة (١) لتضمد جراحه، وعرضيان معا برفقة شلة الأصدقاء.. وهم يلوحون نحا لمحبة الوداع!

#### مغامرة فتنة أم مشروع تجارى؟

بعيدا عن الاشارات السياسية التى أثارنا جدلا، ونراه مقطوعة الصلة بجوهر تلك المليونر داما الباكية أحيانا، الهائلة أحيانا أخرى، فإن ما يلقى من فيلم «ولصبي

## احذروا حمى التطبيع

شهدت الفترة الأخيرة حمى مفاجئة في علاقات التطبيع الرسمي بين حكامنا وأصدقائهم الصهاينة . وساطة وضغوط على القيادة الفلسطينية لتحريرك ججود مفارضاها مع اسرائيل ، وهجسة زيارات من المستعربين عن الزراعة في اسرائيل لأصدقائهم في مصر . ووصل الأمر الى حد التغاطب بين جمعيات زراعية مصرية والسفارة الاسرائيلية مباشرة طلبا للمعونة في استصلاح الأراضي - نشرت الاهاالى ذلك في ٩ فبراير ١٩٩٤ - وتنسيق لتبادل وفود شهابية ، ووزارة من وزيرة العلوم والفلسفة الاسرائيلية لنظيرتها المصرية .

وتصريحات د. والى عن التطبيع اكفر سفروا من كل التورات الماضية . ليس غريبا أن يمارس حكامنا التطبيع مع الصهاينة - الذين ما زالوا اعداء لمصر والفلسطينيين والعرب بحكم الممارسة والسياسة والواقع والمصالح المتعارضة - ولكن الغريب هذا السفور الفجيع ، قبل أن تنفذ اسرائيل بنذا واحدا من كل قرارات الأمم المتحدة السابقة بشأنها وقبل انسحابها من الجولان وجنوب لبنان وقسبل اعترافها بدولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة .

والسؤال .. هل يمارس حكامنا كل ذلك تحت ضغوط أمريكية الكعادة تشترط تحريك التطبيع مقابل تسهيلات اكثر في المعونات والقروض ؟ أم لأنه سباق محموم بين مصر الرسمية ودول الخليج على كسب رضا

اسرائيل والمشروعات المشتركة معها ؟ أم كليهما مما ؟ وسؤال آخر لأحزاب المعارضة والمنظمات الديمقراطية والقبائات العمالية والمهنية ... التي ما زالت توصيات جمعياتهم العمومية برفض التطبيع قائمة .. هل تتسكون بموقفكم حتى يحقق السلام الشامل العادل فعلا لكل شعوب المنطقة ؟ أم تتخذون ديدن أن تكونون مسجونين من أى طرف على التغافل ؟ أى هل تكرروا أخطاءها ومنظمات تستمد مشروعيتها من قهرهاها أم تستمعون الى استرضاء حكم لا يملك من أمر نفسه شيئا ؟

صلاح الكاشف  
شارع الثورة - مصر  
الجديدة



د. يوسف والى



حسنى مبارك

## من قلب مصر يرفض التطبيع

أسال هؤلاء المتعجبين للتطبيع مع اسرائيل ، مصريين أو من أى بلد عربى آخر .. هل تدركون مخاطر ذلك على وحدة الوطن ، وعلى مستقبل ابنائه وأبنائكم ؟ وأسألهم ايضا هل اتمتعون مستعملون لمواجهة هذه المخاطر سرا . في مصر أو على مستوى العالم العربى كله ؟ وأقول لهم اذا كان ذلك مفروضا عليكم ؟

واذا كنتم لا تستطيعون مقاومته ، فاني باسم مصريي القنايين والكراميين .. وماس ابناي وكل ابناء مصر الذين لا ذنب لهم لجما يجرى من حولهم وخذ مستقبلهم الآن أناشدكم ألا تفرضوا أو تقرض أجهزةكم على المصريي ذلك التطبيع البئيس ، فشمع مصر ومؤسسته الشعبية ترفض ذلك مع قري الاحتلال والقهر واكثر من ارتكب الجرائم والمذابح فى تاريخ البشرية .

ايمن صادق  
مجرى العمين

## جماشء الى الرئيس

مبارك

أجهل تلك تزوع الأنعام !

هل يعلم الرئيس مبارك بما حدث لبائع الحس وبائع الجزر ؟ بالطبع

لا . وليس مطلوباً منه أن يعلم فتلك من صفات الأمير التي تقتضى لها الى جانب مستلزمات الحكم الجسما . رغم أن ما حدث يتم يوميا من أجهزة سادية غاشمة ضد محدودى الدخل من صغار البائعين . وهو ظلم بين متواصل يهتز كل شهر حتى .. والى سيادتكم ما حدث .

فى لحظة باتت من شهر ٢٠ يناير الماضى . عسيرة كاريو منقصة بعناية لبائع الحس ، وأخرى يئس التفتيش لبائع الجزر ، هذا كل رأسال البائعين الواقفين على رأس السوق الذى يبدأ أو ينتهى عند الشارع الرئيسى بامسابة ، شارع ترعة السواحل .

ولى ججود صاعق تأتى مجرودة البلدية فى سيارة نصف نقل . وفى دقائق يبدل بصمولى العربيين داخل صندوق السيارة التى تسرع بمشادة المكان قبل أن يتجمع الناس ساخطين لاعتين المحرمة والحكام وهذا الزمان .

توجهت الى البائعين اللذين ارتسست على وجعهمها الحسرة الميرة والاحباط والغليان قهرا . أشرف محمد شعراوى - السن ٢١ عاما - بائع الجزر ، أما بائع الحس فقد رفض ذكر أى بيانات عن شخصه فهو يدرك بالقطرة وبالتعرض للظلم والقهر اليومى أن الهامش الديمقراطي المسروح به لا يعطيه الحق فى الشكرى من الحكومة أو الاعتراض عليها .

ويزيد من الاستفسار علمت أن هذا يحدث يوميا لكل من يقسوده حظه التكد الى هذه الامتار المربعة من رأس السوق بحجة اشتغالات طريقه وتكفى





أحمد كادير

## النصر الوطني والاشتراكية

تعليقا سريعا على ما جاء بعد فبراير من «اليسار» بخصوص الضائقة المالية أقترح فتح حساب باسم «المجلة» بأحد البنوك يساهم فيه كل وطني مخلص بما يقدر عليه حتى تظل «اليسار» رثة ثقتنا بنسيم الحرية التي غير المثلث بأمانت النفاق السلطوي أو أضرابيل الفكر المتأسلم.

وعن حديث العظيم كاسفرو، أود التعبير عن إعجابي بهذا الرمز الرائع الشامخ، وكلتي ثقة بأن الفئزر والغلبة في النهاية للاشتراريين.

وعن تواطؤ بعض سيادات الباطلية والنظام مع مجرمي الارهاب، أصرخ بكل قسوى كفى تهاونا مع الحقنة.

ونذا، إلى قناسة البابا شنودة منى كسسلم اقول: نحن لكم ومنكم وكم ولن يسرق بيننا حتى الموت فمصر كانت وستظل امة واحدة.

أشرف حتى على دبلوم دراسات عليا- اجتماع

••• الصديق العزيز مصطفى هياص  
وصلتنا تهنئتك الرقيقة .. ولليسار .. وأهل اليسار .. ونحن أيضا نصمتي لك ولكل الاصدقاء، في مصر وخارجها عاما جديدا سعيدا .. وغدا أفضل.

المحرر

## وزارة الإعلام والارهاب

ينحسر نشاط بيروت وقصور الثقافة المنتشرة في ربوع الوطن سنة بعد اخرى بسبب انحصار الميزانية، ومعظم هذا النشاط على الورق فقط والقائمين على العمل الثقافي في هذه الجهات، يتعمد لذمهم الحافز، لانه عمل يتطلب نوعا من الحب والممارسة والتفصيل الدائم عن الهواة والشباب وتوثيق الصلة بهم. والنشاط الثقافي المتجدد يلهي رغبات الواقع ويدعم المثل الوطني والقائمين ويظهر فكر الناس ويؤثر فيه. ولكن ما يحدث ان الهيئة بالقاهرة تستأثر بالميزانية وتمنح الاقارب ميزانيات ربح سنوية هائلة مما يجعل الهيئة كمصر العرايس، وخيروط يتم تحريكها من فوق، ولا مجال للعمل الجاد الا من خلال هذه الخيوط، ولأن الجميع يبحثون عن عائد فقد وصلت فروائد معرض السلع المعرعة المنتهى في أول نوفمبر الماضي إلى ٥٥٪، فلمن يبيعون؟ ومن يشتري؟ وواصل مع ١٩، وكيفية وصلت فروائد وزارة الثقافة الارهاب وهي غير قادرة على استيعاب موظفيها وفتح مجالات الابداع لشباب مصر؟

عبد الله الخطيب  
الاسكندرية



لاروق حتى

الركود ووقف الحبال. ومن لا يصدق يتجول في بلد الصناعات دمياط ١١  
يحيى النجار - دمياط

## وزارة الثقافة والارهاب

دهشت للهجوم على النائب جلال غريب بعد استجوابه لوزير الثقافة، فالجميع يعلمون أن الارهاب الذي يقوم به اصحاب الرشاش والقنبلة يحركه السادة الذين اقترحوا بقتل ه. فرج كسرو، وبخريفق ه. نصر حامد ابو له من زوجته. وان كنت ارى أن الاستجواب كان يجب تقديمه الى صلتوك الشريف وزير الاعلام، الذي يترك لأجهزة اعلامه المسموعة والمرئية الحبل على الغارب لاتساق اصحاب هذه الفتاوى وقرضها على برامج الاذاعة والتلفزيون، ليجرد المواطن نفسه، وقد قرض عليه من يبحث في الضمائر لا في العلم، يخرج علينا هنا هذا كافر وذلك مرتدا ثم يترك غلبة أخرى مهمة تنفيذ الفتوى بالقتل أو برقع دعوى تفريق وخلافة.

غريب الشيخ  
امام جمعية الشبان المسلمين  
الدخيلة - الاسكندرية

صوت الشريف



هذه الحجة لكي تكون حمولة العربة من غنائم الحكومة. وعن استرداد البضاعة علمت انها تودع عند مصادرتها في مخزن في حي شمال حتى يأتي البائع المسكين فيدفع ما لا طاقة له به، ويستهرد نصف بضاعة بعد ان تكون قد تلفت بينما نصفها الاخر يكون قد تم نهبا  
أي ميرر لتلك السلطة الغاشمة للصدوان على أرزاق الناس؟! ويبقى سخطهم وحسرتهم واحباطهم قنبلة موقوتة جاهزة للانفجار، مما يجعلني أعظمي حي شمال ومستشار البلدية ومحافظ الجيزة وحكومة عاقل صافى لآسأل الرئيس مبارك مباشرة عما يمكن ان يقرره أو يفعله بعد ان علم بقصة باع الحسن وبائع الجرد .. فقد منع ذلك الارهاب من كسب ارض جديدة .. ليس كذلك ١١

باسم اللامى

## الفساد

## والركود .. والانحياز

طلع علينا عام ١٩٩٤ بمرجات جديدة للفساد والشر والخرام على حساب الاغلبية الفقيرة كما طلع بالثقافة الجاهل، وهى ايضا شرًا لاغنيا، العالم على حساب فقراءه، والغريب أن مصر و٧ دولة اخرى مضارة واغفرا عليها، ومضمون الاتفاقية تحرير التجارة الدولية، وحكومة صدفى تنفذ تنتهى الطاعة، فبسم تحرير تجارة الاقمشة والنسيج وتخفيض التعريفات الجمركية على المستورد منها ومصانعا الوطنية لا تستطيع المنافسة، خاصة وأن المارد الاسيوى يستعيط، ونحن بين كمشاة ثلاثية امريكية اوروبية آسيوية - ورئيس حكومتنا يقول ان اقتصادنا يتقف على قدم صلبة بينما الاسواق يسودها

# احنا بتوع الغاز الطبيعي

## مشاغبات

اشقائنا العرب، وأعلنت أن زواجها بإسرائيل لا يعنى استغنائها عن هؤلاء الاشقاء، ويربط بين اعادة تسخين السلام الفاتر وبين انسحاب إسرائيل من بقية الاراضى العربية المحتلة، وأعترافها بالحقائق المشروعة للفلسطينيين.

ويبدو انه كان لابد وأن تقع حرب الخليج ليهزلو العرب الى مدفود ليكون ذلك مسجرا لكي يهزلو الفلسطينيون الى اوسلو، ومع أن الجميع ظلموا برغم الحياء، إلا أن الجماعة فى مصر المحروسة لم يغبىوا، فهم يسعون الى علاقات عائلية تضم الجميع، وطلوا يحتفظون بالسلام فى العجالة انتظارا لانعام التسوية وبأن يحدث تقدم فى المحادثات الاقليمية قبل حدوث تقدم فى المحادثات الثنائية...

وفجأة اكتشف جماعتنا فى مصر المحروسة، أن بعض اشقائنا العرب، قد استغلوا استغلالها بهم، ليغازلوا إسرائيل، فيربلن الهيا النظرات والزفريات ولعبين لها حراجهم ويكتبون لها خطابات عاطفية ملتفة، تبدأ بعجالة وكثيبت لك على الورقة الليصوتى لالك يا رايين اقلنى من عيوتى... ومع أن هذه المغازلات كانت تتم سرا، إلا أن إسرائيل قررت أن تضغطها، لتثبت لجماعة فى مصر أن اشقاها العرب ليسوا مختصين لهم، وانهم لا يستحقون تفكيرها للعلاقات الزوجية بينهما من اجلهم، فتصرفت بنفس الطريقة التى ورد ذكرها فى باب «كيد النساء»، وبدأت تسرب الى مصر انباء العريش القبطية لتعودد الغاز الطبيعى لإسرائيل الذى ترددت مصر فى توريدها لها، وداخرا المشروعات التى تحتها تل ابيب مع دول عربية للمساهمة فى مشروعات لنقل الطاقة، لمل محل قناة السويس وتنتهى بأن تفقد القناة جانبها كبيرا من دخلها، وأعلن مستور إسرائيل أن تقليص مصر لتجارها مع بلاده - ضمن سياسة السلام الفاتر - لم يقلل من حجم التجارة السرية بين العرب، وبونها، إذ وصلت الى ٥٠٠ مليون دولار سنويا!

اما وقد فتحت مصر الدواب الاثرائيل، فوجدت العرب مزقونين بلا وصال أو عاتم أو قفاطين، فقد غضب جماعتنا، وهددوا بالويل والثبور، وطلوا بر يتسحن العلاقات حالا بالا، مع إسرائيل، وبأن تغلب مصر «التحدى» فغشيت اهلبيها لثانسة العرب فى الدخول الى الدواب الاثرائيل، بل وتسعى لظردهم منها

وهكذا اضافت الف ليلة الاثرائيلية الى تلك القصة من باب كيد النساء خاتمة اخرى غير التى تمرد رسامو الكاريكاتير المعاصرون، أن اختصرها بها، إذ ما كان الزوج يفتح باب الدواب، فيكيد العناق فى تلك الحالة الوصالية المرحجة، دون أن يكون أحد منهم قد فاز بأى وصال مع الزوجة المغرب، حتى سألهم وهو يكاد يتفجر غيظا:

اتتو بين يا ولاد الكلب؟!

فاجاب الجميع فى نفس واحد:

- احنا بتوع الغاز الطبيعى

وبينا تعلمت ضحكات الزوجة للمغرب، كان الجميع قد اشتبكوا من جديد فى حرب اهلية عربية، ليست هى حرب الخليج، ولكنها حرب الغاز فى الدواب!

فى كتاب «الف ليلة وليلة» فصل طريف بعنوان طريف بعنوان «حكايات حضا ذكر من مكر النساء وأن كهدهن مهنهم»، وفيه حكاية خلاصتها أن امرأة فائتة الجمال ذات سحر ودلال، كانت زوجة لأحد التجار، انتقل عنها بأصدقا، له، لا يطيق فراجهن، فأخذ يضى معهم كل وقتها، وينفق عليهم كل امواله، ويضن عليها بحة ويقترب عليها فى التقلع بينما استغل هؤلاء الاصدقا، انتغالها بهم عن زوجها، ليغازلونها من خلف ظهره، وحين لمحت له الزوجة بعدم إخلاصهم، ثار عليها وعنفها وانماز لاصدقائه ضحكا، فقروا أن تكشفهم أمامه، وتظاهرت بالاستجابة لغازلاتهم، وضربت لكل منهم موعدا لئى يلقاها فى حجرتها فى ساعة حدتها مع فاصل زمنى قصير بين كل موعد والأخر.

وجاء الأول فاستقبلته وهى فى كامل زينتها، وسامرتها وباسطته وما كاد يخلع عمامته وعيا، بما استعداده للوصال، حتى سمعا دقات على الباب، فنصرت الزوجة على صدها وقالت: يا مصيبتى السودة... جوي ربح من السر لم فتحت دواب ملابسها، ليهزلو إليه العاشق وهو فى تلك الحالة الوصالية المرحجة، فيفتح ساكتا ويكتم أنفاسه فى ركن منه، وأغلقت الزوجة الماكرة عليه باب الدواب، لتفتح باب الهجرة للعاشق الثانى، فتصامره وتبسط، وقيل أن يتم المراد بئى الباب، فتورل الزوجة، لينتقل العاشق الثانى إلى الدواب، يدخل الثالث فينتقل من المباسطة إلى الدواب دين وصال يهجره أن يحل موعد العاشق الرابع، وهكذا... حتى بلغ عدد العاشقين الموزونين فى الدواب بلا وصال أو عاتم أو قفاطين وريا لا قطع اخري من ملاسهم إلى ثلاثة وعشرين، وهو للمصادفة عدد الأعضاء بجامعة الدول العربية، وتلك هى الحالة التى راعم عليها الزوج وكان آخر الطارقين، فاستقبلته الزوجة وراقتة إلى الدواب، ليرى مدى إخلاص أصدقائه فطاح فيهم شربا حتى أعدمهم العافية، وعاد إلى زوجته يضى معها كل أوقاته وينفق عليها كل أمواله وعاشا معا فى أمان وسرور حتى أتاهم هادم اللذات ومغرق الجماعات وسبحان الحى الذى لا يورث.

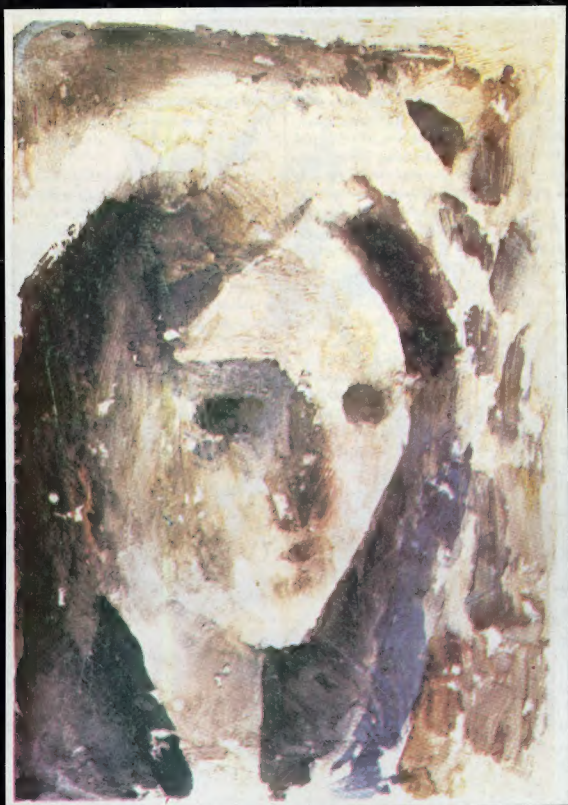
ولابد أن هناك سببا وراء الجاذبية غير العادية لهذه النادرة المضحكة التى اقتبسها كثيرون من الكتاب العرب والأجانب، إلى أن وصلت إلى رسامى الكاريكاتير المعاصرين، فأضافوا إليها بعض التحويلات، كأن يسأل الزوج الواقفين فى دواب الملابس مثلا: اتتو بتعلملوا إيه هنا يارلاد الكلب... فيسردون عليه فى نفس واحد: نتنظر الانويس، وقد يكون السبب فى هذه الجاذبية أن الرجال منذ عهد ألف ليلة وليلة إلى عهدنا لم يفتكروا عن ذلك السرك الذى يتنظرهم بانتظارهم للاتويس فى الدواب، وهو ما تؤكد تلك الحادثة التى ذكرتني بهذه القصة ودفعنى لئى أكتب هذا المقال لأسلي صياحا!

لقد بلغنى أيها القارىء السعيد، ذو الرأى الرشيد، أن الجماعة فى مصر المحروسة غاصبون، ذلك أنهم كانوا- منذ بادية عهد الرئيس مبارك يتعمدون تبريد السلام بينهم وبين إسرائيل، بعد أن سخن السادات حتى كادت العلاقات بين مصر اشقائنا العرب شتيط، فأضعت بذلك من مكانة مصر الدولية بل ومن قوتها التفاوضية مع إسرائيل وهكذا ما كادت مصر تسترد أرضها التى كانت محتلة، حتى اشتغلت بإعادة علاقاتها مع

اليسار / العدد التاسع والأربعون / مارس ١٩٩٤ (٨٢)



● أمة حبشية للفنان هنري سولت ●



● فتاة ● للفنان سعد عبد الوهاب ●